

لَسْتُ قَدِيْسَةً

لَسْتُ قَدْ يَسَّةٌ

رنا اليسيير أحمد اليسيير



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: نيسان/أبريل 2018م - 1439 هـ

ردمك 1-2469-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة

توزيع

 facebook.com/ASPArabic

 twitter.com/ASPArabic

 www.aspbooks.com

 asparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: علي القهوجي

الانتزيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

الحب بلمسة زر

وسط الحشد والأضواء، وأصوات الميكروفونات التي تقفل،
والعاملين الذين يتناولون الكراسي بعضهم من بعض ليضعوها داخل
الشاحنات، كانت تنظر عبر نظارتها الشمسية القاتمة وشعرها الأسود
المصفف برتابة طبيعية، ينساب فوق قميصها الحريري الأبيض المغطى
بسترة سوداء فوقه، يتناسبان تماماً مع مناسبة خاصة كهذه، كانت
عينا والدتها تحدفان عبر مرآة السيارة الصغيرة الموجودة داخل الجيب
الأمامي، والذي فتحته والدتها لتعدل من مظهرها قليلاً لتكون بكامل
أناقيتها قبل الوصول إلى منزل السيد عارف التلواني.

قالت ماجدة بنبرة متهكمة: "جوليا، هل هناك من يضع النظارة
الشمسية في الساعة التاسعة مساءً؟!"

أجابت جوليا بلا اكتراث وهي لا تزال محدقة إلى النافذة المغلقة:
"نعم... من يحاول أن يخفي أضواء الفلاشات والعدسات المحتشدة
لخطف بصره وإزعاج يومه".

هزت ماجدة رأسها بعد أن أغلقت المرآة ورفعت يدها استعداداً
للتلويح للكاميرات المحيطة بالسيارة أثناء انطلاقهم، والتي يحاول
حاملوها بكل جهدهم التقاط ولو لقطة بسيطة من بعيد عليها تكون
اللقطة المنشودة.

ركب حاتم السيارة بسرعة؛ هرباً من الحشد وجلس خلف المقود متنفساً الصعداء قليلاً وقال بنبرة مجيبة قبل أن تبادره زوجته بالسؤال المباغت: "لقد طلبت من السائق أن يغادر السيارة وينتقل إلى سيارة أخرى حتى تتاح لي الفرصة للحديث معكم قبل الوصول إلى منزل السيد عارف، كما أود معرفة رأي ابنتي الحبيبة بخطابتي للحملة، فهل كان كما يجب يا صغيرتي؟".

نظرت ماجدة نحوهما ثم أدارت وجهها نحو النافذة وبنبرة آمرة: "ابتسموا فالصحفيون ينظرون إلينا". أدار الأب مفتاح السيارة بعد أن لوّح لجميع الصحفيين مودعاً وانطلق.

ترجل الجميع من السيارة متوجهين نحو البوابة الضخمة التي كان يقف على بابها كبير الخدم يحاول استقبال الضيوف متناولاً ما يحملونه من حقائب وسترات ليعطيها للخادم بجانبه.

قال كبير الخدم بابتسامة آلية "تفضل سيدي من هنا..."، وأشار بيده نحو الرواق الطويل. وقبل أن يسير أمامهم قال لجوليا بنبرة اعتيادية: "ألن تخلعي سترتك سيدي؟".

أجابت جوليا بهدوء "لا شكراً لك... أشعر بالارتياح هكذا".
أوماً كبير الخدم برأسه وابتسامته ما زالت على وجهه: "تفضلوا".

سار الجميع خلف كبير الخدم متوجهين نحو القاعة الكبيرة المخصصة للضيوف. فتح كبير الخدم الباب وإذا بالسيد عارف وزوجته ثريا يجلسان في القاعة الكبيرة المغطاة بأوراق الجدران ذات الطابع الفيكتوري العتيق، والتي تمنح القاعة روحاً تتناسب مع القصر القديم الذي ورثه السيد عارف من أجيال كثيرة سبقته حتى أصبح

ملكه. الأثاث الخشبي المعتق ذو النقوش الدقيقة ينم عن ذوق السيدة صاحبة المنزل والذي كان يحاكي تماماً اللوحة القديمة المعلقة خلفهما على الحائط والموقعة من أحد الفنانين المشهورين بتوقيعه الأصلي، ما يجعلها قيمة فنية واقتصادية كبيرة. أما المدفأة الخشبية فكانت نظيفة وخالية تماماً من الرماد، والستائر ذات القماش المخملي كانت ثقيلة لدرجة كانت تشعر الزائر بحرارة الصيف شتاء، فلونها القرمزي المحاك بأطراف ذهبية اللون يوحي بالدفء رغم برودة الجو في الخارج. فُتحت بوابة القاعة الضخمة، ودخل الخادم حاملاً صينية عليها كؤوس مذهبة ملئت ببعض عصير الليموناضة الباردة وقطع الثلج، عندها نادى السيد عارف الخادم مشيراً إليه بأن يفتح باب التراس الكبير المطل على حديقة القصر.

قال السيد عارف:

"الجو لطيف في الخارج، لنتمتع بقليل من الهواء النقي."
أشار حاتم بيده موافقاً: "بالطبع، وخصوصاً بعد هذا المؤتمر الصحفي الحافل، لقد أرهقت من كثرة الأسئلة".

السيد عارف بابتسامته المعتادة: "ولكن هذا أمر طبيعي". وضع عارف يده فوق كتفي حاتم وأكمل حديثه قائلاً: "عليك الاعتياد على هذا النوع من المؤتمرات إذا أردت الفوز بمحلمتك الانتخابية يا عزيزي حاتم".

سار الجميع نحو التراس الكبير وجلسوا حول الطاولة المستديرة القابعة هناك، وأردف عارف قوله: "إن الحياة السياسية ليست مجرد صحافة وبضعة أفلام صفراء بل هي معترك كبير عليك أن تكون مستعداً له وبقوة".

أجاب حاتم مهدوء وهو يتناول كأس الليموناضة الباردة ليروي عطش يوم كامل: "إن العمل السياسي ليس بجديد عليّ، ولكن الترشح لرئاسة الدولة هو الجديد؛ فإنه مرحلة تحتاج إلى أقصى درجات العمل والتفرغ لأن أحلام الناس هنا هي أجندة عملي، وإن لم أكن قادراً على تحقيقها فأنا لا أستحق الترشيح".

عندها قاطعتهم السيدة ماجدة زوجة السيد حاتم بامتعض واضح في صوتها: "لهذا السبب بات الحاضر الغائب في المنزل، وكأن أحلام الناس بين يديه وكل ما عليه فعله الآن هو تحقيقها".

عندها ابتسم عارف للسيدة ماجدة وقال بنبرة متهكمة: "لا تقلقي فبدايات الأمور دوماً هكذا؛ يغويها بريق ساطع يحمل كل مثالياتنا في جعبته، لينطلق حائراً بين خطوات الحقيقة. وعندما يتعثر يجبو فتعود الخطوات مترجلة بالحقائق. وفي النهاية يحدق الجميع فلا يجدون سوى نهايات الأمور وحقاتقها، وعندها تنازل جميعاً عمّا يسمى بالمثاليات أمام تصفيق الجميع".

قاطعت جوليا الحديث قائلة: "وإن أردنا للمثاليات أن تبقى حتى وإن خبا البريق، عندها من سيصفق؟".

حدقت أمها إليها بنظرات شذرة محاولة إسكاتها، ولكن عارف أوماً برأسه أن لا بأس وأكمل قائلاً: "عندها ستصفقين وحدك للمشهد الأفلاطوني، فسقراط مات مسموماً وهو أول من تعثرت خطواته بالحقيقة، ورغم تأكده بأنها الحقائق سار معها بطريقته الخاصة وأعلن فلسفته الوجودية وكان سياسته دوماً يعلم أنه إذا أردت الوصول عليك أن تحارب بالمثل، فمدح إسبارطة رغم أنها عدو أثينا الأول. فأين مثالياته آنذاك يا خريجة كلية الفلسفة؟!".

صمتت جوليا برهة... ثم قالت: "لكنه كان يعلم جيداً أن الحقائق مغيبة، وكان يعلم أن على الناس أن يروا إسبارطة ليتعلموا الحقائق كما تسميها...".

عندها قاطعت السيدة ثريا الحوار قبل أن يتحدث: "هل سنبقى في الجدل الأفلاطوني هذا؟ أليس هذا ما يُطلق على الحوارات التي لا نهاية لها يا عزيزي عارف؟"، واقتربت من زوجها بدلال وهي تبتسم. وعلا صوت من جانب جوليا وهو يحمل النظارة الشمسية المعلقة بين حصلات شعرها الأسود الفاحم، فاستدارت نحوه ببطء وهو لا يزال يحمل النظارة بعث ويقول باسمًا: "على ما يبدو أن أحدهم في خضم المؤتمرات السياسية والحوارات الفلسفية نسي نظارته الشمسية حتى المساء".

فاقترب منها بخفة وصافحها قائلاً: "كيف حالك يا عزيزتي؟".

أجابت جوليا بعد أن نهضت من كرسيها ممسكة بالنظارة الشمسية من يده لتضعها فوق شعرها مجدداً: "بخير".

عندها أمسك بيدها وأدارها بحركة مسرحية مستفزة: "هل كنت ترتدين هذه الثياب اليوم في المؤتمر؟".
أجابت جوليا ببرود: "نعم".

كانت جوليا تقف ببذلتها الشبيهة ببذلات الرجال الرسمية، بنطال أسود ذي قماش حريري مناسب، وفوقه قميص أبيض بسيط خلا من كل شيء عدا بضعة أزرار كريستالية لامعة، أضفت على البذلة طابعاً أنثوياً خاصاً وفوقه سترة سوداء قصيرة تتلاءم مع لون عينيها السوداوين الحالك واللتين لمعتا بجمالٍ خاص تحت ضوء القمر.

اقترب منها وهو يعيدها نحو كرسيها ودنا من أذنها قائلاً: "رغم كل هذا تبدين جميلة".

أجابته بنبرة متوترة قليلاً: "شكراً".

عندها توجه نحو السيدة ماجدة والسيد حاتم ورحب بهما وجلس. فقال السيد عارف: "أين كنت يا كريم؟ كان يجب أن تحضر المؤتمر الصحفي".

تناول كريم كأس الليموناضة الخاصة به ونهض متوجها نحو سور التراس الضخم ذي الحجر الأبيض واتكأ عليه قائلاً: "أبي، أنا سئمت هذا النوع من المؤتمرات والندوات السياسية، أعتقد أن حاجتكم إلى تعزيز موقفكم السياسي لاستقطاب الجماهير والمصوتين حولكم أهم من فكرة تواجدي، فالحزب الحاكم لا يزال يسيطر منذ أعوام على دفة الحكم. ألم يأن لحزب التآلف الوطني أن يدير هو ساحة الحكم برئاسة العم حاتم..! لذا ما هي الحاجة التي تستدعي وجودي؟".

أجاب عارف بنبرة لا تخلو من العصبية: "هي نفس الحاجة التي جعلت جوليا تحضر المؤتمر الصحفي، وإن اضطرت إلى تغطية عينيها بالنظارة الشمسية ليلاً".

عندها ضحك كريم مقترباً من جوليا قائلاً: "هنا يكمن الفرق بين الرجل والمرأة"، وأشار نحو صدره ثم عاد ينظر إلى والده والجميع "القلب يا أبي... القلب دوما هو المسيطر عند جوليا... لذا اسمحي لي يا عزيزتي أن أتجرأ لدقيقة وأعلن أمام الجميع أنني أرغب في اختطاف هذا القلب المفعم بالعاطفة.. ومن بعد إذك يا والسدي العزيز، أرجو أن توافق أنت والسيد حاتم وفي هذا اليوم الحافل، أن

أختمه بلحظة دافئة نعلن فيها خطوبتنا الرسمية غداً في جميع الصحف الرسمية".

ارتسمت ابتسامتان عريضتان على شفاه السيدة ماجدة والسيدة ثريا، أما جوليا فبقيت صامتة بلا تعابير تُذكر. عندها تقدم كريم منها وفي يده علبة مخملية تحمل في داخلها خاتماً ماسياً ضخماً وقدمه لها لتضعه في إصبعها، نظرت جوليا إلى والدها الذي قاطع كريم قائلاً: "ولكنك على ما يبدو لم تخبر جوليا بهذا الأمر يا كريم!".

كريم مبتسماً: "طبعاً يا عم حاتم، إنها مفاجأة للجميع وأول المتفاجئين جوليا".

أجابت جوليا ببرود: "وما الجديد يا كريم فنحن مخطوبان فعلاً".

أجاب كريم بنبرة ضاحكة: "الجديد أنك ستقرئين الخبر على صفحات الصحف الرسمية غداً تحت عنوان: خطبة ابن رئيس حزب التآلف الوطني المخضرم كريم عارف التلواني من ابنة المرشح الأول لرئاسة الدولة السيد حاتم الريزوني، جوليا، مبروك للعروسين. ألا ترين كم لهذا الخبر من صدى سيهز المجتمع السياسي بأسره؟".

حدقت جوليا إلى عيني كريم مباشرة وهي تضع الخاتم الماسي بنفسها وأجابت بصوت قادم من بعيد: "نعم سيهزه... أنت محق".

فحض الجميع واحتضنوا كريم وجوليا وباركوا لهما إعلان الخطوبة إلا عيني والدها، فقد عانقت نظراتها برفق عليها تسير أغوار جوليا المنسية، إلا أنها اقتربت منه قائلة: "ألن تحتضني يا أبي؟!".

اقترب منها والدها وهمس قائلاً: "كم أحبك يا ابنتي، مبروك".

استيقظت جوليا على صوت هاتفها الخليوي وهو يرن بجانب سريرها. تناولته وهي شبه نائمة لتجد المتصل كريم، فأغلقت الشاشة، وعادت لتغط في النوم من جديد.

عاد الهاتف يرن ثانية فاستيقظت منزعجة، وتناولت الهاتف مجيبة: "ماذا هناك يا كريم لتوقظني باكراً هكذا بعد سهرة الأمس الطويلة؟".

أجاب كريم بصوت يملؤه النشاط: "أيتها الكسولة انهضي، هيا فلديك يوم طويل وحافل".

كانت جوليا تتأعب وهي تكمل الحوار الصباحي الممل الذي لم تجد له هدفاً حتى اللحظة سوى إيقاظها من نوم عميق ورائع كانت تغط فيه. قالت بصوت متناقل يشوبه التأؤب: "حسناً كريم سأهض، ولكن دعني أكمل نمومي الآن".

قال كريم بلا مبالاة لعاسها: "أعتقد أنك نلت حاجتك من النوم، انهضي الآن لتنتهي ترتيب يومك".

هضت جوليا وجلست في سريرها وبنبرة عصبية: "وما هو يومومي الذي عليّ أن أنهي ترتيبه، ووقته يكاد ينفد قبل بدئه والذي جعلتني أصحو لأجله؟".

أجاب كريم ببرود: "عزيزتي... حفل خطوبتنا سيبدأ عند الساعة الثامنة، عليك النهوض والاستعداد له".

جلست جوليا باستيقاظ تام في سريرها، وقد ذهلت من تأثير الصدمة: "كريم... هل جنت؟ ألسنا مخطوبين منذ أكثر من شهرين ونصف؟... هل أصبحت ممن يصنعون الحدث ويتمعنون في العيش في تفاصيله؟".

ثم أردفت قائلة: "ألم يكن كل ما في الأمر خيراً سيتم تسطيره في صفحات الجرائد؟".

ضحك كريم بنبرة متهمكة: "نعم... خبر، أقرأه في الصحف وعندما تستيقظين جيداً عاودي الاتصال بي لنستعد للترتيبات سوياً.. وداعاً".

قالت جوليا بعصبية: "كر...". "ولكن كريم كان قد أغلق الخط. نهضت من سريرها متوجهة نحو الحمام محاولة غسل وجهها لتزيل آثار النعاس التي ما زالت عالقة في ملامحها الغاضبة، فنظرت إلى المرأة التي أمامها، وأخذت تحديقاً إلى نفسها وشعرها المشعث وييجامتها الحريرية ذات الكمين الطويلين واللون الوردى البارد. كانت بعض آثار المكياج الخفيف عالقة تحت جفنيها الثقيلين منذ سهرة الأمس، إلا أن وقع المفاجأة عليها كان أقوى من أن تعطي بالاً لوجهها أو شعرها المشعث. كانت جوليا تحديقاً بصمت، تمرر أصابعها فوق شعرها تارة وفوق صنوبر المياه تارة أخرى: "هل هذه هي البداية؟ هل ستكون هكذا؟ هل أنا من يقرر وهل أملك حق القرار؟". تمت بصمت ثم امتدت يدها نحو المغسلة الرخامية الفاخرة ذات الصنوبر الذهبي وفتحته لتغسل وجهها وتنظف أسنانها.

خرجت جوليا من الحمام، وتوجهت نحو خزانتها، تناولت بنظراً قطنياً خفيفاً وقميصاً ذا لون أزرق بارد، سرحت شعرها ببساطة نحو الخلف، وخرجت إلى الفناء الخارجي حيث كان والداها على وشك البدء بتناول الفطور.

نزلت جوليا الدرجات الرخامية التي كانت تفصل طابقي الفيلا الصغيرة التي كانت تسكن فيها مع والديها بخطوات خفيفة تعبر عن

رشاقتها وخفة حركة جسدها الرياضي. ورغم أنها مدللة والديها الوحيدة، إلا أنها كانت تحاول دوماً أن تخرج من حدود الروتين المعهود للفتاة المدللة الرقيقة بالقراءة والمطالعة، واختيارها لقسم الفلسفة كان من أكثر القرارات التي دعمت هذا السعي المتواصل داخلها للنجاح، ولكن رغم ذلك تبقى هي المدللة الوحيدة.

كان المنزل رغم بساطته يتمتع بفخامة تليق بمقام والدها السياسي المخضرم، ولمسات والدتها خريجة السوربون تعطي طابعاً فرنسياً دافئاً في المكان؛ فالستائر الكريمية اللون بسيطة وخالية من الرفاهية، والأثاث الكلاسيكي في منطقة الضيوف ذو اللون الذهبي المعتق يمزج المكان بروح فولتير وبعض من نفحات نزار قباني العاشقة، والذي كانت دواوينه تملأ المكتبة الصغيرة ذات الرفوف الخشبية التي تقبع في زاوية مكتب والدها الموجود في الطابق الأرضي والتي جعلت المطالعة أمراً سهلاً لكل رواد المنزل من قاطنين أو ضيوف.

سارت جوليا بهدوء نحو باب التراس الأرضي المطل على حديقة المنزل التي كانت توحى باعتناء أسرقتها بما لأهميتها كمكان لاجتماع العائلة، بينما بركة السباحة تقبع أمامهم بمنظر ذي جمال خاص يمنح دفئاً عائلياً ممزوجاً بصباح لا يخلو من النشاط.

اقتربت جوليا من والديها وقبلتهما: "صباح الخير".

أجاب والدها باستغراب: "جوليا؟ ما الذي أيقظك الآن؟".

ابتسمت جوليا وأزاحت كرسيها لتشاركهما تناول الفطور، بعد أن تقدمت إحدى الخادמות وأضافت طبقها على الطاولة وكوب العصير الخاص بها عندها سمعت والدتها تقول وهي تمد إحدى الصحف اليومية باتجاه والدها مبتسمة: "لا بد أن هذا ما أيقظها".

حدق والدها إلى الصحيفة وهو يقرأ الخبر وقال بنبرة متفاجئة:
"كريم أعلن خطوبتكما منذ الصباح؟ متى استطاع أن يوصل الخبر إلى
الصحف؟!"

فهربت ضحكة خفيفة من شفّي ماجدة وهي تتناول قطعة
خبز أمامها: "في الواقع كريم كان يعد مفاجأة لجوليا ولك منذ
أكثر من أسبوع بترتيب معنا أنا ووالدته، واليوم هو حفل
خطوبتهما الرسمية".

حدق الأب إلى جوليا وهو لا يكاد يخفي اندهاشه: "حقاً! ألا
تعلمين أن حفل خطوبتك اليوم".

أجابت جوليا وهي تتناول فطورها بعصبية وابتسامة باردة تحاول
أن تخفي بها غضبها: "لا، لا أعلم، فكريم يعتقد أن الخطوبة علبة
شوكلاته ليهديني إياها كمفاجأة! وعلى ما يبدو أنه هو أيضاً من
ارتدى ثوب الخطوبة!"

قاطعتهما ماجدة وفي صوتها نبرة غير راضية عن طريقة جوليا
بالكلام عن خطيبها: "وهل هذا هو ردك على مفاجأة رائعة كهذه؟
هل هذا هو الشكر الذي تمنحينه إياه".

أجابت جوليا باستهتار: "أشكره على ماذا؟ على إلغاء حضوري
في يوم مهم كخطوبتي!"

قالت ماجدة محدقة إلى عيني جوليا التي كانت تنظر إلى طعامها
فقط: "كيف ذلك؟ إنها مفاجأة! ألا تعرفين ما مفهوم المفاجأة؟".

أجابت جوليا بحنق: "بلى، أعرف وهذا ما يجعلني لا أتقن فن
الشكر على تنسيق يوم خطوبتي دون علمي، لم أكن أعلم أنني من
كماليات الحفل!"

أجابت ماجدة بعصية: "دوماً تسعين لإفساد يومك! لا أدري
أهي الفلسفة أم عقلك أنت؟!".
نهضت جوليا بعصية عن الطاولة وقالت بنبرة متهكمة: "بل هي
الفلسفة!".

وغادرت متجهة نحو الداخل. عندها نظر حاتم إلى زوجته وقال:
"لها الحق أن تغضب؛ إنه يوم خطوبتها".
أجابت ماجدة بصوت لا يخلو من العصية: "يوم
خطوبتها... يوم خطوبتها، وما المشكلة إن كان قد أعده مفاجأة
لها؟".

نهضت ماجدة غاضبة وقالت وهي تسير: "كلاكما أغرقتكما
السياسة والفلسفة حتى نسيتما أن للحياة اعتباراً لا يكسوها الحجر".
استدارت نحو زوجها وقالت وهي تشير بيدها: "حتى أنت نسيت
باريس وكل ليايلها الدافئة".

* * *

جلست جوليا في غرفتها، وقالت بصوت بارد ولكن تسري
فيه العصية بكل وضوح: "وماذا تعتقد؟ أهذا ضرب من المفاجآت
الحديثة الذي يتناسب مع عصر الآيفون والآيباد حيث تأتي العروس
بلمسة زر على الحفل، ولم لا؟ فالعالم كله بات يعمل بلمسة
زر!".

كان كريم يستمع بهدوء وأجاب بنبرة متهكمة: "ولم أنت
غاضبة؟.. سأرسل لك ثوب الخطوبة لتريه على الهاتف".
قالت جوليا بحنق: "نعم... بلمسة زر".

صمتت جوليا قليلاً، ثم أردفت قائلة بنبرة يسري فيها فحیحٌ
اخترقت برودته آذان كريم ما جعله يتسمر مكانه: "كريم... هل
للحب خانة في هاتفك لتجعله يعمل بلمسة زر؟!".
ثم أكملت بنبرة ساخرة: "نحن مخطوبان منذ شهرين ونصف،
وأنت لا تزال تمارس دور العاشق بإتقان حتى الآن ولكن لا تنسَ
يا عزيزي أن الموضوع مجرد اتفاق يجمع العائلتين لتوسيع نفوذهما
السياسي والاجتماعي".

عندها أجابها كريم: "وهل سترضين يا خريجة الفلسفة بأن
ترتبطي بزواج من هذا النوع، إن لم يكن في قلبك شبه مساحة
لمشاعر ضائعة بيني وبينك؟ ربما هو اتفاق ولكن استمعي إلى نبض
قلبك، فلا بد أنه يعمل وحتى إن كان بلمسة زر".

أردف كريم كلامه بنبرة المنتصر وهو يشعر ببدء خمود أنفاس
جوليا الثائرة: "سأرسل لك الثوب خلال نصف ساعة، إن لم يعجبك
تستطيعين أن تبدليه فمصمم الثوب هو من سيوصله إليك، أما الحفل
فهو هديتي، لذا ستقبلين بترتيباته لأنه قد حان الوقت لتعربي ما هو
ذوقي وإحساسي ومن هو كريم... خطيبك".

صمتت جوليا لأنها كانت تعلم أن النقاش لم يعد سوى نقاش
أفلاطوني غير مجدٍ للحفل سيتم حتى وإن كانت من الكماليات،
عندها قالت وهي تنهي المكالمة: "لا تجعله يتأخر فالوقت يمضي".

رمت بهاتفها فوق السرير بقوة، وحدثت إلى المرأة الطويلة التي
أمامها. كانت غرفة نومها تنعكس أمامها بكل زواياها؛ فالسرير
الجلدي الأسود البسيط، وخزانة الحائط القابضة هناك والتي تحتوي
على ثياب متنوعة ما بين العملية وال رسمية، والتراس الكبير المطل على

حديقة المنزل ببركته الصافية، والجدار الأبيض الخالي من كل شيء إلا من لوحة مؤلفة من خطوط فخارية سوداء تتمازج بانحناءات خفيفة متناغمة أهداها إياها ريمون صديق والديها في فرنسا، فهو نحات وفنان وقبل ذلك كله إنسان يحمل في حنايا نفسه كل التناغم الإنساني الذي كانت تحاول جوليا اقتباسه من المحيط. ولكنها تعلم أنها لم تجده بعد، حيث قال لها وهو يقدم لها اللوحة المنحوتة: "إن هذه المنحوتة تبحث عن صاحبها منذ سنين وأنت هي، فسلاستك ومرونة شخصيتك المتنقلة ما بين الحديث والقديم تشبه انحناءاتها المنسكبة برفق" منذ ذلك الوقت وهي تعلقها على الجدار الأبيض الصافي فوق سريرها حتى تجد ذاتها كلما تاهت في بحور زمنها غير المفهوم. جميع التفاصيل تلك كانت تعبر عن وضوحها وعن خطوط شخصيتها البارزة ما بين الحقيقة والواقع، ولكنها ما زالت تحدق إلى المرأة تبحث عن إجابة...

فهل حقاً في قلبها مساحة حائرة بينها وبين كريم لا تزال تغيب في حناياها؟ وهل ستقبل بزواج مرتب من أجل العائلة رغم الفلسفة التي شوشت عقلها كما قالت أمها؟ أم أنها عالققة بين الرفض والقبول؟ رفض لزواج ترسمه حشيات سياسية واجتماعية، وقبول لحب ربما يسير بغير وضوح بين الغمام؟ هل هو كريم؟!

وقفت أمام المرأة طويلاً باحثة عن الإجابة في رتوش غرفتها الواضحة المعالم إلا أن رتوش وجهها البارد كانت أكثر سيطرة على ملامحها الدافئة بعينها السوداوين الراكدين يهدوء رغم الفوضى التي تغزوها الآن وما زالت الأفكار تتوالى حتى انقطعت بصوت ينادي من بعيد:

"آنسة جوليا... هل أفتح الباب؟ المصمم قد وصل ومعه ثوب
الحفل".

أجابت جوليا بشرود ويدها تمر فوق شعرها الأسود المنسدل
برفق فوق كتفيها "نعم، دعيه يدخل".

ربما....

كانت جوليا تخطو ببطء خارجة من بوابة المنزل، حاملة طرف ثوب خطبتها الأخضر الزمردى، والمحاك من الساتان الفاخر لينساب برقة فوق جسدها المتناغم، بكتف عارية، وكم كامل ضيق من الطرف الآخر، ليظهر تناسقاً أحاداً بين قامتها المشوكة ووجهها العاجي ذي التفاصيل الواضحة، والذي علتة بضعة رتوشات من مكياج السهرات الذي يتناسب مع مناسبة هامة كهذه. بينما قامت والدها بإضافة لمستها الخاصة عندما علقت في عنقها قطعة من الماس الأسود تتناسب مع خاتم الخطوبة الماسي الذي أهداها إياه كريم كإعلان عن ارتباطهما الرسمي. أما شعرها الفاحم الذي انساب بتموجات تليق بالمناسبة فقد جعل اللون الزمردى يعطي بريقاً خاصاً يتلاءم مع البريق المشع في عينيها السوداوين، اللتين تحاولان إخفاء بعض الأفكار المتناثرة في عقلها المنهك، والممزوج بالأسئلة المبعثرة. إلا أنها أخذت بنصيحة والدها، وقررت ألا تفسد يومها المميز.

كان السيد حاتم يمدق إلى ابنته الصغيرة، وتتجاذبه أحاسيس متشابكة ما بين الانبهار بجمال فتاته الذي بات يخطف الأنفاس، وإحساسه بخطوات الزمن العابرة تمر بثقل الآن، لتعلن أن طفلته باتت شابة على أعتاب الزواج. ومن بين الأفكار المبعثرة اقتربت ذراع

زوجته تحتضن ذراعه، لتتشله من أحاسيسه المتناقضة ما بين الفرح والحزن، وكان صوتها المتراقص يقترب من شروده ليوظفه قائلة: "هيا يا عزيزي اقترب.. فجوليا تنتظر ذراعك لتدخلها إلى الحفل، الجميع في الداخل بانتظارك".

أجاب بصوت قادم من بعيد: "حسناً".

كانت جوليا تراقب والدها وتفاصيل وجهه بدقة محاولة فك كل ما علق فيه من أفكار، إلا أنها وجدت ابتسامته قد محت تلك التفاصيل العالقة ومنحتها شعوراً بالأمان، وسمعت صوته الدافئ يقول: "هل أنت مستعدة يا صغيرتي؟".

ابتسمت جوليا برفقة: "أما زلت صغيرتك يا أبي؟!".

أجابها والدها بدفء: "وستبقين صغيرتي..."، ثم أردف قائلاً: "قيل لي: فرحتان يمتزجهما ألم ذو لذة خاصة؛ لحظة الولادة حيث حبيبتك تشرخ الزمن بصرخاتها لتمنحك طفلاً، ولحظة زواج ابنتك حيث تتأبط ذراعها وتسير بها لتمنحها الحياة من باب آخر. في كلتا اللحظتين تفارقك الروح لسويغات، يعترى إحساسك نشوة خاصة حينما تحمل طفلك فتشاركه البكاء قسراً، وحينما يجتاحك الموج العارم من المشاعر المتناقضة وأنت تقدم طفلك بسعادة كزوجة لمن تحب... فهل حقاً أقدمك لمن تحبين يا صغيرتي؟".

حدقت جوليا بصمت جليدي بارد كاد أن يحطم صوتها وهي تنطق: "ماذا؟!".

حدق والدها إلى عينيها بثبات قائلاً: "هل أحملك الآن إلى أبواب سعادتك حقاً يا جوليا؟ هل كريم هو من تحبين يا صغيرتي؟".

أجابت جوليا وهي تحاول الهروب من نظرات والدها، محاولة ترتيب شعرها في اللحظات الأخيرة: "وهل تعتقد يا أبي أنني سأكون على باب القاعة هنا إن لم يكن؟".
قال والدها بهدوء: "ربما...".

قالت جوليا وهي تقترب بنبرة مطمئنة بعد أن طبعت قبلة دافئة على جبين والدها: "ربما... فلا يوجد في الكون كله حقيقة حتمية يا والدي، فنحن مزيج من ربما... فلربما هو الآن... وربما لن يكون فيما بعد... وربما هو من لا أحب الآن وربما يصبح من أحب لاحقاً، فجميعنا يا أبي نصنف في خانة الـ "ربما" تلك، لا تقلق... كل ما عليك الآن أن تكون مطمئناً".

ابتسم والدها برقة وعانقها بحب ثم قبلها وحاول أن يجمع رباطة جأشه ومد ذراعه قائلاً: "تفضلي يا صغيرتي".

تأبطت جوليا ذراع والدها، وتقدمت بخطوات ثابتة تتوازن مع خطوات والدها متوجهين نحو باب الصالة الكبيرة في قصر السيد عارف ليعلن وصول العروس وعائلتها، بينما تبعتهما والدتهما التي كانت تترجل من السيارة بعد أن تأكدت من أنها في كامل زينتها بما يليق بمكانتها كأُم للعروس.

فتحت أبواب الصالة الضخمة وهي تستقبل العروس وعائلتها وكان كريم ووالده ووالدته أول المستقبلين حيث تقدم منها ببطء وانحنى مقبلاً يدها، عندها ابتعد والدها قائلاً: "تفضل يا كريم عروسك".

ابتسم كريم وتأبط ذراع جوليا برقة واقترب منها قائلاً: "تبدين رائعة يا عزيزتي".

أجابت جوليا مبتسمة: "شكراً لك".

وقف جميع الحاضرين مراقبين للحظات الأولى لإعلان الحدث عندما تناول كريم العلبه المخمليه وأخرج خاتمين: أحدهما بحجر ماسي أسود يتناسب مع العقد الذي كانت تتزين به جوليا، والآخر بحجر ماسي أسود أصغر حجماً يناسب إصبعه. تبادل الخاتمين، وعلت الصالة بصوت التصفيق والموسيقى معلنة بدء الحفل وافتتاحه برقصه العروسين بينما كانت أنوار الكاميرات والصحافة القليلة التي سمح لها بحضور الحفل تحاول أخذ أكبر قدر ممكن من السبق الصحفي هذا.

كانت جوليا ترقص بخطوات رشيقه مناسبة على أنغام الموسيقى تتناغم مع خطوات كريم الذي كان يتقن رقص الفالس بدقة حيث لم ينسَ يوماً دروس الرقص التي علمته إياها والدته في إحدى الإجازات الصيفية في روما استعداداً لأي مناسبة تليق به.

"لم أكن أعلم أن خلف البدلات الرسمية التي ترتديها فتاة تتقن الرقص هكذا!". همس كريم في أذن جوليا.

"وهل للأثوثة زي أو لعة غير المرأة بكامل تفاصيلها حتى وإن كانت خطوات راقصة؟!" أجابت جوليا بصوت لا يخلو من السعادة. حدق كريم للحظات إليها، ثم لف ذراعه فوق خصرها لتحنى جوليا بدورها إلى الخلف وقال: "نعم، للأثوثة لغة أخرى... لغة تُدعى أنت يا جميلتي".

ضحكت جوليا، وتابعت الرقص على أنغام الموسيقى الكلاسيكية والجميع يشاهد رقصهما الرائع بأنفاس مخلوطة "هل هو حقاً من أحب أم أنني ما زلت عالقة في خانة الربما؟" كانت الأسئلة تتوارد في ذهنها المنتشي بلحظات السعادة المزوجة بالحيرة، وكانت

تحاول أن تجد الإجابة ولكن قررت أن تحيا اللحظة بتفاصيلها بعيداً عن التساؤلات فأكملت الرقصة بخطوات مناسبة حينما وجدت كل وجوه الحاضرين تحديق إليهما بتفاصيل ممتزجة بين الغيرة والسعادة والقلق. فتلك الشقراء هناك كانت تتمنى لو أنها بين ذراعي كريم ذلك الشاب الكامل في نظر الجميع، بجسده الرياضي المشوق، وشعره الناعم الأسود، وبشرته السمراء بلون رمال البحر المفلوحة بشمس الصيف، وعينيه الرماديتين الجليديتين اللتين ذابتا لحظة دخول جوليا الصالة بفستانها الزمردى الساحر. وأما القابعة هناك فتحاول أن تلتقط كل تفاصيل حر كاتهما علّ خطيبها الواقف بجوارها أو زوجها يمنحها لحظة كتلك. وذلك الواقف من بعيد بجوار والدها يبدو أنه قد تتم بأمر أسعد والدها، فارتسمت ابتسامة جميلة فوق شفثيه. بينما كانت والدها تتهامس مع والدة كريم بكلمات تصف الحفل وجمال الترتيبات، ودقة كريم وروعته في تقديم مفاجأة رائعة كهذه لابنتها، وكم هو رومانسي، وكم يذكرها بباريس وعشق باريس وأصدقاء الحب في باريس.

ابتسمت جوليا ثم شدها كريم نحوه قائلاً: "يبدو أنك غبت في تفاصيل الحفل وحضوره".

أجابت جوليا بعينين لامعتين: "كم أنت قوي الملاحظة يا عزيزي".

عندها قرّب كريم جوليا منه أكثر معانقاً خصرها الصغير بقوة قائلاً: "ألم أقل لك لا بد أن تري كريم وذوقه الخاص".

قالت جوليا وهي تفلت خصرها ملتفة حول نفسها ثم مقتربة من كريم قائلة: "نعم.. ولكن كان لا بد أن أكون الحفل وليس

كماليات الحفل". ثم تابعت خطواتها الراقصة لتقترب من كريم وتلقي نفسها بين ذراعيه قائلة: "وهذا ما يحدث الآن...".

عندها توقفت الموسيقى ليعلو المكان بالتصفيق معلنا نهاية الرقصة وافتتاح حفل العشاء حيث بدأ الجميع يتبادل أطراف الحديث وتناول المقبلات على صوت الموسيقى التي تعزفها فرقة الأوركسترا التي كانت تختار مقطوعاتها وفقا للحدث، فكان موزارت وبيتهوفن وباخ جميعهم حاضرين.

وقفا والدا كريم وجوليا بجوار مجموعة من رجال السياسة والإعلاميين يتبادلون أطراف الحديث بينما كانت والدتهما تقومان بالترحيب بجميع المدعوين والحضور من خلال تبادل أطراف الحديث معهم هنا وهناك.

كان الحفل يضح بالشخصيات الهامة والمرموقة التي جاءت احتفالاً بالمناسبة ما أضفى على أجواء الحفل روحاً من الرقي والتنافس الاجتماعي الذي كان يميز هذا النوع من الحفلات التي تعد مناسبة جيدة جداً لاستعراض آخر صيحات الموضة وتناول الشائعات بكل أنواعها السياسية والفنية والاجتماعية.

"لقد سمعت بأن بانا ابنة السيدة كريمان انفصلت عن زوجها" قالت إحدى ضيفات الحفل وهي تتمتم في أذن صديقتها التي لم تحف دهشتها الشديدة لسماع خبر كهذا.

"لقد سمعته أيضا ولكن لم أعلم بأن الخبر صحيح" أجابت صديقتها بعد أن وضعت كأسها الفارغ في يد النادل الذي كان يمر بين الحضور متناولاً جميع الكؤوس الفارغة ويليه زميله حاملاً بعض القطع الصغيرة من تارت الفواكه الاستوائية المميزة.

"أخبرتني إحدى قريباتها، وقالت إن بانا هي التي قررت الانفصال".

"لا، غير ممكن، فزوج بانا رائع ولكن بانا فتاة مدللة صدقيني، ويبدو أنها لم تدرك بعد بأن الزواج ليس أحد أساليب التسلية التي اعتادت عليها".

"نعم ولكن....." صمتت السيدة حينما اقتربت كل من والديّ جوليا وكريم نحوهما مرحبتين وشاكرتين حضورهما.

بينما كانت إحدى الفتيات تسير في أرجاء الصالة برفقة خطيبها "ما أجمل حفلهما أليس جميلاً يا عزيزي؟".

"فعلاً إنه رائع" ثم اقترب الشاب من خطيبته ليهمس مداعباً: "ولكن حفل خطوبتنا كان رومانسياً أكثر، كان الحب في الأجواء أما الرتوش الرسمية هنا فقد غلفت المشاعر ببعض الجمود".

حدقت خطيبته فيه قائلة: "ومن قال لك هذا، إن عيني جوليا وكريم تنبضان حباً، ألم ترّ رقصتهما الأولى".

اقترب النادل منهما مقاطعاً حديثه قائلاً: "تفضلاً".

تناول كل منهما كأساً من العصير وشكرا النادل، عندها صمتت الموسيقى قليلاً لتبدأ العزف مجدداً المقطوعة الخامسة لبيتهوفن بينما دخلت فتاة ترتدي فستاناً قرمزيّاً مكشوف الكتفين يعكس سمرة بشرتها العاجية ليجعل ملامح وجهها أكثر حدية مع خصلات شعرها الفرنسية القصيرة ذات اللون الكستنائي اللامع واقتربت بجوار كريم وجوليا قائلة بنبرة أثنوية وصوت رفيع من خلف كتف كريم الذي كان ينظر في الجهة المقابلة نحو الحضور: "عزيزي كريم لم أكن أتصور

أن أكون ممن يقرأون خبر خطوبتك في الصحف ولست أحد المدعوين على قوائم كبار الزوار".

استدار كريم والدهشة تملأ محياه "ناتاشا.... لم أكن أعلم أنك هنا، ظننت أنك مسافرة".

ثم استدار نحو جوليا وهو يقول بصوت لا يخلو من الحماس: "ناتاشا أحد أعضاء مجلس الإدارة في فندق الريتز وصديقة قديمة وغالية على قلبي... جوليا خطيبتي".

صافحت ناتاشا جوليا قائلة: "مبروك يا عزيزتي".

اقتربت جوليا من كريم بعد أن التفت يدها حول خصره النحيل قائلة: "أشكرك على حضورك يا عزيزتي" قالت ناتاشا: "هناك من استطاع أن يسقط كريم في شباك الزواج أحياناً فابتسمت جوليا وهي تنظر إلى عيني كريم "ربما هو من استطاع أن يقودني للموافقة على الزواج" ثم أكملت قائلة "علينا أن نرحب ببقية الحضور يا عزيزتي" ثم استدارت نحو ناتاشا قائلة: "شكرا لحضورك وأتمنى أن تمضي ليلة سعيدة معنا، اسمح لي لنا". هزت ناتاشا رأسها قائلة: "بالطبع تفضلاً"، عندها أشارت جوليا إلى النادل أن يقدم العصير لناتاشا وغادرت وهي تتأبط ذراع كريم!

كانت جوليا وكريم ينتقلان بين الحاضرين، ليشكروهما على الحضور، ولتأخذ لهما الصحافة بعض الصور التي تليق بخبر سياسي اجتماعي كهذا وما أن سارا قليلاً حتى وجدت جوليا نفسها فجأة بين ذراعي كريم في تراس المنزل الكبير بعيداً عن الضجيج.

احتضنها كريم من خصرها النحيل هامساً في أذنها: "هل اعترتك الغيرة يا عزيزتي؟!".

حدقت جوليا إلى كريم للحظات ثم قالت وهي تنظر في الحديقة الشاسعة أمامها: "ماذا تقصد؟".

قال كريم: "أقصد ناتاشا".

فقالت جوليا بنبرة هادئة: "ناتاشا؟ لم أشعر أن هناك ما يجمعكما غير الصداقة، ولكن لم يعجبني حضورها بهذه الطريقة بلا دعوة".

عندها اقترب كريم أكثر قائلاً: "هل هذا هو السبب الوحيد؟". فأجابت جوليا وهي تحديق إلى الفراغ: "ربما ليس الوحيد ولكنه الواضح حتى الآن".

فابتسم كريم قائلاً: "وبرغم كل فلسفتك، ورغم حضور الجميع، تبقين أنت جميلتي الوحيدة لهذه الليلة".

عندها اقترب منها كريم أكثر محاولاً جعل يديه تلتفان برفق فوق عنقها مبعداً خصلات شعرها المموج عن كتفيها لتقول جوليا بصوت رقيق: "كريم! الحفل والحاضرون".

قال كريم وهو يقترب أكثر وأنفاسه المتهدجة تعلو بصمت "وماذا في ذلك فأنتِ خطيبي الآن".

حاولت جوليا التملص من ذراعه القوية قائلة: "نعم... ولكن ليس أمام الحضور".

أمسك كريم رسغها وقربها منه أكثر ونظراته تزحفان فوقها ببطء بينما كانت أنفاسها تتوالى بهدوء مصطنع عندها قاطعتهما والدة كريم قائلة: "هيا يا عزيزي لقد وصلوا".

أجاب كريم وهو لا يزال يبصر في حنايا جوليا "حسناً يا أمي، نحن قادمان".

دخل كل من كريم وجوليا إلى الحفل وكانت الناس تراقب خطاهما وبعد قليل كانت ابتسامة كريم ونبرته المسرحية لا تزال تغمر كلماته حين وقف وسط المكان مشيراً للعازفين بالتوقف وقال "اسمحو لي يا ضيوف الأعراء بأن أختتم حفلي هذا باختطاف حبيبتي من الجميع فبينما أنتم تتناولون عشاءكم وتستمتعون به الآن نحن بدورنا سنكمل احتفالنا على متن اليخت في قلب البحر استمتعوا جميعاً وأكملوا الحفل كما كنتم". أكمل كريم جملته وهو ينظر إلى عيني جوليا التي تسمرت من هول المفاجأة كما تسمرت العديد من الفتيات اللواتي تمنين ولو للحظة أن يقفن هناك حيث جوليا تقف. كانت والدهما تهمس بأذنها قائلة: "يا لروعتك يا كريم، كم هو رومانسي، لا أصدق أنه فعل هذا! كم هو رائع... هيا اذهبي". كانت جوليا تحدق إلى كريم الذي اقترب من والدها قائلاً: "اسمح لي يا عمي".

قال والدها مرحباً: "طبعاً تفضل يا بني" ثم أكمل مبتسماً وهو يلوح بيده قائلاً: "ولكن اعتن بجوليا جيداً". أجاب كريم مبتسماً: "بالطبع لا تقلق".

توجه كل من كريم وجوليا نحو السيارة بينما كان الجميع يهتفونهم بخطوبتهم المميزة، ثم سارت السيارة متجهة نحو الشاطئ حيث يرسو اليخت المضاء والذي كانت تعلوه الموسيقى وتملؤه الشموع ممزوجة بطعم البحر ورائحته.

صعد كل من كريم وجوليا إلى اليخت وبينما كانا جالسين يتناولان طعام العشاء على أنغام الموسيقى التي تعزفها الفرقة الموسيقية المؤلفة من العازفين الثلاث الذين حمل أحدهم الكمان والآخر التشيللو

الخاصة به ليضفي على الأجواء سحراً خاصاً مع ضوء الشموع المنارة في كل أرجاء اليخت.

قالت جوليا وهي تتناول كأس العصير الذي أمامها لترتشف منه بضع رشقات صغيرة: "إنها حقاً ليلة مميزة يا كريم.. لم أكن أعلم أنك رومانسي كما تقول أمي".

ابتسم كريم الذي نهض ليقف على حافة اليخت وصفحة البحر الشاسعة خلفه تنعكس في عينيه المضيئتين بلون القمر: "الحب يا عزيزتي في علم الرجال يصنف تحت كل ما هو ملموس وحسي، بينما في عالمكن أنتن النساء ربما يقتصر أعماراً طويلة على بضع جمل وكلمات وأحاسيس غير مرئية تجتررها وقت اللزوم".

نهضت جوليا ووقفت بجانبه قائلة: "وهل هذا الحب؟".

أجابها كريم مقترباً: "لا أدري ربما أنت من يملك الإجابة".

أجابت جوليا وهي تحديق إلى القمر ويد كريم تداعب خصلات شعرها الحالك المزوج بظلمة المساء: "اللامهية لكل ما هو غير مرئي، وما دام الحب في عرف النساء غير مرئي لا أملك الإجابة".

اقترب كريم هامساً: "وهل وجدت مساحة الحب الضائعة بيننا دون لمسة الزر".

ابتسمت جوليا بصمت وقالت: "ربما ما زلت أبحث".

حدق كريم إلى جوليا وموسيقى بحيرة البجع ترسم الصراع الداخلي فيه إلى صورة فوق صفحة وجهه المتوترة "عمّ تبحثين يا جوليا؟ أحقاً ما زلت غير متأكدة من وجود ما يجمع بيننا غير ترتيب الزواج بين العائلتين بهدف توسيع نفوذهما كما تسمينه".

قالت جوليا وهي لا تزال تحديق في البحر أمامها: "ربما".

كانت الموسيقى تملو أكثر فتنتزع مشاعرهما المتلاطمة لتتكسر فوق أنفاسهما كتكسر الأمواج أمامهما فوق صفحة البحر المضاعة بنور القمر: "وما هي الرابما التي تحاصرني نفسك في زواياها الآن" عندها التفت يد كريم حول خصر جوليا بقوة ليديرها في وسط ساحة اليخت التي تم إزالة بقايا العشاء منها لتبدأ خطواته تراقصها بصخب على أنغام البجعة السوداء المتمردة والتي علت من فوق أوتار الكمان الذي أغمض عازفه عينيه مندجماً بأنغام الموسيقى المتناثرة.

"ما الذي تعتقدينه بالربما هذه يا جوليا؟ ألم تلمسي بعد جوانب الحقيقة الكامنة خلف تمردك الذي لا يحمل مكنوناً في داخله؟".

اقتربت جوليا منه وهي تبادل الخطوات بنفس القوة: "ولم تعتبر عدم تأكدي تمرداً... لم لا تسميه حالة من التوافق غير الملحوظ مع نفسي، فنحن بشر يا عزيزي، ومن منا نحن البشر يعرف حقيقة كلمة نعم، فهل أنت متأكد؟".

توقف كريم قليلاً والموسيقى ما زالت حولهما ونظر في عينها وقال: "نعم الآن متأكد بأنها نعم".

كانت جوليا تحرق إليه قائلة: "وهل مصير القرارات الحتمية في حياتك لحظية دوماً؟".

كان كريم قد بدأ صوته يفقد هدوءه حين قال لجوليا: "كفاك تسلحاً بالفلسفة يا جوليا وإن كنت لا تملكين جرأة النعم فأنا أملكها، وسأترك قلبك يقف متأرجحاً على عتبة الربما تلك حتى يعلم كيف تُحسم القرارات".

عندها أشار كريم للفرقة بالتوقف، ثم ترك جوليا تقف وحدها في وسط اليخت، ودفع بعض المال للفرقة الموسيقية التي توجه أفرادها بدورهم نحو درجات اليخت مغادرين المكان. عاد كريم باتجاه جوليا التي كانت تسير متوجهة نحو حافة اليخت ثم قال بصوت قادم من بعيد: "ما زلت حائرة؟".

حدقت إلى كريم وكأها تحاول أن تجعله يرى ردة فعل ملامحه على سؤالها في مرآة عينيها المصقولة "وهل أنت متأكد أنني أصلح أن أكون زوجتك؟ هل تعرفني؟ هل تعرف من أكون وفيم أفكر وماذا أريد؟" سارت جوليا مبتعدة عنه قليلاً وقالت: "أنت مثلي تماماً ما زلت تبحث عن تلك المساحة، فكلانا نعرف أن زواجنا ليس تقليدياً ولكنه سياسي".

اقترب كريم منها محاولاً كتم غضبه: "وهل تعتقدين أن هذا الحفل وهذه التجهيزات من الأعيب السياسة؟".

أجابت جوليا: "لو لم تكن ابن السيد عارف وأنا ابنة المرشح الأول لرئاسة الدولة والممثل الرئيسي لحزب التآلف الوطني السيد حاتم هل كان حفل خطوبتنا هكذا؟ هل كنت ستعلنه هكذا؟ ألن يكون هنا مثلاً على هذا اليخت بيننا نحن العائلتين فقط؟ أو في منزل والدي بجانب البركة؟ نحن والمقربين، أليس كل هذا نوع من الإعلام المبطن وفن استقطاب الخبر؟ وهكذا نعود إلى فلك السياسة".

قال كريم بعد أن اقترب منها أكثر: "هل تعتقدين بأن رقصتنا الأولى محض مجاملة إعلامية؟! أم تعتقدين أن حفل العشاء الذي لا يشهده سوانا على ظهر هذا اليخت وضوء القمر هنا أيضاً من قبيل الإعلام".

عندها نظرت جوليا إلى عينيه بثبات: "وهل أنت تحبني؟!".
تجمد كريم في مكانه متسماً وكان سؤالها قد مزق هدوء المكان وهدوء نفسه لتدخله جوليا بسؤالها في دائرة الشك فحدق إليها بصمت يشبه هدوء البحر أمامهم قبل ثورانه، ربما بدأ الحب يطرق بهما وربما لا، فالإنسان خلق مخيراً لكثرة الطرق التي سيسلكها والتي سيحاول اتخاذ قرارات مصيرية فيها ولكن يبقى القرار دوماً خاضعاً لكل الظروف وعندها يعلم حتى القرارات الحتمية كانت مجرد كلمة ربما، وبعد تجربتها باتت حقيقة تؤكد له خطأ القرار أو صوابه.

كان صمت كريم هادئاً لدرجة جعل نسمة الهواء الرقيقة تشعر جوليا بالبرد، اقترب منها أكثر وعانقها برقة جاذباً خصرها النحيل نحوه ثم بدأت شفتاه تزحف فوق عنقها بانسيابية بينما كان صوت نبضاتها يخفق في أنحاء جسدها بقوة فهمست قائلة بنبرة مقاومة دافئة "كريم...".

عندها عانقت شفتاه شفتيها حتى غاب الاثنان في قبلة غمرها ضوء القمر، في تلك الأثناء كان الموج يعلو متكسراً فوق حافة اليخت الباردة وجوليا وكريم تغمرهما اللحظات بدفء لتنساب كفا كريم الباردتين فوق انحناءات جسدها المرتعش فتنهدت جوليا وهي تحاول إبعاد كفيه قائلة بهمس "كريم...." عندها وضع كريم أصابعه فوق شفاها وعادت لمساته تبهر بين حناياها لتقول من بين أصابعه "كريم... أرجوك" كان كريم لا يزال غائباً في نسائم عطر جوليا وأنفاسها الناعمة وصوتها الذي ينساب في أذنيه "كريم... ماذا تفعل؟" أجابها كريم وهو لا يزال يغفو في حنايا

لمساته المناسبة فوقها برقة: "أضعك على عتبة النعم يا عزيزي".
وبين ذراعه المتتفة على خصرها النحيل وجسده الذي يحترق
تحت وطأة جسدها المرتعد كانت مشاعرها المتضاربة تثير عاصفة من
التساؤلات المزوجة بين الحب والرفض. عندها وضعت جوليا كفيها
فوق كتفي كريم وأبعدته قائلة "كريم.. لا أدري ولكن كل ما أعرفه
في هذه اللحظات أن هناك مجموعة من المشاعر الجميلة ما بين الحب
والسعادة والشعور. بمعنى كلمة أنثى تسمع نبضاً في أنفاسها لا تستطيع
تفسيره".

نظر كريم إليها بصمت، ثم امتدت يده نحو شعرها المتموج
وجذبها إليه، لم تستطع التملص منه فاقترب منها أكثر وهمس قائلاً:
"جوليا... لِمَ تواصلين الانسحاب؟ دعي قلبك هو الحكم".
"ولأن قلبي هو الحكم علي الرفض".
حدق إليها كريم فجأة: "لِمَ؟!".

قالت جوليا وهي تقترب من حافة اليخت "لِيتني كنت أعلم
..رغم جمال كل هذا إلا أنني لا أستطيع".

استدارت نحو كريم قائلة "شكراً.. على الليلة الجميلة يا كريم
ولكن دع النعم تطرق الباب وحدها" ثم اتجهت نحو الدرجات لتغادر
اليخت عندها وقف كريم محمداً إلى خطواتها الباردة التي غلفت روجه
ببرودها فأصبح عالقاً ما بين حب ملموس ورغبة متقدة؛ فهل حقاً
هذا هو الحب؟ وما أن خطت خطواتها على الدرجة الأولى حتى
اقترب منها ولف ذراعه بقوة فوق خصرها ليلتصق جسدها المكسو
بثوبها المنساب فوق تفاصيله العاجية بجسده المرتعش عندها قالت
محاولة الابتعاد: "كريم... ماذا تفعل؟".

حاولت جوليا فك ذراعيه إلا أنها تعثرت فوق الدرجات وسقطت، فاقترب منها كريم وهي تتألم بسبب كاحلها الذي التوى تحت ساقها، عانقها بقوة ثم اقترب من عنقها وهو يمسك شعرها المتناثر على الأرض، أخذت جوليا تصرخ: "ابتعد يا كريم... ابتعد". ثم ضربته بكلتا ذراعيها وأبعدته عنها ونهضت بسرعة محاولة الهروب، ولكنها سقطت بسبب كاحلها الملوي ما جعل كريم يمسكها بقوة فصرخت مستجدياً: "كريم ابتعد، لا تفعل أرجوك ابتعد". كانت تحاول بكل قوة مقاومة يديه القويتين وشفثيه المتعطشتين اللتين كانتا تزحفان فوق جسدها المتهاوي. كانت تركله بيديها وقدميها وتحاول دفعه بعيداً عنها، لم يسمع صراخها ولا أنها ولم يتأثر بخدوش أظفارها التي مزقت قميصه الحريري الأبيض، كانت تصرخ بألم وصوتها يدور في رأس كريم كالقادم من بعيد: "كريم أرجوك لا تفعل. إياك يا كريم.. لا تفعل.. ابتعد".

كانت تحاول جاهدة بكل ما أوتيت من قوة الرمق الأخير للمقاومة أن تبعده عنها، إلا أن ثوبها الأخضر الممزق تحت جسده القوي وعضلاته الصلبة جعلتها تعي أنه لم يكن يسمعها وأنها باتت تعلم جيداً الحقيقة العارية كعري ثوبها الممزق الآن وجسدها المشروخ تحت وطأة نفوذه، بأنها لم تعد تتأرجح في حنايا الرنما.

ليلة اليخت

كانت جوليا ترتمي في وسط أرض اليخت الخشبية بشياها الممزقة وكريم يحرق إليها بصمت وهو جالس بجانبها يعتريه الدهول، تقدمت يدها المرتعشان نحو وجهها الممزق بتعابير ألم ارتسمت رغم غيابها عن الوعي، كان نبض قلبه يعلو صوت أنفاسه وصوت أمواج البحر الثائرة من حوله، والتي كانت تهز مرساة اليخت بين الحين والآخر معلنة ثورة تعتلي روح جوليا الهائمة في حالة اللاوعي التي سقطت فيها جراء ما حدث.

اقترب كريم بصوت مرتعش من جوليا "جو... جوليا... انهضي".

حاول أن يقترب منها محاولاً رفعها عن أرض اليخت ولكن خذلته يده فلم يستطع حملها ولم يكن يعلم هل هو شعور الذنب أم خارت قوى جسده الرياضي أمام فلسفة جوليا التي كان يشعر بأنهما غير منطقية فأشعلت في قلبه نار الرجولة المحترقة تحت رماد امرأة رافضة!

حرق كريم مطولاً إلى جوليا التي كانت في حالة يُرثى لها بشياها الممزقة وشعرها المشعث وعقدها الماسي المحطم بجانبها من جراء مقاومتها الطويلة له. كانت نظرتة ترتعد خوفاً. زحف بعيداً عنها

وقدماه لم تستطيعا حتى الوقوف فأخذ يجبو كطفل بخطواته الأولى إلى الوراء والذعر يمزق نظراته المحدقة إلى جوليا: "ماذا فعلت؟".

كان صوت والدها يرن كقرع الطبول مع كل موجة هادرة "ولكن اعتن بجوليا جيداً".

حاول أن يهدىء من نفسه وهو يحرق إلى ساعة يده المكسورة بشظايا أشبه بشظايا روحه الشائكة في هذه اللحظة، وأخذ يفك البايون السوداء ثم بدأ يفك الزر الأول من القميص فوجده قد سقط أثناء العراك بينه وبين جوليا.

جلس كريم طويلاً أمام البحر عاقداً كفيه ورأسه يسقط بين يديه تارة ويرفعه نحو الأفق أمامه تارة أخرى، لا يملك شيئاً سوى التحديق إلى الفراغ، في تلك الأثناء بدأت جوليا تتحرك ببطء محاولة الاستيقاظ غير مدركة لما حدث ولم تذكر شيئاً للوهلة الأولى ولكن حين نظرت نحو ثوبها الممزق ارتعشت بقوة وزحفت للخلف والخوف يكاد يمزق أوصال جسدها المتهالك، تراجعت نحو الخلف وهي تحرق إلى كريم الذي على ما يبدو لم يكن يشعر بحركتها حتى ارتطم رأسها بحافة اليخت، عندها أدار كريم رأسه نحوها بصمت. كان غير قادر على الاقتراب، فقال لها من بعيد: "جوليا... لقد استيقظت".

كانت جوليا عاجزة عن الكلام، فانسابت عبراتها بصمت حارق فوق وجنتيها وأخذت تلملم ثوبها الممزق فوق كتفيها العارين محاولة الاحتباء ببقايا القماش الأخضر الزمردي الذي انطفأ بريقه تحت ضوء القمر المتلثم بالغيوم الضبابية في السماء، فأصبحت روحها تتبعثر كتبعثر الأطراف الممزقة من ثوبها والتي تهيم مع الرياح القادمة من الشمال معلنة هبوب عاصفة عن قريب.

اقترب كريم بخطوات متعثرة وبصوت لا يكاد يسمع: "جوليا... أنا...".

"ابتعد" قالت جوليا بنظرة محترقة ومغلقة بجليدٍ قاسٍ وصوت بارد كبرودة شباط، أثارت الرعب في قلب كريم وجعلته يتراجع إلى الخلف.

وعاد يقول بصوت لا يخلو من التوتر: "جوليا.. عليك أن تستمعي إلي، أنا...".

قاطعته جوليا بنبرة شرسة: "ومن قال بأنني سأستمع؟ اصمت".

اقترب كريم منها محاولاً التماسك وقال بصوت أكثر ثباتاً وهو يحدق فيها: "جوليا... أنا لم أكن...".

قاطعته جوليا وبصوت مزجه الرعد الذي مزق السماء بحالة من الغضب "قلت لك اصمت، إن صوتك يثير اشمزازي".

عندها حدق كريم إليها وقال: "لم أنو يوماً إيذاءك ولكن أنت...".

نهضت جوليا رغم ضعف جسدها المتهالك وقالت والدهشة تمتزج بالغضب في صوتها الواهن الضعيف: "أنا...؟!.. أملك المرأة الكافية لتقول أنا".

كان كريم يسير ببطء مقرباً نحوها حين لوحت بيدها مهددة: "إياك أن تقترب أكثر".

قال كريم بصوت يشوبه الحنان نوعاً ما: "جوليا حبيبي أنا آسف لم أقصد صدقيني... ولكن أنت في النهاية زوجتي وما حدث لن يغير شيئاً بيننا".

قالت جوليا بصوت يهدر كالريح "ومن قال إن لك الحق في ذلك؟".

عندها أجاب كريم: "أنا لم أمنح نفسي أي حق... أنا".
صرخت جوليا مقاطعة: "قلت لك توقف، فصوتك يثير
اشمزازي". سارت جوليا بخطوات متعثرة نحو درجات اليخت محاولة
مغادرته عندما اقترب كريم منها ممسكاً رسغها فارتعدت بخوف
شديد وابتعدت عنه بعد أن أفلتت يدها بقوة منه، فقال كريم وصوته
لا يكاد يُسمع من صرخات الرعد التي مزقت السماء معلنة بدء
العاصفة: "جوليا انتظري، لا تخافي، أنا لن أؤذيك".

صرخت جوليا بوهن ممزوج بأنات الرعد وضوء البرق
الغاضب ينعكس على وجهها الباكي: "لم يعد هناك ما تؤذي في
أكثر..".

حاول كريم الاقتراب منها أكثر محاولاً تهدئتها ولكنها صرخت:
"ابتعد... قلت لك ابتعد".

رفع كريم يديه محاولاً أن يجعلها تشعر بالأمان "لا تقلقي لن
أفعل شيئاً. ولكن عليك الدخول إلى اليخت فالسما تنذر بعاصفة
قريبة".

حدقت جوليا بصمت وقالت بصوت شارد: "لا يهم".
اقترب كريم ممسكاً بكتفيها قائلاً: "جوليا أرجوك".
عندما لمست يدها كتفيها، انتفضت جوليا بقوة وركضت نحو
الجهة المقابلة من اليخت وأخذت تحديق فيه بخوف "ابتعد يا كريم
قلت لك ابتعد، ابتعد". وأخذت تصرخ بطريقة هستيرية جعلت كريم
يحاول الاقتراب لتهدئتها: "لا تخافي جوليا" كانت تتراجع إلى الخلف

محاولة الابتعاد عن كريم حتى اصطدمت بحافة اليخت، كان كريم يقترب أكثر وبصوت هادئ محاولاً جذبها إلى داخل اليخت فالعاصفة بدأت تشتد، وعندما شعرت جوليا باقتراب كريم أكثر رمت بنفسها من على حافة اليخت إلى قلب البحر.

وقف كريم متسماً من هول ما حدث، كانت الأمواج العالية تمزق البحر من حولهما وصوت الرعد يخترق أنفاسهما ليعلن بدء شرخ ستتوالى تبعاته لاحقاً في حياتهما.

كانت العاصفة تحرك اليخت بقوة حينما رمت جوليا نفسها، عندها ركض كريم باتجاه الحافة والأمواج تكاد تلتهم جوليا في طرف البحر حيث يقبع اليخت الضخم جاثياً كعملاق يشهد الحدث.

"جوليا ماذا تفعلين ارجعي إلى هنا... جوليا". أخذ كريم يصرخ بصوت يختفي مع صوت الرعد العالي وهدير البحر الثائر.

كانت جوليا تسبح بقوة باتجاه الشاطئ محاولة الهروب من كريم ويخته وكل ما يحمله من ألم في داخله لها، كان صوت كريم يأتي من بعيد حاملاً اسمها عبر أثير المكان ما جعلها تسبح بشكل أسرع، وعندها خبا صوته تدريجياً فعلمت أنها باتت بعيدة عن اليخت وكريم وطوقها الماسي المحطم فوق أرض اليخت هناك، وفجأة شعرت بشيء يلتف حول ذراعها، أدارت وجهها لتتخلص منه فسمعت صوت أنفاس تعلق وتهبط من سرعة السباحة وإذا بكريم يطوق ذراعها قائلاً "هل جنت ماذا تفعلين؟!... لا تستطيعين السباحة في عاصفة كهذه".

كانت جوليا قد بدأت تفقد قواها حينما بدأت تضرب كريم بقوة على كتفيه قائلة: "ابتعد عني، دعني وشأني، قلت لك دعني".

كان كريم قد بدأ صبره ينفد حينما قال: "كفى... كفاك تصرفاً
كالأطفال، لقد اعتذرت لك عما حدث لم أقصد ذلك، انتهى الأمر
قد حصل ما حصل".

قالت جوليا بنبرة باردة زحفت فوق وجه كريم المبتل تحت المطر
"بل بدأ الأمر يا كريم".

أفلتت يده بقوة من فوق ذراعها ثم سبحت نحو الشاطئ الذي لم
يكن بعيداً عنها، بينما بقي كريم عائماً يحدق إليها من بين زخات
المطر التي بدأت تنهمر فوقه وتمحو صورة جوليا أمامه والتي باتت
تقترب من الشاطئ تدريجياً حتى اختفت بين الضباب الذي غطى
المكان.

رياح شباط

"علينا أن نستقطب الحاضرين غداً بطريقة تدعم موقفك الاجتماعي، فخطوبة جوليا وكريم حدث سيدعم الموقف وبقوة وعلى ما أعتقد أن الحزب سعيد جداً بهذا الارتباط". نهض حكمت ثم سار قليلاً نحو سور الشرفة، استدار وقال: "إن دخول حزبنا كمنافس للحزب الحاكم في الانتخابات الرئاسية خطوة تحمل في طياتها الكثير من المغامرة ولكننا أجمعنا على خوضها رغم إدراكنا التام لسيطرة الحزب الحاكم على الحكم منذ أعوام طويلة، لذا بات علينا التفكير في حملة إعلانية مدروسة ومخططة بشكل دقيق، تنتهي بالفوز، فالحزب الحاكم يتمتع بتأييد كامل من الشعب، ولكن إن استطعنا أن ندير الدفة باتجاه حزبنا من منطلق البحث عن التغيير ووضع خطط سياسية جديدة لمواجهة أحداث المنطقة ومتغيراتها، بطريقة تدعم وجهة نظر الشعب، سنكسب تأييداً وإن كان بنسبة بسيطة، عندها سيطرح السؤال نفسه: ألم يعد من الضروري ضخ دماء جديدة في ساحة الحكم من خلال حزب التآلف الوطني المتمثل بوجودك كرئيس منتخب؟".

حذق حاتم إلى الفراغ أمامه صامتاً دون أن يعلق على ما قاله حكمت، فقد كانت نظراته تحملها إلى لحظات زمنية أخرى حيث

جوليا وتسلسل عمرها أمامه حتى انتهت اللقطات بثوبها الأخضر الليلة.

"يبدو أن الشتاء سيكون قاسياً هذا العام" قالت ماجدة وهي تضع شالاً كشميرياً على كتفيها محاولة تدفئة نفسها قاطعة أفكار حاتم المتواترة.

"نعم، يا عزيزتي أعتقد هذا" أجاب حكمت ثم أردف قائلاً وهو يوجه نظراته المبتهجة إلى حاتم "إنها خطوة ذكية يا حاتم، فارتباط كريم وجوليا خطوة أبهرت الوسطين الإعلامي والسياسي. والحفل الرائع الذي أقامه كريم جعل الزواج يبدو قصة حب جميلة تجمع الطرفين تكلفت بالزواج والسعادة الأبدية كما في السينما." ثم ضحك وهو يشعل السيجار الكوبي الضخم بين إصبعيه فاقتربت منه ماجدة بدلال: "حكمت يا شقيقي العزيز كم تهوى السياسة ووسطها الذي لا ينتهي، ولكن ما أشعر به اليوم هو السعادة، السعادة فقط، فلقد رأيت تلك السعادة في عيني جوليا وهي تراقص كريم، ولم يكن زواجاً منسقاً كما تظن، كريم يجب جوليا وكان هذا الحفل من أجمل لحظات الرومانسية التي أهداها كريم لها."

حدق حكمت إلى شقيقته بنظرة لا تخلو من التساؤل: "وهل أنت متأكدة أن جوليا تحب كريم؟".

عندها أجاب حاتم بصوت شارد: "ربما...".

حدق حاتم إلى السماء الغائمة، وهو يعلم جيداً أن كلمات جوليا لا تزال تترع في أذنيه حينها قاطعت ماجدة تساؤلات حاتم الصامتة بقولها بطريقة حاملة: "ألا يكفيها أنه قد أنهى حفلهما الرائع

بلحظة رومانسية لا تُنسى على متن اليخت وضوء القمر". فأجابته
متنهدة: "كم هي جميلة باريس؟!".

ضحك حكمت برقة، واقترب من شقيقته مماًزحاً: "يبدو أن
قلب شقيقي العاشقة لا يزال ينبض بالحياة".

فرمقته ماجدة بنظرة مؤنبة، وغادرت الطاولة قائلة:
"طبعاً.. أما أنتم رجال السياسة فعلاقتكم بالحب كعلاقة الرياح
بشهر شباط، تنور لتنثر برودتها في الأنحاء، وترمي الصقيع فوق
الثلج الذي يغلف الأرض، وعندما يغادر شباط، تبقى الرياح
تتأرجح رغم ذوبان الثلج، فلا تدرك متى ستهب؟ ومتى
ستنطفئ؟".

حذق حكمت إليها وهي تغادر غاضبة، ثم استدار نحو حاتم،
وقرب كرسيه أكثر متمماً: "دعنا الآن من شباط ورياح ماجدة،
علينا أن ننسق جيداً للمرحلة القادمة من حملتك الانتخابية، فأنا بدأت
أعمل على توسيع عملية التسويق للحملة بطريقة تجعل نسبة التصويت
تنتقل لصالحك، إن ارتباط كريم وجوليا كان في الوقت المناسب لذا
علينا أن...".

قاطعته حاتم قائلاً: "ابنتي ليست من ضمن إعلانات الحملة
يا حكمت".

حذق حكمت إلى حاتم ثم قال: "هي ليست إعلاناً، إنها حدث،
وحدث هام جداً".

قال حاتم: "إن زواج ابنتي هو حق من حقوقها الشخصية، فإذا
قبلت أن يكون خبيراً من ضمن الحملة سأمنحها إياه، أما إذا رفضت
فعليك أن تلغي الفكرة تماماً".

نفض حكمت، وأخذ يسير ببطء نحو الشرفة والجو يزداد برودة:
"أما زلت تعتقد أن الحياة بميزان واحد؟ هل حقاً تؤمن بمصادقية
الحدث؟!".

عندها قال حاتم بحدة نوعاً ما: "إنها ليست حدثاً.. إنها ابنتي
وابنتي الوحيدة".

اقترب حكمت من حاتم وفي عينيه بريق كاد يخرق صدر حاتم:
"أتمنى ذلك".

فسأله حاتم بعصبية: "هل جننت يا حكمت؟ هل تعتقد أنني قد
أضع ابنتي كقطع سياسي لتحقيق مبتغاي!".

جلس حكمت على الكرسي، وهو يعلم أن حاتم رغم كل
شعاراته لا يزال متيقناً تماماً أين سيقف ومتى سيلقي مرساته؟ فليست
كل الشيطان واحدة، وليست كل الشهور آب، حيث الشمس تحلق
كل يوم في السماء لتكشف جميع الحقائق. ابتسم حكمت وهو ينفث
دخان سيجاره قائلاً: "أنت تعلم أنك الآن في معترك البقاء فيه
للأقوى".

فأجابه حاتم بشراسة: "بل البقاء للأنقى".

ابتسم حكمت بمكر: "في أي عصر؟ عصر الفلاسفة؟ نحن في
الألفية الثانية. هل تعتقد أن البقاء للأنقى، أعتقد أن أفلاطون لا يزال
حيّاً؟ وإن كان حياً حقاً لما ظهر ماركس؟ ولما كان هناك رأسمالية؟
يا صهري العزيز إن هم البشر لذة كلما تذوقها الشخص ازدادت
رغبته في الاقتراب أكثر حتى وإن كانت في حلقة من نار، لذا عليك
أن تتقن فن الاقتراب دون احتراق".

حدق حاتم إلى حكمت وسأله بصوت المتمرس: "وهل تعتقد

أنني حديث العهد بالسياسة وأزقتها المتشعبة، أليس من الممكن أن تكون خبرتي السياسية كافية لفوزي؟ وعندها ستكون وجهة نظري صائبة".

قال حكمت وهو يرتشف من كأس الماء أمامه: "عندها سيجرفك التيار، فخريطة العالم باتت في تغيير مستمر واللعبة السياسية لم تعد تقتصر على الحزب ورغباته، ففي عصر العولمة، عليك أن تخصص كل شيء حتى فكرك إن أردت أن تستمر".

مع ازدياد برودة الجو، نهض حاتم متجهاً للداخل وقال مبتسماً: "عندما أستمر سنرى الخارطة الجديدة للعالم من أعتابي".

كانت ماجدة تجلس وهي تقلب في الصور التي استطاعت التقاطها بشكل سريع لحفل خطوبة ابنتها وقالت بصوت شارد دون أن تدرك دخول شقيقها وزوجها إلى الصالة: "كم أنت جميلة يا صغيرتي".

اقرب حاتم وطبع قبلة على جبين زوجته: "كأماها يا عزيزتي، فأنت جميلة دوماً".

ابتسمت ماجدة عندما جلس حاتم إلى جانبها، وحكمت قبلتها ثم قالت: "كم هو رائع ما فعله كريم الليلة، كل الأمور كانت ممتازة، ولقد رأيت الغيرة في عيون الجميع، فجميع السيدات الحاضرات تمنين أن تكون بناهمن مكان جوليا حيث...".

"أبي... قاطعها صوت جوليا المنهك من ورائهم وهي تكاد تنهاوى أرضاً بشبابها الممزقة ووجهها الذي حفرت عليه الليلة كل ذكرى لا تنسى.

ففض حاتم بسرعة محتضناً ابنته التي بدأت تسقط أرضاً محاولاً حملها بشياها الممزقة والمبللة ثم وضعها على الأريكة الجلدية وقال بصوت مرتعد: "جوليا... ماذا حصل يا ابنتي؟".

اقتربت ماجدة من ابنتها المنهارة، ثم أخذت تمسح وجهها بالمناديل التي أمامها، وسألتها بصوت يكاد يتمزق خوفاً عليها: "ما بك يا ابنتي؟ ماذا حصل؟ وأين كريم؟ هل هو بخير؟ هل أنت بخير؟ ما الذي فعل بك هذا؟ أجيبيني".

كان حكمت يقف محاولاً أن يجعل جوليا تشرب كوباً من الماء ثم قال: "دعوها تسترح قليلاً، حاولي أن تشربي بعض الماء يا عزيزتي".

اقترب حاتم من ابنته التي نظرت إلى عيني والدها باحثة عن إجابة: "ماذا حدث؟!" لم تستطع جوليا حتى هذه اللحظة أن تدرك ماذا حدث، عندها همست بصوت مرتجف: "أشعر بالبرد". ففض حاتم ليحلب لها ما يدفنها فأمسكت براحة يده وقالت: "لا، ابق بجانب أبي".

اقترب حاتم من جوليا بصمت، ثم احتضنها برقة وقبلها على جبينها: "اهدئي يا ابنتي، أنت معي الآن، لا تقلقي".

صمتت برهة، ثم ألقّت برأسها بقوة فوق صدر والدها، الذي كانت تسمع أنفاسه بوضوح، وأجهشت بالبكاء ومن بين النحيب أردفت قائلة: "لا، ليس هو يا أبي".

تحت وطأة ما يحدث، حاول حاتم تهدئة ابنته، بينما وقفت ماجدة لا تعي ما يحدث، وحاول حكمت تهدئة شقيقته التي سقطت على الكرسي المقابل بعد انهيار جوليا التام في أحضان أبيها.

"لن أستطيع البقاء معه يا أبي، لا يمكن أن يكون هو، لا يمكن". كانت جوليا تردد بهستيرية وصوت مزق أركان المنزل الساكن، عندها قرع الجرس ودخل كريم لاهثاً وهو يسأل: "هل وصلت جوليا؟" فرآها في أحضان والدها تبكي، عندها اقتربت ماجدة من كريم وسألته: "ماذا حصل يا كريم هل أنت بخير؟".

أجابها كريم: "أردت التأكد أنهما متصل إلى هنا".

قالت جوليا بغضب: "وها قد تأكدت، ما الذي تفعله هنا؟".

اقترب حكمت من جوليا وقال: "اهدئي..". ثم استدار نحو

كريم وسأله: "ماذا حدث يا كريم؟".

بهذوء أجاب وهو يللم قميصه الممزق: "يبدو أن جوليا منهكة

بعد مشوارها الطويل في البحر، لا تقلقوا سأناقشها في الموضوع لاحقاً".

نهضت جوليا والغضب يعتمل في داخلها يكاد يحطم جدران

المنزل ثم اقتربت منه: "أي جرأة تلك التي دفعتك أن تدوس أعتاب منزلي".

عندها نهضت ماجدة قائلة: "جوليا ما بك؟ هل جنت؟ كيف

تكلمين خطيبك بهذه الطريقة؟!".

كانت جوليا تصرخ بلا وعي، محاولة انتشال نفسها من هاوية

عميقة، سقطت كافة أحاسيسها فيها: "ليخرج الآن والإلا...". وقف

كريم وكنفاه العريضان لا تزالان مبتلتين. مملوحة البحر وتهافت

أمواجه فوق صدره نصف العاري بعد أن سقطت أزوار القميص

الأولى وقال متجاهلاً جوليا: "سيد حاتم لم آت هنا لأتصرف

بوقاحة، ولكن جوليا لم تمنحني الفرصة الكافية لتصحيح الموقف، لقد

جئت بسبب خوفي الشديد عليها عندما أَلقت بنفسها في البحر ساجحة
باتجاه الشاطئ، وجئت لأقدم اعتذارى عما بدر، فأنا لم أكن أعى ما
حصل، لقد أتيت لتوضيح الموقف. فما اقترفته خطأ وليس بكارثة".
"قلت لك اخرج حالاً، أنت لا تملك من الرجولة سوى مظهرها
ككل شيء في حياتك". ثم أردفت متحشجة: "اخرج فوراً...
اخرج فوراً وإلا أبلغت الشرطة".

حدق الجميع بذهول، بينما فغرت ماجدة فاهها مشدوهة، ثم
تسلل صوت كريم ليقول: "وهم ستبلغين الشرطة؟ أنى اعتديت على
خطيبتى التى هى زوجتى مستقبلاً؟".

سقطت ماجدة فوق الكرسي، ووقف حكمت متسماً بينما
كانت خلجات وجه حاتم تكاد تنفجر غضباً، عندها اقترب كريم من
حاتم قائلاً: "سيد حا..". كان حاتم واقفاً يحدق إلى كريم بنظرات،
شعر كريم بلسعتها، عندما قاطعه بصوت خالٍ من المعالم: "اخرج من
بيتى فوراً".

نظر كريم إلى حاتم والجميع، وقد كانت ملامح وجهه قد
تبعثرت من نظرة حاتم الحارقة، حاول أن يتكلم إلا أنه تراجع ثم غادر
المكان دون أن ينطق بىنت شفة، حدقت جوليا إلى والدها عندما
بدأت الصورة تختفى أمامها لتسقط أرضاً وآخر ما سمعته صوت
والدهما القادم من بعيد ينادى: "جوليا ابنتى".

لا... لن يكون

صعدت ماجدة إلى غرفة جوليا لتبقى إلى جانبها محاولة استيعاب ما حدث، بينما كان كل من حكمت وحاتم في الصلاة الكبيرة في الأسفل يجلسان والصمت يخيم بثقل على المكان. عندها توجه حاتم نحو الهاتف ملتقطاً السماعة.

"دكتور قيس...".

ركض حكمت باتجاهه مسرعاً وأغلق السماعة قائلاً: "ماذا تفعل؟".

حقد حاتم إليه بعينين ملؤهما الغضب: "أتصل بطبيب العائلة، عليه أن يأتي ليري جوليا. ألا ترى حالتها؟".

قال حكمت: "هل جنت! بالطبع لن نخبر أحداً... هل تعتقد أن الطبيب سيكتفي بعلاجها أو الاطلاع على حالتها فقط؟". ثم أردف قائلاً وهو يشعل سيجارته: "إن خبراً كهذا سيسقط حملتك الانتخابية فوراً".

نظر حاتم إلى حكمت بوجه خال من التفاصيل حينما اقترب منه قائلاً بصوت هادئ لدرجة الصقيع: "إنها ابنتي...".

قال حكمت: "وما الذي حدث؟ إنه خطيها رسمياً وما حدث لا يعني شيئاً بينما حملتك الانتخابية تعني الكثير، كريم خطيها وغداً

حينما يتزوجا سيصبح كل ما حدث في طي الماضي، عليك التفكير بعقلانية، فالخاسر الوحيد في الوضع الحالي هو أنت".

عندها صرخ حاتم منفجراً في وجه حكمت: "هل جنت؟! هل الحياة كلها لديك مجرد صفقة!" ثم اقترب من حكمت بنظرة مهددة: "استمع إليّ جيداً، لن تكون ابنتي ثمن تلك الحملة الانتخابية المزيفة". كان حكمت يعلم أن المثاليات لا قيمة لها في المعترك السياسي، فهو مرقص كبير ويحتاج إلى خطوات ثابتة ومدروسة حتى لا يتعثر الجميع وتصبح رقصتهم الأخيرة، فحاتم كرجل سياسي واجتماعي مرموق، حياته وحياة عائلته على المحك، لذا لا يجب أن تكون العاطفة هي الفيصل.

"توقف عن التفكير في لحظة غضب" قال حكمت ثم أكمل: "أعلم أن النيران تشتعل في صدرك، ولكن انظر نحو الأفق أمامك". فقد حاتم رباطة جأشه وقال: "لا يمكنني التنازل عن مشاعر أبوتي نحو ابنتي من أجل سراب السلطة الذي تلهث وراءه متعطشاً ولا ترتوي، إن لحظة الارتواء من دموع صغيرتي هي الحقيقة المحضة".

عندها سُمع صوت ماجدة من بعيد مقاطعاً: "حاتم... حكمت محق" ثم قالت وهي تكمل خطواتها على الدرج الطويل لتقترب من حاتم وبصوت ثابت: "إن خيراً كهذا سيدمر كل شيء". قال حاتم في وجه ماجدة بعصبية: "ما الذي تقولينه يا خريجة السوربون؟ هل هذا ما تعلمته بباريس؟".

أجابت ماجدة وهي تبكي: "هل تظن أنك وحدك من يتألم؟ هل تعتقد أنك وحدك من يمتلك العاطفة في قلبه؟ إنها ابنتي أيضاً،

ولكن خيراً كهذا سيهز المجتمع، وسيدمر حياتها هي الأخرى، هل تعتقد أن الصحافة ستترك جوليا وشأنها إن علمت بالأمر؟".
عندها مزق صوت جوليا المكان وهي تسير نحو الجميع قائلة:
"لا يهمني ما قد يحدث، فكريم لن يكون زوجي".
حدق الجميع إلى جوليا التي كانت أكثر ثباتاً، ثم خيم الصمت الثقيل حتى كاد يخنق الجميع.

* * *

حدق كل من عارف وثريا بذهول عندما دخل كريم بشبابه المتبلتة وشعره المبعثر وقميصه الممزق فركضت ثريا نحوه بصوت فزع:
"ماذا حدث يا بني؟"
جلس كريم والغضب يكاد يمزقه: "لا شيء".
عندها قال عارف: "ماذا تعني بلا شيء وأنت بهذه الحالة؟ وأين جوليا".

أجاب كريم بآلية: "في منزلها".
سألته ثريا بقلق: "أخبرنا يا بني ماذا هناك؟ هل تعرضتما لحادث ما؟ هل تعطل اليخت بكما؟".
أجابها كريم: "لا".

عندها سأله عارف: "هل تعرضتما لمحاولة اغتيال؟".
أجابته كريم بشرود: "لا شيء من هذا".
صرخت ثريا: "لا شيء، لا شيء، لا شيء. تدخل المنزل بهذه الحالة وتقول: لا شيء". ثم اقتربت من كريم وبنبرة تهديد قائلة:
"عليك أن تنطق والآن".

نهض كريم قائلاً: "قلت لكم لا شيء، لقد حصل خلاف بيني وبين جوليا فقط".

"خلاف" صرخت ثريا ثم أكملت: "وأي خلاف هذا الذي يمزق ثيابك ويجعلك تعود إلى المنزل بهذه الحالة الرثة!".

صرخ كريم متأففاً: "كفى قلت لك كفى".
عندها نهض عارف نحو كريم الجالس على الكرسي وهو متهالك وبصوت بارد قال له: "ستخبرنا بما حدث فوراً".

صرخ كريم: "كل ما حدث مجرد أمر طبيعي قد يحصل بين أي خطيين، ولكن بالطبع الآنسة جوليا تحولت إلى حدث مثير للاشمئزاز، وتعتبر ما حدث اعتداءً عليها؟ وبكل وقاحة في منزلها تهددني أنها ستبلغ الشرطة".

كلام كريم شل حركة كل من عارف وثريا. وبعد لحظة صمت سأله عارف: "هل اغتصبت جوليا؟!".

صرخ كريم قائلاً: "أووووو اغتصبت اعتديت، لِمَ جميعكم تطلقون عليه ألفاظاً كهذه".

عندها كرر عارف سؤاله بحزم: "هل اغتصبت جوليا؟!".
سار كريم نحو النافذة الكبيرة المطلة على التراس والمطر بدأ يكسر معالم الزجاج تماماً كتفاصيله وأعماقه وقال بنبرة شاردة لا تخلو من الألم: "لم أعتصبتها. كنت أبادلها الحب".

قال عارف وهو يقترب من كريم والذهول لا يفارق صوته: "عنوة!".

استدار كريم نحو والده وقال بغضب: "هي من أجبرتني على ذلك". صفع عارف كريم قائلاً: "أيها الوقح".

حدق كريم إلى والده بعينين تتقدان ناراً، ثم خرج مسرعاً من
المنزل وتبعته ثريا منادية: "كريم... عد يا بني أرجوك لا تذهب،
انتظر". ولكن كان صوت عجلات السيارة المنزلة بقوة فوق المطر
غطى صوتها المكتوم بالعبرات.

الطرق المرصوفة

وقفت جوليا أمام مرآة الحمام والمياه تنساب بقوة من الصنبور المفتوح. وحدقت إلى نفسها بصمت بلا معالم أو تفاصيل، حدقت من دون أن تحاول فك بعض التساؤلات التي تشابكت في حنايا عينيها اللتين كانتا مظلمتين كليلة عاصفة في قلب شباط، فالصمت كان المسيطر في حناياها، يلسع صوتها المكتوم بسياط الندم، حدقت بلا مبالاة، محاولة التخلص مما شرخ نفسها من تفاصيل وذكريات تراكمت بكافة لحظاتها في قلب ذلك اليخت الميت، حدقت بلا معنى، بلا هدف، ثم مدت يدها ببطء تحت الماء المنهمر، وغسلت وجهها بقوة، وتناثرت المياه فوق شعرها المبعثر، ثم عادت تغسل وجهها مجدداً، قبل أن تتوقف فجأة وتسقط رأسها بين يديها المرتكزتين على حافة مغسلة الحمام الرخامية.

أغلقت صنبور المياه، وجففت وجهها بالمنشفة البيضاء المعلقة، وغادرت الحمام متجهة نحو النافذة تحاول رفع الستائر، لاستقبال شمس اليوم الجديد، إلا أنها آثرت إبقاءها منسدلة لمتصفها ما جعل أشعة الشمس تتسلل على خجل إلى غرفتها. سارت نحو خزانة ملابسها وتناولت بنظراً أسود كتانياً وقميصاً أبيض بياقة سوداء يمنحها بعض الرسمية، وبينما كانت تضع ثيابها على حافة السرير،

وقفت فجأة أمام اللوحة التي أهداها إياها ريمون، كانت معالمها تختلف وتعرجاتها باتت أكثر انحساراً، شعرت أن تفاصيل المنحوتة الخزفية المعلقة مختلفة فبعض انحناءاتها كانت أكثر تعرجاً، فاقتربت منها، وأنزلتها عن الحائط، وحملتها برفق ومررت أصابعها فوقها ببطء. للمرة الأولى، لاحظت جوليا أن تفاصيلها الفخارية متعرجة، ولم تكن مشدبة وملساء ولكن اللون الأسود البراق فوقها استطاع أن يخفي تعرجاتها، عندها أدركت ما كان يقصده ريمون حين قال لها: "أتعلمين ما اسم هذه المنحوتة؟".

أجابت جوليا مبتسمة وهي ترى باريس تحت قبلات المطر التي تسقط عاشقة لزواياها: "ما اسمها؟".

أجابها ريمون: "الطرق المرصوفة".

أدارت جوليا وجهها نحوه وهي تقف إلى جانب النافذة وقالت: "في الواقع، توقعت أن يكون اسمها: إنسان".

اقترب ريمون منها وخصلات شعره البيضاء تشير إلى زمن مضى بتفاصيل مختلفة وسني عمره الستين ثم قال وهو يحدق عبر النافذة بجانبها: "انظري يا عزيزتي... أترين شوارع باريس، كثيرة هي الطرق فيها، فمنها ما هو ترابي ومنها ما هو أسفلتي ومنها ما هو مرصوف. أما الطرق المرصوفة فهي أكثر الطرق قرباً للإنسان ومعالمه الحية أو حتى الزمنية".

نظرت جوليا إلى ريمون وسألته: "ماذا تقصد؟".

أجابها ريمون بابتسامة رسمت حناناً دافئاً في وجهه، عرفت عندها لِمَ كان ولا يزال صديق والدها المفضل "الزمن بتقلباته يمر فوق أرواحنا بتعرجات عدة كالطرق المرصوفة".

كان يعلم ريمون جيداً أن تقلبات الزمن تنساب بين شقوق الطرق الصغيرة وعند لحظات الالتقاء تستقر رشقات السعادة لسويغات بين الخطوط ثم تكمل مسيرتها بين باقي تفاصيل الطريق ممررة نشوة السعادة في كافة حنايا تفاصيلنا البشرية. وأما ما هو مؤلم فيرطم بقوة فوق القطع الصغيرة المرصوفة ليتفتت إلى شظايا تستقر في قلب الشقوق وبين الحروز المهترئة للطريق، لا يترك الأثر بل ينحصر كلما مرت فوقه مياه المطر معلنة قدوم الشتاء.

مررت جوليا يدها فوق التعرجات: "فعلاً إنها الطرق المرصوفة". أعادت اللوحة إلى مكانها، وتوجهت نحو المرآة مرتدية ثيابها، بعد أن عقفت شعرها إلى الخلف برتابة، ثم خرجت من غرفتها متوجهة إلى الصالة الكبيرة.

كانت جوليا تنزل بخطوات هادئة على الدرج الطويل الذي يربط طابقي الفيلا، عندما سمعت الأصوات الممتزجة في الأسفل. كان والدها وحكمت ومساعداهما في الصالة، يستعدون بكل جهد وحزم للمواجهة التي ستتم بين والدها ومنافسه من الحزب الحاكم أمام العامة في مسرح المدينة الرئيسي للإعلان عن برنامجهم الانتخابي بتفاصيله كمحاولة لخلق حالة من المقارنة بين الطرفين لتسهيل عملية التصويت على الشعب والفئة التي يمثلونها وفقاً للبرنامج الانتخابي المطروح.

وصلت جوليا الصالة والأصوات بمزيجها المتشابك لا تزال تقرع أذنيها بشدة، ثم قاطعها صوت المحامي الذي دخل مسرعاً وهو يقول: "آه جوليا أنت هنا". اقترب ماداً يده ليصافحها: "مبروك الخطوبة".

حدقت جوليا إليه بصمت ولم تبادلها السلام، بل خاطبت مساعدي والدها قائلة: "عليكم مغادرة المنزل فوراً". ثم أشارت للمحامي الذي وقف أمامها: "لا أنت... ابق قليلاً".

فأشار حاتم لحكمت ليطلب من الجميع المغادرة باستثناء المحامي.

جلست جوليا ووالدها برفقة المحامي في المكتب، وحدثت حكمت إليهم وهو يشعل سيجارته الثالثة عندما بدأت جوليا بالكلام: "أستاذ عزت هل يحق للفتاة التي تم الاعتداء عليها قصرًا أن توجه اتهامًا للجاني حتى وإن زالت الأدلة؟!".

كان المحامي عزت مشدوهاً لدرجة جعلته عاجزاً عن النطق للحظات، ثم قال متلعثماً: "عفواً... ماذا تقصدين بالأدلة؟".

كان حكمت يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بعصبية مفرطة. نظرت جوليا بحدة إلى خالها الذي أخذت أقنعة وجهه تتساقط واحداً تلو الآخر أمامها، وشعرت أن ملامحه باتت تحترق بالحملة والتصويت والسعي لتحقيق النجاح والفوز، ثم قالت للمحامي عزت "أقصد أنه بعد حادثة الاعتداء رميت نفسي في البحر ووصلت إلى الشاطئ سباحة".

كادت الصدمة تشل عزت لدرجة أن خلجات وجهه المتوترة توقفت عن الحراك، ثم أردفت جوليا قائلة: "أعلم أن قفزي في البحر يفقدي أي دليل مادي على الاعتداء".

حدقت عزت إلى جوليا بصمت مزق صدره الذي تواترت أنفاسه بشكل ملحوظ ما جعله يطلب كأساً من الماء ثم قال بعد أن

جعل صوته أكثر ثباتاً وبدأ يشرح بنبرة المتمرس: "بالطبع تستطيعين اللجوء للقضاء، أما الأدلة فذلك دور التحقيق في إثبات الحادثة وتبعاتها وما حدث من تفاصيل، ربما هناك بعض الأدلة التي تمحوها المياه ولكن هناك تفاصيل لا يمكن أن تمحى إلا بعد فترة من الزمن".

شردت جوليا بجملة الأخيرة وتمتت: "ولا حتى الزمن". قاطع صوت عزت الذي بدأ يسهب في شرح التفاصيل: "عادة يفضل أن يتوفر تقرير طبيب شرعي يؤكد وجود أي آثار اعتداء أو مقاومة وهذا التقرير يمتلك خاصية الأدلة في هذه الحالة، ويعتبر أحد الأساليب التي يستخدمها القانون لتوثيق حالة الاعتداء".

عندها قالت جوليا وهي تحديق إلى اللاشيء: "وما نتيجة الحكم إذا تم التأكد من حالة الاعتداء".

في تلك الأثناء، كاد حكمت ينفجر غضباً، بعد أن أطفأ سيجارته بقوة في المنفضة الموضوعه أمام عزت وحقق إليه شزراً قائلاً: "عزت، قبل أن تكمل حوارك القانوني مع ابنة أختي عليك أن تعلم أنك المسؤول الوحيد عن كل كلمة تسمع بين هذه الجدران الأربعة". ثم لوح بحركة تهديد أمام عزت قائلاً بصوت بارد: "لذا، إذا تسرب الكلام خارج حدود هذه الجدران فبلغتكم القانونية تعتبر أنت المتهم الأول".

كانت نيران الغضب والقلق واللوم تلتهم حاتم، كثيرة هي المشاعر المبعثرة في نفسه والتي كانت تتناوشه بين الحين والآخر، فبات كالحاضر الغائب، لم يستطع منع ابنته من اتخاذ القرار الذي تراه مناسباً والذي كان في أعماقه يشعر أنها الخطوة الأفضل، لم يستطع أن

يخضع لضغوطات الحملة وبروباغندا الأحداث التي تفرض عليه الصمت، كان النزاع في داخله أقوى من تحمله لوجه جوليا الممزوج بالأم.

قاطع صوت عزت أفكاره المتلاطمة قائلاً: "الحكم القانوني إذا ثبتت جريمة الاعتداء، السجن لمدة ثماني سنوات للمعتدي، أما في حالة موافقة المعتدى عليها بالزواج من المعتدي تسقط القضية ويغلق ملفها".

دخلت ماجدة المكتب وأغلقت بابه قائلة: "إذن ستتزوج جوليا كريم، ولن يكون هناك قضية".

نهضت جوليا بعصبية عن الأريكة الجلدية قائلة: "لست من يتخذ قراراً كهذا". ثم التفتت نحو عزت قائلة: "عزت دعنا نتوجه إلى الطبيب الشرعي الآن، فجميع علامات المقاومة لا تزال موجودة".

وقف حكمت بجانب شقيقته، وبدت معالم وجهه أقل توتراً وقال: "ما الذي تسعين إلى إثباته يا جوليا، ما الذي ستحصدينه من وراء كل هذا".

حدقت جوليا إلى خالها ونظرة الاشتمزاز تعلو عينيها: "أحصد مصطلحاً ربما كان جديداً عليك يُدعى الكرامة".
عندها نهرتها ماجدة قائلة: "قبل أن تتعلمي الكرامة تعلمي الاحترام".

فقال حكمت بصوت أصبح يثير جوليا بالاشتمزاز كلما سمعته: "وما هو مفهوم الكرامة إذا اقترن بالفضائح التي ستناولها الصحف بنوعيتها النظيفة والصفراء؟".

عندها نظر حاتم إلى جوليا وقال لعزت: "عزت أنت لست محامي هذه العائلة فحسب بل فرد منها، وجوليا أمانة بين يديك، فافعل ما هو مناسب، وأعد لها كرامتها".

سقطت ماجدة على الكرسي بجانبها، وأجهشت بالبكاء وقالت من بين الدموع المتناثرة: "سيكون ثمن هذه الكرامة غالياً يا جوليا" ثم قالت بصوت مرتعش: "استمعي إلي، فأنا أمك".

نظرت جوليا إلى والدتها بجمود وقالت: "عزت هيا بنا". سارت مع عزت وتوجهت نحو الباب، استدارت فجأة، ونظرت إلى عيني والدها ثم غادرت، حاول حكمت اللحاق بهما، إلا أن يد حاتم الغاضبة كانت أقوى منه فأوقفته.

حمل عارف سماعة الهاتف بتردد ثم أعادها، ثم تناولها مجدداً محاولاً الاتصال، إلا أنه أعادها مرة أخرى. كان عارف حتى هذه اللحظة لا يمتلك القدرة على الاتصال بحاتم وسماع صوته للاطمئنان على جوليا، ماذا عساه يقول؟ وماذا يمكن له أن يخبر حاتم؟ كان الموقف أكبر من أن يُناقش أو حتى يتم التحدث فيه.

قاطع صوت ثريا البارد أفكار عارف الذي لا يزال يحمل السماعة شاردًا: "كريم نائم في غرفته، لقد عاد قبل بزوغ الفجر بقليل".

حذق إليها عارف بصمت، وكأنه لم يسمع ما قالت، ثم سألها: "هل اتصلتِ بالسيدة ماجدة؟".

جلست ثريا التي كان التعب والإرهاق نتيجة السهر واضحاً تماماً على وجهها: "ولم أتصل؟ لم تُصِرّ على أن تحول الأمر إلى موقف، وتخلق جواً من التوتر بين العائلتين، جوليا هي خطيبة كريم فما المشكلة إذا حصل بينهما أي تواصل من أي نوع بعد حفل خطوبتهما، إنها خطيبته، وستصبح زوجته فما الفرق إذن؟".

اقترب عارف من ثريا وقال: "أحقاً لا تعرفين الفرق؟".

أشاحت ثريا بنظرها عنه، وأخذت ترتب الوسائد فوق الأريكة الطويلة، فأمسك عارف بذراعها، وأدار وجهها نحوه وسألها: "أجيبيني، أحقاً لا تعرفين الفرق يا ثريا؟".

أجابته وهي تسقط فوق الأريكة منهكة: "وإن عرفنا الفرق، ما الفائدة؟ لقد حدث ما حدث يا عارف، وكريم يعلم جيداً أنه أخطأ فكان هذا واضحاً من كلامه. لذا، علينا أن نهدأ، ولا نجعل الأمر يأخذ حيزاً أكبر، لأن الموضوع يلحق الضرر بالعائلتين وليس جوليا فقط، أنا متأكدة أن حاتم وزوجته لن يقدموا على أي خطوة مجنونة، فالوضع الراهن لا يسمح بذلك سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي". نظرت بحنان إلى وجه عارف الذي جلس والقلق يرتسم على وجهه ومجموعة من المشاعر غير واضحة المعالم، ثم غمرت راحة يده بين راحتيها وقالت: "لا تقلق يا عزيزي، سيكون كل شيء على ما يرام، ما إن يصحو الاثنان حتى يبيت الأمر كله في طي الماضي".

رن الهاتف النقال للسيد عارف الذي تناوله من جيبه لسمع صوت المحامي عزت على الطرف الثاني قائلاً: "سيد عارف كيف حالك؟ عليّ أن أبلغك بصفتي المحامي الرسمي لعائلة السيد حاتم أن

التقرير الشرعي أثبت حادثة الاعتداء، وستتجه جوليا غداً إلى المحكمة لرفع القضية، لذا حفاظاً على الود الذي يجمع بين العائلتين وبسبب المكانة الاجتماعية لكليكما، فضلنا أن نبليغك شخصياً بالأمر، من دون اللجوء إلى التبليغ القضائي".

بدأ وجه عارف يتشع بالسواد حينما سقط على الكرسي ولم ينطق بكلمة واحدة مغلقاً سماعة الهاتف ومحدقاً إلى ثريا التي شعرت أن وجه عارف بات كمن رأى شبحاً أمامه وقال بصوت متقطع: "جوليا لجأت للقضاء...".

الستار المسدول

شعر كريم بالثقل في رأسه، عندما حاول التحرك في سريره إلا أن الصداع كاد يجعله يُصاب بالغثيان فنهض من سريره ببطء متجهاً نحو الحمام، غسل وجهه عدة مرات عله يفقد ذلك الشعور المسيطر عليه بالثقل، إلا أن غسل وجهه بالماء لم يكن كافياً، فقرر أخذ حمام بارد يساعده على التخلص من التعب الذي كان يسيطر عليه، وما كاد يفتح الدوش، حتى بدأت المياه تندفع بقوة لتصطدم بحافة الحوض السيراميكي الأبيض، فانتفض وشعر أنه كمن استعاد ذاكرته فجأة، لتتوالى الأحداث في رأسه بشكل سريع ومنتال: اليخت، جوليا، والداه، وعجلات السيارة وهي تنطلق. لقد أمضى الليلة كاملة وهو يسير في الشوارع التي ترتمي تحت عجلات سيارته المسرعة، وينساب المطر فوقها ممتزجاً بصوت الرعد، كان يجوب الشوارع الساكنة من جميع روادها إلا بعض الساهرين الذين كانوا يقضون ليلتهم الماحنة في إحدى الحانات ويحاولون العودة إلى منازلهم بحالة من الاتزان المصطنع.

قاد كريم السيارة إلى اللامكان والتساؤلات تفرع رأسه، جوليا وتهديدها بالإبلاغ عن الحادثة، ووالده والصفعة التي تلقاها بسبب جوليا؛ أحقاً يُصفع من أجل جوليا؟ وبينما كانت الأفكار تتوالى في

ذهنه، وجد نفسه يقف أمام اليخت حيث كان احتفالهما الصغير هناك، حاول الاقتراب إلا أنه لم يستطع، كانت قدماه المتسمرتان لا تساعدانه على التقدم أكثر. حدق طويلاً إلى اليخت، ثم جلس على حافة الشاطئ قبالة، محاولاً استجماع ما حدث، وفجأة فهض وتوجه مسرعاً نحو اليخت، وصعد إلى قمرة القيادة، وشغل المحرك بسرعة، وبدأ يقود اليخت بسرعة مجنونة. كانت الأمواج متلاطمة والعاصفة إلى اشتداد، لم يفكر كريم سوى في اللاشيء، عقله أجوف من كل شيء، عدا رنة صفعة والده فوق وجهه، وعينا جوليا الميتين بعد أن استيقظت على ظهر اليخت. توقف فجأة وصوت الرعد يمزق أنفاسه اللاهثة، اقترب من حافة اليخت، بعد أن غادر قمرة القيادة، حدق إلى البحر النائر أمامه، لم يكن يعلم كم مضى عليه من الوقت وهو يقف محققاً إلى الصفحة المتكسرة للبحر الهائج حتى بدأ خيط السحر يسرق الليل معلنا اقتراب الفجر، فاتجه إلى الداخل وأعاد تشغيل اليخت، ثم عاد به ناحية الشاطئ. قاد كريم اليخت شارد الذهن تماماً وما أن بدأ يقترب من الشاطئ حتى توقف فجأة، نزل مسرعاً باتجاه المخزن الصغير الموجود في الطابق السفلي من اليخت، وتناول جالوناً بلاستيكيًا مملوءاً بالوقود، ثم صعد باتجاه الطابق العلوي وبدأ ينشر الوقود في أرجاء القارب، وما أن انتهى حتى تناول قداخته، وأشعل النار في اليخت، كانت النيران وألسنتها تحيط بكريم من كل جانب وقبل أن تشتد، قفز إلى المياه وبدأ بالسباحة مسرعاً، وما أن وصل الشاطئ حتى مزق صوت الانفجار سكون البحر الذي بدأ يهدأ بعد العاصفة التي ضربته بشدة، نظر كريم إلى اليخت المحترق الذي كانت النيران تلتهمه بشدة، كالمتعطش الذي يحاول الارتواء بنهم، حدق فيه

مطولاً وما أن بدأ خفر السواحل بالاقتراب حتى غادر المكان مسرعاً بسيارته نحو المنزل.

كانت المياه تصطدم بحافة الحوض، حينما حدق كريم إليها، ثم أغلق الصنبور، وتوجه نحو المغسلة، وغسل وجهه سريعاً، أخذ ينظر إلى المرأة، فوجد بعض الهالات السوداء تحت عينيه، والملامح المزوجة بالبرود، غسل وجهه مرة أخرى، ومرر أصابعه بين خصلات شعره، ثم تناول بنطاله الجينز وقميصه الكتاني ذي اللون البني الفاتح، ولبسهما ليخرج مسرعاً نحو درجات القصر الضخمة حينما تسلل إلى أذنيه صوت والده المصدوم يخاطبه قائلاً: "جوليا لجأت إلى القضاء".

شهقة ثريا كانت أقوى من الكلام عندها اقترب كريم بصوت بارد: "ماذا فعلت جوليا؟".

حدق عارف إلى وجه كريم والغضب يكاد يلتهم عينيه "ماذا تعتقد أنهما فعلت؟".

أجابه كريم باستهتار، وبدأ برفع الستائر حتى بدأت الشمس تتسلل بقوة داخل المكان: "وما الذي يمكنها أن تفعله إذا لجأت للقضاء؟".

كاد استهتار كريم يمزق عارف حين نهض متوجهاً نحوه بغضب وأمسك بذراعه بقوة قائلاً: "يمكنها أن تُسقط سمعة عائلة التلواني التي تم تشييدها عبر السنين الطويلة بلحظة طيش واحدة منك". ثم أردف بنبرة لا تخلو من التهديد، "ويمكنها أن تسجنك لثماني أعوام إن لم توافق على الزواج منك، وأصرت على اللجوء إلى القضاء".

حدق كريم إلى والده وفتح باب التراس بقوة قائلاً وهو يقف على أعتاب الباب الزجاجي الضخم وهالة من أشعة الشمس أحاطت به فأبرزت الإنهك البادي على ملامحه: "نعم تستطيع أن تفعل كل هذا، ولكن عليها أن تثبت أنني الجاني أولاً".

سار كريم باتجاه والديه، وتناول مفاتيح السيارة مستعداً للخروج، وقبل أن يصل عتبة المنزل قال لوالده: "كان عليك أن تقرأ الصحف اليومية كعادتك يا والدي قبل التفكير بجوليا". ثم انطلق نحو سيارته التي حبا صوت عجلاتها فوق الإسفلت معلنة مغادرته المنزل.

عاصفة من نيران

بينما كانت جوليا تترجل من السيارة سقط وشاحها الذي غطت به عنقها محاولة إخفاء بعض العلامات التي كانت تظهر عليها، ثم سارت باتجاه المنزل، وتبعها عزت الذي بدأ بكافة الإجراءات اللازمة لتعزيز موقفها في القضية، فحمل حقيته الدبلوماسية، وتبع خطوات جوليا التي استدارت للحظات، وقالت شاردة: "هل تحمل نسخة من التقرير؟". أوماً عزت برأسه بنعم، ثم توجهوا نحو الفيلا، ودخلا الصالة ليجدا جميع من تراكهم في مكتب والدها.

فتحت جوليا باب المكتب، وتبعها عزت، ثم نهضت حكمت وقال بصوت متوتر نافثاً الدخان من بين شفثيه بغضب: "ماذا فعلتما؟ هل علم أحد بما حدث؟".

جلست جوليا إلى جانب والدها الذي كان رأسه بين يديه وقالت: "ها هو التقرير يا أباي، إنه الدليل على ما اقترفته كريم".

نظر حاتم إلى ابنته، وتناول التقرير، ووضع جانباً دون أن يفتحه، عندها اقترب حكمت من جوليا وصرخ موبخاً: "دوماً تعتقدين أنك تقدمين على الخطوة الصحيحة". ثم تناول الصحيفة

المرمية أمامه وقال: "انظري، أقرأي الخبر هنا، أظننت أن عائلة التلواني ستتركك تضعين اسمهم وسمعتهم على المحك، إن كل ما قمت به هو مجرد تصرف طائش سيدمر حملة والدك الانتخابية فقط". قاطعته جوليا بعد أن رمت الصحيفة جانباً "كفى... إلى متى ستعتبرني إحدى وسائلك الترويجية للحملة الانتخابية؟".

عندها نهضت والدتها وقالت: "تصرفاتك تثير غضبي". ثم فتحت كفيها وناولتها الصحيفة بقوة وقالت: "أقرأي الخبر" كان حاتم جالساً يحدق إلى الفراغ، وعزت جلس صامتاً احتراماً لحساسية الموقف.

جلست جوليا ممسكة بالصحيفة باستهتار، وبدأت بقراءة الخبر عندها بدأت تتبدل ملامحها إلى خوف وغضب في آن واحد. أمسك عزت بالصحيفة وقرأ الخبر: "احتراق اليخت الذي كان يحتفل به كل من الأنسة جوليا الريزوني والسيد كريم التلواني في حادثٍ غامض دون تكشف الأسباب وراء الحريق حتى هذه اللحظة، ويبقى التحقيق جارياً".

صمت عزت، ولكن جوليا قالت بغضب مزق روحها من الداخل: "الجبان... لا يمكن له أن يفعل ذلك".

قال حكمت: "بلى يستطيع، إنها عائلة التلواني".

"لا أرغب بسماع رأيك". قالت جوليا بحزم.

نهزت ماجدة ابنتها: "تكلمي باحترام مع خالك".

فأجابتها جوليا: "إن الاحترام لمن يجيد الاحترام". وأشاحت بوجهها عنها، ثم حملت المغلف الذي يحتوي على تقرير الطبيب الشرعي وقالت: "يثبت التقرير حالة الاعتداء بالكامل". عندها قاطعته

صوت عزت "لكنه لا يثبت من هو الجاني". ثم أكمل قائلاً: "فسقوطك في البحر جعل التحليل غير كاف لتوضيح هوية الجاني، التقرير يثبت وجود اعتداء بالكامل و...". تردد عزت طويلاً قبل أن يكمل "وفقداناً للعدرية.. أعتذر عن اللفظ" ثم حاول إكمال الحديث بعد أن أشاحت جوليا بوجهها عن الجميع محاولة أن تتدارى بالنافذة أمامها بينما بدأت قسمت وجه حاتم بالارتجاف وقال: "وبعد احتراق اليخت، جميع الأدلة أصبحت مفقودة بل لم يعد هناك دليل وهو ما يجعل موقف جوليا ضعيفاً".

عندها سأل حاتم وللمرة الأولى بعد النقاش الطويل: "وما الحل الآن يا عزت؟".

أجاب حكمت: "لا مشكلة، التقرير لا يعني شيئاً، فجوليا لم تقم بأي خطوة غير التقرير، سنهي البلبلة التي حصلت بإعلان الزفاف".

عندها قاطعه عزت: "في الواقع، هناك مشكلة يا سيد حكمت". ثم نهض عن كرسيه ووضع حقيبته الدبلوماسية على الطاولة، وأخرج منها ورقة وأكمل قائلاً: "لقد رفعت جوليا دعوى قضائية تتهم بها كريم بالاعتداء عليها".

كان وقع المفاجأة على الجميع كالصاعقة، فقد تسمرت قدما حكمت، وما عاد قادراً على الحراك، وسقطت السيجارة التي يحاول إشعالها أرضاً، أما حاتم فامترج وجهه بمجموعة من الأحاسيس المبعثرة ما بين الفرح والقلق!

بقيت جوليا تنظر من النافذة حينما أكمل عزت قائلاً: "ولكن أصبح موقف جوليا ضعيفاً الآن، وكريم سيتم القبض عليه غداً مباشرة

بعد حصوله على التبليغ الرسمي، وسيبقى في السجن قيد التحقيق، حتى يتم البحث بالقضية، ولكن الأدلة غير كافية".

قالت جوليا بصوت شارذ وهي تحدق: "أنا الدليل...".

اقترب عزت منها قائلاً: "قانونياً لا يكفي يا جوليا".

فقال حاتم مقاطعاً: "ولكننا جميعاً شهود على ما قاله كريم ليلة

الخطوبة، أليس هذا كافياً؟".

فقال عزت مندهشاً: "ماذا.. هل اعترف كريم أمامكم؟".

قال حاتم: "نعم...".

أجاب عزت، وبدأت الحماسة تعود إلى صوته: "بالطبع،

إنها دليل لربما ليس قوياً، ولكنه قد يدعم عن طريق التقرير

الطبي".

فاستدارت جوليا قائلة: "إذن لا تزال القضية لصالحه".

أجابها عزت قائلاً: "نوعاً ما، ولكن فيها بعض الثغرات، لأنه لا

شهود على الحادثة سوى أنت وكريم". ثم أردف قائلاً وهو يسير

باتجاه المكتب المصنوع من خشب البلوط "وفي حالة صدور الحكم

لصالحك سيسجن كريم لمدة لا تقل عن ثماني سنوات، أما في حالة

صدور الحكم لصالحه...".

قال حكمت بسخرية وهو يشعل سيجارته: "ستسقطين عائلته

الريزوني".

نفض حاتم قائلاً بصوت ثابت: "حكمت... أعلن أنني سأعقد

في الغد مؤتمراً صحفياً هاماً فأنا سأنتهي الأمر".

قال حكمت لحاتم والقلق يشوب صوته: "ماذا ستفعل؟".

نفض حاتم وقال بصوت حازم: "اعقد المؤتمر فقط".

فقال حكمت مناقشاً: "حاتم بصفتي رئيس الحملة الانتخابية الخاصة بك يجب أن أعلم فحوى المؤتمر".
قال حاتم: "سيكون مؤتمراً عاماً للإجابة عن كافة الأسئلة".

حذق حكمت إلى حاتم محاولاً فك طلاسم طلبه المفاجئ "لكن..." أشار حاتم لحكمت بيده أن الموضوع بات منتهياً، وما كاد ينهي حديثه مع حكمت حتى فُتح باب المكتب بواسطة الخادم الذي سمح لكريم والسيد عارف بالدخول ثم أغلق الباب وراءه.

وما أن رأته جوليا حتى حدقت إليه بنظرة لا تخلو من التحدي والاشمئزاز، ثم نهض حكمت مرحباً ثم قال: "تفضلاً...".
جلس الجميع في الغرفة والأجواء مشحونة بالتوتر الذي سيطر على المكان حتى ماجدة اكتشفت أنها لا تستطيع أن تغفر لكريم فعلته، وكان عزت يحدق إلى كريم، فلا يكاد يصدق أي جرأة تلك التي قادته إلى هنا، بينما كاد وجه حاتم يتفجر غيظاً حين قال:
"ماذا تفعل هنا؟".

أجابه كريم ببرود وهو يضع ساقاً فوق أخرى: "أحاول إنقاذ مستقبلك السياسي والاجتماعي والمهني يا سيد حاتم".
نظر عارف إلى ولده مشيراً له أن يصمت ثم قال: "حاتم لا داعي أن نجعل الأمور تتفاقم، إن جوليا ابتتنا في النهاية وما حدث لا يعني لنا شيئاً".

حدقت جوليا مصدومة: "ماذا تعني؟!".

أجابها عارف وهو يرتشف كوب العصير الذي وضعه الخادم أمامه وغادر: "أعني أن كريم يجبك ولا يهمه الأمر" ثم أكمل كريم قائلاً بعث: "ولا يهمه حتى أن يعرف من هو الجاني".

سقطت كلمات كريم على رؤوس الجميع كالسهم حتى فقدت جوليا أعصابها فأمسكت كريم من ياقة قميصه مما أجبره على النهوض وقالت: "أعتقد أنك ستنجح بمكيدة قدرة كهذه؟".

فحس عارف من مكانه ونظر في كريم غاضباً: "كريم".

حدق كريم إلى عيني جوليا اللتين عكستا نشوة الانتصار في عينيه، وهو يفك يدها عن ياقته ثم قال: "أنا أقدر يا عزيزتي حالتك النفسية لما حدث، ولكن... ما زلت أحبك". ثم أمسك كفها، وأنزلها برفق وقال: "سيد حاتم، سأرتبط بجوليا وتزوج وعندها ستسقط الدعوى تلقائياً، وإلا ستكون التمثيلية التي شاهدتموها الآن هي الحكم بيننا في المحكمة".

اقتربت جوليا من كريم لتصفعه، فأمسك يدها ونظر إليها بعينين غاضبتين قائلاً: "إياك أن تنسي نفسك".

فنهض حاتم وأمسك يده وفكها عن يد جوليا وقال: "وإياك أن تنسى أنني والدها وجميع الأعيان لا تعينني" ثم أردف قائلاً: "القضية ستستمر وجوليا ستحصل على حقها".

عندها فحس عارف وقال: "حاتم أنا أقدر الموقف، ولكن فلتعلم أن ابنتك هي الخاسر الأكبر في كل ما يحدث، لا دليل يثبت أن ابني الجاني، وإن ثبت فستتزوج جوليا شاءت أم أبت، فليكن الأمر بموافقتها بدلاً من أن يكون رغماً عنها".

صرخ حاتم في وجه عارف قائلاً: "أي وقاحة هذه؟! تحدثني عن ابنتي، وكأن الأمر مجرد ورقة تحتاج إلى توقيع وينتهي الأمر". فقاطعهما كريم قائلاً: "وهو كذلك.. ورقة تحتاج توقيعاً مني ومن جوليا وتنتهي القصة". ثم أكمل كريم وهو يقف على الدرجة الوحيدة التي تفصل بين المكتب والباب موجهاً كلامه إلى جوليا: "لذا، من الأفضل لك أن توافقي على الزواج وكافة الإجراءات كما كان مخططاً لها". كادت نظرات جوليا الغاضبة تلتهم كريم حين قال والدها: "لا يهمني المال الذي ستؤول إليه الأمور".

وقفت جوليا خلف والدها كمن يستتر بحثاً عن الأمان من عاصفة تلتهمها، عندما صرخت ماجدة بصوت منهار وقالت: "كفى! لن تصل الأمور إلى كل هذا، على القصة أن تنتهي بالكامل، لن يدفع حاتم الثمن بعد عمر طويل من النزاهة والشرف، ولن تدفع ابنتي الثمن بأن تصبح إحدى الحكاوي التي يتسلى بها الجميع، لا لن يحدث هذا أبداً ما دمت حية".

قال عارف بصوتٍ ثابت: "حاتم أنت صديقي، ولا أرغب حقاً بالأذى، وما حصل ما هو إلا لحظة جموح تعتلي الشباب في ليلة عاطفية كليلة الخطوبة، لو كان كريم فعل فعلته وغادر فلك كل الحق أن تغضب ولكنه لا يزال مصراً على الارتباط بجوليا، وما حدث ليس إلا لحظة طيش". أرادت جوليا أن تنطق فقاطعتها عارف مكماً: "هذا لا يعني أنني أدافع عمّا فعله ولدي يا ابنتي، ولكنني أحاول التخفيف من وطأة ما حدث، ورؤيته من منظور آخر، وما دام ولدي معترفاً بخطئه، ويريد أن يكمل الارتباط، فلِمَ نضع أنفسنا جميعاً على المحك؟".

فهُض حاتم بعد أن ضغط على زر الجرس الداخلي المؤدي إلى
غرفة الخدم، وكان الغضب يعتلي وجهه ثم قال: "كفى... لقد حُسم
الموضوع، فجوليا لن تتزوجك يا كريم، وستبقى الدعوى قائمة،
والآن انتهى اللقاء". ثم أشار لخدمته من بعيد قائلاً: "تفضّلاً
سيصحبكما خادمي إلى باب المنزل لتغادرا".
كانت كلمات حاتم قد حملت ثقلاً كبيراً على الجميع ما جعل
الصمت يخيم في المكان.

فوق المنصة

كانت قاعة الفندق الذي قرر حاتم أن يعقد فيه مؤتمره الصحفي تضج بالحركة والناس، فموظفو الفندق كانوا يستعدون لترتيب كافة الكراسي وتحديد أماكنها حسب الأهمية، معظم القنوات الفضائية وإعلاميي الصحف ووسائل التواصل الاجتماعي تجمهروا في الخارج منتظرين بدء المؤتمر، لقد كان إعلان المؤتمر سبقاً صحفياً إعلامياً مهماً للجميع خصوصاً بعد حادثة حريق اليخت. كان الفضول واضحاً على وجوه الجميع لمعرفة ما حدث، ولكن أبواب الفندق الموصدة لم تسمح لأحد بالدخول قبل وصول السيد حاتم وجميع معاونيه في الحملة الانتخابية من بينهم حكمت الذي كان يحاول ستر ملامح الغضب التي اعتلت وجهه منذ ساعات الصباح الباكر، فعيناه المرهقتان لم تغمضا أمس قبل الفجر إلا لسويغات قليلة، أدخل الموظفون حاتم ومساعديه من الباب الخلفي للفندق، وتركوهم في الغرفة المجاورة ليستريحوا قبل الإعلان عن بدء المؤتمر، في تلك الأثناء، كان كل من عارف وماجدة وثرثيا يجلسون أمام شاشة التلفاز في منازلهم مترقبين ما سيحدث، فحاتم أمس لم ينبس بكلمة واحدة بعد ما دار بينهم في المكتب، حينما أهدى النقاش قائلاً: جوليا لن تتزوج كريم.

"ماذا تفكر؟ ليتني أستطيع قراءة وجهك كالسابق يا حاتم". كانت ماجدة تتمتم وهي تنظر في صورة حاتم الموجودة فوق حافة المدفأة الحجرية يظهر خلفه برج إيفل بأنواره المشتعلة ليلاً، ثم سارت باتجاه الأريكة المواجهة للتلفاز، وجلست قبالته عندما لاحظت بأن وسائل الإعلام بدأت بالدخول مما يعني أن المؤتمر بات قريباً.

كان إعلان حاتم عن عقده مؤتمراً قبل المناظرة التي ستتم بينه وبين خصمه في المسرح الكبير للمدينة بأيام مثيراً للجدل ما دفع الجميع لمتابعة الحدث فلا بد أنه قد طرأ ما يدعو لذلك، في تلك الأثناء بدأ حاتم يستعد للدخول إلى قاعة المؤتمر، ثم جلس على الكرسي المخصص له على المنصة، وبجانبه حكمت وأحد موظفي الحملة المختصين بالترويج الإعلامي لها.

بدأ حاتم بالكلام حين قال: "أشكر لكم جميعاً حضوركم، ولكنني قبل البدء بإعلان سبب عقد هذا المؤتمر سأفتح باب الأسئلة" ثم ابتسم وأكمل: "لربما هي المرة الأولى التي سيبدأ فيها المؤتمر بالأسئلة قبل الخطاب، ولكن باتت الخطابات كثيرة في عصرنا والأسئلة شحيحة، وحتى إن وجدت حُملت إجاباتها بين طيات السطور حتى لا تعرفوا الإجابة الواضحة" فضحك الحضور، وعلق أحدهم من بعيد "للمرة الأولى أرى سياسياً يصدق" عندها ضحك الجميع ثم أشار حاتم له قائلاً: "وبما أنك أجزاً الحاضرين تفضل فلك السؤال".

نهض الصحفي متجهماً نحو المايكروفون المثبت بين صفوف الحاضرين، وكانت عينان ترمقانه من بعيد وترمق الجميع كمن يدون الأحداث بالتفاصيل. جلس كريم في الزاوية البعيدة بين الصفوف الأخيرة للحاضرين محاولاً قراءة ما بين سطور كلمات حاتم التي

كانت تنبعث من شفتيه بكل راحة واطمئنان، ولكن لم يكن يعلم أنه في الزاوية الموازية له، جلست فتاة تضع نظارة سوداء كبيرة، وغطت رأسها بوشاح أسود شفاف يليق ببدلتها الرسمية، وحملت بعض الأوراق محاولة الادعاء بأنها تدوّن ما يُقال، فقد كانت جوليا تراقب جميع الموجودين، ولم يفاجئها حضور كريم للمؤتمر، بل كانت ستتفاجأ إن لم يحضر.

كان والدها ومؤتمره هو ما يسيطر على تفكيرها، فبماذا كان يفكر؟ لا أحد يعلم ولا حتى والدتها، لكن جوليا تعرف والدها جيداً فهو حين يقدم على خطوة، لن يقدم عليها إلا بعد تفكير طويل في الأمر، وهذا ما فعله والدها أمس حينما غادر عارف وولده، وطلب من الجميع تركه في مكتبه، ولم يغادره حتى ظن الجميع أنه سينام فيه! إلا أن خروجه منه قبل منتصف الليل وتوجهه نحو غرفة النوم جعل الجميع يعلمون أن حاتم لن يدع الأمر يمر كما يظن عارف أو حتى الحزب!

قاطع صوت الشاب الذي بجانبها أفكارها المبعثرة قائلاً: "جوليا، لِمَ لستِ على المنصة مع والدك!"

ما كادت أن تفتح شفتيها لتتطرق حتى غادر متجهاً نحو المايكروفون، وعلمت جوليا من نظرات الجميع أنه ليس مجرد صحفي عابر، فعيون الجميع أحاطتها المفاجأة حينما رأته، فحدقت جوليا إلى ظهره وهو يسير مبتعداً بسترته السوداء الحالكة ليبدأ بتوجيه السؤال لحاتم قائلاً: "سيد حاتم، إن كان مؤتمرك ابتدئ بطريقة مختلفة عن باقي المؤتمرات الانتخابية فلا بد أن يحمل في طياته بعض الأسئلة المختلفة عن باقي وسائل الإعلام العادية".

فأجابه حاتم: "وهل أنت من تحمل هذا السؤال يا سيد أشرف، بالرغم من أن حضورك إلى مؤتمري حدث مختلف بجد ذاته، فاسمح لي بالترحيب بوجودك بيننا الآن".

حدق كريم والصدمة واضحة على وجهه الذي راقبت حلجاته جوليا من تحت النظارة، وهي تشعر بدغدغة غير واضحة في مشاعرها حينما علمت بأن أشرف الكافوري قد حضر إلى المؤتمر. فهو أحد أشهر الإعلاميين في الوسط الإعلامي ومدير قناة المتحدة الإخبارية.

تمت جوليا لنفسها قائلة: "هذه ضربة للحزب" فأشرف يعتبر أحد الإعلاميين المعارضين لسياسات الحزب وبرامجه المختلفة، إلا أن قلمه الذي يخط الأخبار البارزة المعلنة عبر القناة تبقيه دوماً في دائرة الشك، فهل حقاً هو ضد الحزب لنزاهته؟ أم هو مجرد إعلامي يحاول حياكة الواقع بما يتناسب مع متطلبات المشاهدين ورفع نسب المشاهدات بما يخدم قناته؟ مرتزق يسعى للوصول ولكن بطرقه الخاصة؟! وبينما كانت التساؤلات تتوارد إلى ذهن جوليا بتسلسل غير واضح، أصاب سؤال أشرف القاعة بالذهول "هل لتفجير اليخت علاقة بالدعوى التي ستطرح ضد السيد كريم التلواني خطيب ابتك في المحكمة اليوم؟".

سقط القلم من يد جوليا المرتعشة إلا أن صوته لم يكن كافياً للفت نظر كريم الذي شحب وجهه كمن رأى ميتاً يقف أمامه، وبدأت قدمه اليسرى ترتجف تلقائياً، كاد أن ينهض إلا أن قدميه كانتا مثبتتين في الأرض كوتدين لا يمكن نزعهما، لم يستطع حتى التحديق فيمن حوله ما أجزره على إخراج النظارة ووضعها محاولاً

سرقة بعض لحظات الاختلاء والشعور بالهدوء الكاذب الذي لم يشعر به ولو لثانية واحدة، تواترت الأحداث في رأسه كالبرق وصورة اليخت المحترق تشتعل أمام عينيه لتشعل الجميع، أراد أن يتوجه نحو أشرف إلا أنه أثر البقاء مكانه "لكل حدث ميقات" تمت لنفسه بصمت الهادي، وتوقفت أفكاره عندما سمع صوت حكمت المتلعثم يقول مقاطعاً: "أي دعوى يا سيد أشرف؟ ماذا تقصد".

كان وقع الخبر قد أصمت الجميع للحظات، أخذت تزحف ببطء فوق أنفاس ماجدة التي تابعت توالي الأحداث عن بُعد من خلال شاشة التلفاز، حتى شعرت أن أنفاسها قد توقفت للحظات، أما عارف فكان ينفث الدخان من سيجاره الكوبي القابع بين أصابعه الخشنة، ويضع ساقاً فوق أخرى، إلا أن عضلات وجهه المتوترة كانت تعكس حالته النفسية بوضوح، لم يكن يمتلك سوى التحديق في الشاشة أمامه، ليستمع لباقي المؤتمر وما يحمل في جعبته من أسئلة قاتلة أخرى، إلا أن الكلمات البعيدة التي وصلت إلى أذني ثريا جعلت الكأس يسقط من يدها متهشماً، ولتوجه مسرعة نحو التلفاز، محاولة السماح لصوت قلبها الذي بات في أذنيها بالهدوء قائلة لعارف: "عارف ارفع الصوت قليلاً لو سمحت".

قال أشرف بدهاء: "الدعوى المقامة في المحكمة والتي لا يزال الجميع يتحفظون عن فحواها حتى هذه اللحظة!".

عندها قرّب حاتم المايكروفون، وبدأ يتكلم بنبرة يشوبها تردد لم تلحظه إلا جوليا من بعيد: "نعم... فالجميع يعلم أنه بالأمس نشر خبر بشأن اليخت حيث اكتشف خفر السواحل أنه احتُرق بالكامل، وحتى هذه اللحظة لم تتم معرفة أسباب الحادث إلا أن...".

كانت جوليا تستمع إلى كلام والدها بقلب مرتعش وصوته في تلك الأثناء كان أوضح من هدير رعد تلك الليلة المشؤومة، وما كادت تستمع لباقي كلام والدها حتى وصلتها رسالة على هاتفها النقال من خالها حكمت "حاتم سيعلن انسحابه من الانتخابات الرئاسية الآن دون ذكر الأسباب بوضوح، انتهى الأمر".

لم تستطع جوليا استيعاب الموقف، ولم تستطع قراءة الرسالة مجدداً، فالوقت بات يشرخ الأحداث، وكلمات والدها أصبحت تخرج بسرعة أكثر، فجوليا لم تكن تسمع فحوى كلامه، أما عارف ما إن قرأ الرسالة حتى عرف جيداً أن حاتم أنهى الموقف، وما عاد لكل ما قاله له في المكتب قيمة ولا حتى الحزب وتأثيراته عليه، فحاتم ألقى بالكرة خارج الملعب تماماً غير آبهٍ بنهاية المباراة. لم يستطع عارف تحديد ما راوده من شعور تجاه ما قرأ إلا أن شعور الاحترام اتجاه حاتم كان السائد في تلك اللحظة دون أن يعرف السبب! بينما في تلك الأثناء كانت ماجدة متسمرة أمام الشاشة "لا يا حاتم لا تفعلها أرجوك". كانت تصرخ علناً حاتم يسمع توسلاتها المزوجة بالألم إلا أن صوت حاتم الذي كان يقول عبر الأثير "لذا وبسبب تلك الظروف...." جعلها فقط تحدد إلى الشاشة بصمت.

كانت جوليا تصارع الوقت دون وعي غير مدركة هل بات الزمن يسبقها أم هي من يسبق الزمن؟ لم يكن لديها أي إدراك لما سيحدث، لذا توجهت مسرعة باتجاه كريم الذي صدمه وقوف جوليا أمامه بوشاحها الأسود ونظارتها السوداء ثم أمسكته من كفه واتجهت مسرعة نحو المنصة وهو يتبعها مرغماً بسبب كفه التي لم

تفلت يده للحظة واحدة. وقفت بجانب والدها الذي كان يكمل كلامه لأشرف "كان سبب انعقاد هذا المؤتمر هو الذي جعلني أبدأ بالأسئلة، فما سأعلمه الآن ما هو إلا قرار تم التفكير فيه بدقة ومراجعته وفقاً للظروف الحالية و....." لم يكمل حاتم كلامه لأن المايكروفون الذي أمامه كانت جوليا قد تناولته بسرعة بعد أن سقط الوشاح الشفاف عن شعرها الأسود المنساب فوق كتفيها بلمعان ورفعت النظارة الشمسية "لأنه وفقاً للظروف الحالية ونتيجة للحادث المؤسف الذي حصل في أمس معي أنا وخطيبي كريم، قررنا إعلان الزواج الأسبوع القادم بدلاً من السنة القادمة، وهذه رسالة موجهة منا نحن الممثلين لعائلة الريزوني والتلواني خاصة وحزب التآلف الوطني عامة، إن كل من يحاول بث سمومه في حملتنا وإخضاعها، لن نخضع حتى وإن أحرقتم اليخت، فالذكريات في قلب اليخت لا تحملها قطع الحديد والخشب بل يحملها القلب". ثم اقتربت جوليا من كريم، الذي كانت ملامحه عاجزة عن التعبير، فلقد كانت نظراته تزحف فوق وجه جوليا ببطء حتى وصلت شففتيها اللتين كانتا تنطقان بمفاجأة فاقت توقعاته، ومن وراء كواليس المكان، أخذت ذراعه تقترب من خصر جوليا محاولة تقريب المسافة بينهما أكثر إلا أن جوليا عرفت كيف تُبقي المسافة بينهما متباعدة دون أن يلحظها أحد سواهما، ورغم تسمّر كريم الذي لم يستطع إخفاء ملامحه المزوجة بين السعادة والمفاجأة والتي لم تلحظها جوليا. حدقت إليه بعينين مشتعلتين تمرداً عرفه كريم فوراً "أليس كذلك يا عزيزي" فابتسم كريم محاولاً استدراك الحدث قائلاً: "بالطبع زفافنا سيكون يوم الخميس القادم وهذا كان سبب عقد

المؤتمر لإيصال الرسالة لكل من يحاول الوصول إلى حيث لا يستطيع أن يصل، وما احتراق اليخت إلا رسالة سمجة لم تحمل مضمونا سوى تقريب الحدث".

بقي الحضور صامتا، وخلق الخبر حالة من البلبلة والهمس بين جميع الحاضرين. في تلك الأثناء، جلست ثريا فوق الكرسي الوثير المزركش، وتنفست الصعداء، وحدثت إلى عارف الذي كان وجهه كقطعة من العاج لم يمسهما بشر بلا معالم أو تفاصيل ثم قالت له: "انتهى الأمر".

فأجابها "بل ابتداء" لم تفهم ثريا تعليقه، إلا أن سعادتها بالخبر جعلتها لا تكثرث وتكمل متابعة الأحداث، بينما كانت ماجدة تحدد إلى شاشة التلفاز في منزلها، لتقرأ تعابير وجه حاتم التي عرفت للمرة الأولى ومنذ أعوام طويلة أن تقرأها، فحاتم كان شبه ميت فوق المنصة، ما جعل دموعها تنساب بقوة فوق وجنتيها غير مدركة سبب بكائها فهو فرح أم ألم! فهل حقا هذا ما كانت تريده وهل هكذا كانت تتمنى أن تُزف ابنتها إلى زوجها؟ لم تحاول ماجدة البحث عن الإجابة بين الدموع لأن صوت أخيها الممزوج بسعادة لم تسمعها منذ وقت الحادثة كان يدنو منها عبر شاشة التلفاز قائلاً: "هذا هو يا أعزائي الحضور سبب عقد المؤتمر الصحفي للسيد حاتم فهو لن يعلن شكوكه بشأن حادثة اليخت أمام الملاء، ولكنه يمتلك من القناعات ما يجعله يمنح الشعب حق حتى معرفة تفاصيل حياته الصغيرة لذا دعونا نبارك للعروسين" فصفق حكمت ثم علا التصفيق في القاعة، وبدأت التهاني والتبريكات تعلو أجواء المكان، إلا أن أشرف بقي مكانه حتى حمد صوت التصفيق قائلاً: "لن أمنع نفسي من أن

أبارك لكما بمناسبة هذا الإعلان الهام، ولكن حتى الآن لم أحصل على
إجابة لسؤالي... والدعوى؟!".

فاقتربت جوليا، وأبعدت خالها حكمت لتجلس مكانه معلنة
للجميع وأولهم كريم والحزب معاً أنها باتت موجودة: "أنت قلت إنك
سمعت بدعوى غير معروفة ولا تعلم ما فحواها ضد كريم أليس
كذلك".

حدّق أشرف إليها بصمت غير مقتنع بالمرحبة التي تم بثها عبر
الشاشات منتظراً إجابة تقنعه وتستحق نزوله من مكتبه في القنّاة
لحضور المؤتمر، عندها أجابت جوليا بابتسامة لم ترسمها على وجهها
مسبقاً، لكنها أدركت حينها أنها لدغت بِسْمِ السياسة "إنها تحضيرات
أوراق الزواج، ولكن..". ثم هزت رأسها بوجه متجهم، وأشارت
بيدها بطريقة تشبه حركات كريم المسرحية. "أنتم الإعلاميون لا
تتركون لنا المجال أن نحيا في طي الكتمان، لذا اسمح لي يا سيدي أن
أدعوك لتكون أول الضيوف في حفل زفافنا".

ابتسم أشرف وحدث إلى جوليا بمكر ثم قال: "بالطبع وسأكون
أول الحاضرين، مبروك".

ما إن غادر الجميع، وانفض المكان من الحاضرين عدا جوليا
ووالدها وخالها حكمت وكريم حتى فكت جوليا يدها بقوة من يد
كريم، وقالت بينما كان والدها يقف ونظرة الألم تعتصر وجهه: "قم
بإعداد الترتيبات كما فعلت في السابق، ولا تفكر حتى بإرسال صورة
فستان الزفاف لأنه لا يعني".

ابتسم كريم وقال وهو يستدير متوجهاً نحو الباب مستعداً
للخروج: "لكنه يعني يا عزيزتي" ثم لوح بيده وغادر، كم راود

جوليا شعور في تلك اللحظات أن تمزق المكان صراخاً معلنة رفضها لما حدث في قلب المكان الذي اضطرها لإعلان الخبر بهذه الطريقة، إلا أن نظرات والدها المتجمدة والتي جعلته ينطق بصوت يغلفه الألم بوضوح: "جوليا... فقاطعته جوليا وهي تضع راحة يدها فوق شفثيه: "أبي... أحبك... فلا تقلق إنه قراري".

احتضنت جوليا والدها ودموعها تنسكب فوق سترة بدلته الرسمية، فاقترب منهما حكمت قائلاً: "أنت رائعة يا جوليا... أنت". فقاطعته جوليا بصوت تشوبه الدموع، وبنبرة أمرة لا تخلو من الكره الذي بات دفيناً في قلبها اتجاهه. "أنت اصمت... وابدأ بحملة ترويجية جديدة مستغلاً الحدث الحالي كما تفعل دائماً فهذه الانتخابات الرئاسية ستكون لوالدي ولا أحد آخر، أفهمت!". هز حكمت رأسه مبتسماً ولم يعبأ لنبرتها الصارمة ثم خرج مسرعاً متوجهاً نحو باب القاعة، وتبعته جوليا ووالدها، وضعت نظارتها السوداء، ولفت الوشاح فوق رقبتها هذه المرة متوجهة هي ووالدها نحو السيارة، وما إن خرجت من باب الفندق، حتى رأت أشعة الشمس تخرق عدسة نظارتها بمزيج من الدموع المتبقية، لتعلن لها أنها باتت إحدى دمي السياسة المسرحية حتى وإن سُحق صوتها تحت عجلاتها كما تُسحق الطرق الآن تحت عجلات سيارة والدها التي تسير متوجهة نحو المنزل.

خيار أم قدر؟

كانت جوليا تجلس في الحديقة خارج منزلها مرتدية كنزة صوفية خفيفة فالشتاء بات يلوح في الأجواء إلا أن الشمس لا تزال تعانق السماء بقوة معلنة بقاءها رغم غيوم الشتاء. أخذت جوليا تستمتع بالدفء بين لسعات برودة الجو الخفيفة مع أن ذهنها مشوش بالأحداث التي توالى منذ يوم خطوبتها وحتى اليوم الأربعاء حيث غداً حفل زفافها على كريم. حفل الأسبوع الفائت بالتفاصيل المؤلمة والشاقة التي أرهقت كاهلها جعلتها تبدو كسيدة في الخمسين، فمنذ المؤتمر الصحفي وهي جالسة هكذا على الكرسي في الحديقة أو في غرفتها أو تتناول كتاباً تضيع بين سطوره غير مدركة حرفاً واحداً مما فيه! فقد كانت تحاول الهروب من الحوار مع والدتها التي سمعت صوت خطواتها تقترب منها قائلة: "جوليا، لقد حددت لك موعداً في صالون التجميل لتنظيف البشرة وجلسات تدليك تجعلك تشعرين بالاسترخاء قبل الزفاف، لقد حجزت لي ولك معاً".

جلست ماجدة إلى جانب جوليا وبدأت تخبرها بترتيباتها الخاصة بالحفل: "كنت أرغب بإقامة حفلة عزوبية لك هنا في المنزل لنجمع صديقاتك والجميع" ثم أكملت قائلة: "إلا أن رفضك لذلك..." تنهدت ماجدة ثم قالت: "لا بأس سنذهب اليوم إلى مركز التجميل

لستعدي للغد، فهذا سيضفي بعض الأجواء في المكان". كانت ماجدة تتحدث كمن يحدث نفسه، فجوليا وضعت نظارتها الشمسية، وتناولت رواية (رحلتي إلى أدبيل) وفتحت إحدى صفحاتها، وباتت تدبر مقلتها بين سطورها دون إدراك ما جعلها تجد الطريقة المناسبة حتى لا تتناقش مع والدهما التي كانت تسهب في ذكر التفاصيل، وماذا ستفعل، وإلى من وجهت الدعوات، وكم كانت ترغب أن تختار جوليا معها فستان السواريه الخاص بحفل زفافها والإكسسوارات

وووو...

عندها أغلقت جوليا الرواية ورمتها على الطاولة قائلة: "أمي... كفى! ألا تستطيعين حتى هذه اللحظة أن تقنعي نفسك بأن الأمر ما هو إلا محض كذبة كبيرة تحيينها؟".

حدقت ماجدة إلى جوليا مشدوهة، وقسوة كلامها التي باتت لا تفارق جوليا في الآونة الأخيرة آلتها أكثر من أي مرة سبقتها: "لا... لم أدرك ولن أدرك أنها كذبة".

عندها رفعت جوليا نظارتها، وحدقت إلى أمها ببرود وقالت: "إذن فلتعلمي أنها كذبة، فالزفاف والحفل وحتى عقد الزواج ما هي إلا وسائل ترفيه لجميع الحاضرين عداي، فكفي عن التحدث وكأن ما يحدث أمر اعتيادي كأني حفل زفاف".

صرخت ماجدة في وجهها قائلة: "ولمَ لا؟ لمَ لا تجعلينه كذلك؟ لمَ لا تفرحين كباقي الفتيات وتجعليني أشعر بالفرحة ككل الأمهات؟! لمَ دوماً تُصرين على أن تغتالي فرحتي بك قبل ظهورها، فهكذا كنت يوم خطبتك، وهكذا أنت اليوم يوم زفافك، لمَ تستكثرين عليّ الشعور بالسعادة ككل أم، فأنت لا تعلمين كم هي

الأيام التي انتظرتهما لأجل هذه اللحظة، ولا تعلمين كم حلمت أن ألبسك ثوب زفافك، وأزفك بيديّ إلى حبيبك ومن سيملك قلبك وحياتك. أنت لا تعلمين منذ متى وأنا أنتظر أن أرى ابنتي الوحيدة سعيدة يوم زفافها" ثم بدأ صوتها يتحسّر ج والدموع تملأ عينيها ببطء دون أن تسقط "لِمَ يا جوليا؟ لِمَ؟".

نهضت جوليا غير آبهة بدموع والدتها المترققة وقالت: "لأنه ثمن وليس فرح". ثم أكملت قائلة: "الأمومة لا تتجزأ يا أمي، فلن تكوني أمّاً في لحظات الزفاف وتكوني زوجة أب في لحظات الانكسار". ثم اقتربت من أمها التي جرحتها كلمات ابنتها القاسية ودنت من أذنها قائلة "لأن الأمومة لا تتجزأ".

غادرت جوليا المكان تاركة ماجدة منهارة، وقالت بعد أن استدارت متوقفة لبرهة: "فلتلغي موعد مركز التجميل، أما إن شئت فاحتفظي بالموعد لك وحدك، فأنا متأكدة أنك ستتمتعين ببعض لحظات الاسترخاء هناك لذا من الأفضل أن تذهبي".

لم تستطع ماجدة تمالك نفسها فأجهشت بالبكاء. اقترب حاتم منها وقال: "ماجدة! ما بك يا عزيزتي؟".

أخذت ماجدة تكفكف دموعها ثم قالت: "منذ متى وأنت قاسية هكذا يا جوليا؟ غير ممكن ما قلته الآن! غير ممكن".

"هي لم تعد قاسية فقط بل غير واضحة أيضاً، فحتى هذه اللحظة لا أدري لماذا اتخذت هذا القرار؟" بدا صوت حاتم بعيداً كمن يحدث نفسه، عندما قاطعته ماجدة قائلة: "من أجل هذا" ثم ناولته هاتفها وصفحة الرسائل المرسلة من حكمت تضيء أمامه، فتناول الهاتف قارئاً الرسالة التي كان تاريخها يوضح تماماً أسباب كل التغيرات التي

طرأت في اللحظات الأخيرة للمؤتمر "حاتم سيعلم انسحابه من الانتخابات الرئاسية الآن دون ذكر الأسباب بوضوح انتهى الأمر".

نفض حاتم والغضب يتطاير من عينيه وأخذ يقول: "ولماذا لم تخبريني بالأمر يا ماجدة؟ متى كنت تنوين إخباري بالأمر".

قالت ماجدة غير آبهة: "في الواقع، لم أكن أنوي إخبارك" ثم غادرت المكان قبل أن ينفجر حاتم هو الآخر في وجهها.

تناول حاتم هاتفه ويدها ترتجفان غضباً، وأخذ يبحث عن اسم حكمت بشكل سريع، وعصبي ثم رن عليه وما إن أجابه حتى صرخ في وجهه قائلاً: "أيها الجبان... من سمح لك أن تفعل ذلك".

قال حكمت وهو يثأب: "حاتم هل جنت؟ ماذا حصل؟". صرخ حاتم مجدداً قائلاً: "أحقاً أنت خالها، أتعتقد أنك ما كنت تفعله صحيحاً أن تتلاعب بمشاعر ابنتي الوحيدة، من منحك الحق أن تخبرها بأنني أنوي الانسحاب من الانتخابات؟!".

عندها نفض حكمت، وجلس في سريره وقال بصوت أجش: "حقي كرئيس حملتك الانتخابية".

عندها احمرّ وجه حاتم غضباً ثم قال: "وأنا أعفيك من هذا الحق، حكمت أنا أقيلك من منصبك كرئيس لحملي الانتخابية". ثم أغلق الهاتف دون أن يستمع لرد فعل حكمت.

توجه حاتم مسرعاً نحو غرفة ابنته، وما أن وصل باب الغرفة حتى سمع صوت هاتفها النقال يرن، ولكن جوليا لم تجب، حاول أن يقرع الباب، إلا أن يديه المرتجفتين كانتا عاجزتين تماماً، ماذا عساه أن يقول لها؟ كيف يمكن لهذا أن يحدث دون علمه، كان يتأكله الغضب،

تنفس قليلاً محاولاً تهدئة نفسه، ثم قرع الباب فسمع صوت جوليا قائلاً: "لا أريد التحدث مع أحد، فإذا كان الهاتف أبلغا والدي بأن يجييا كريم ويخبرانه أنني نائمة".

عندها تسلل صوت أبيها قائلاً: "جوليا هذا أنا يا ابنتي". فتحت جوليا الباب مسرعة وقالت: "أبي آسفة لم أعتقد أنك أنت، تفضل". أغلقت الباب ثم أكملت "ظننت أنهم الخدم". أجاها والدها الذي كان العرق يتصبب منه بشكل واضح: "لا بأس".

حدقت جوليا إليه وسألته: "أبي هل أنت بخير؟". فأجاها: "نعم لا تقلقي، دعينا نجلس على التراس قليلاً". فابتسمت وفتحت باب التراس، وجعلت والدها يجلس، ثم أحضرت منشفة مبللة، وأخذت تمسح جبينه المتعرق ببطء، وناولته كأساً من الماء، وجلست إلى جانبه ثم قالت: "أبي ما بك أخبرني؟".

بدأت أنفاس حاتم تهدأ، وأخذ صوته يبدو أكثر ثباتاً حين قال: "جوليا يا ابنتي.. أتذكرين عندما سألتك ليلة خطبتك بشأن كريم؟".

أشاحت بوجهها، وهزت رأسها بنعم، فأكمل حاتم قائلاً: "وبما أجبتي يومها؟".

كانت جوليا شاردة، فكيف لها أن تنسى كلمة تسربت شروخها في أرجاء روحها القاحلة وجعلتها تجمد مع من لا يمكن له أن يُحيي أرضها بعد موتها الآن "ربما يا أبي.. فلا وجود للنعم في حياة البشر".

قال حاتم وهو يمسك يديها بين يديه بخنان دافئ جعل جليد جوليا ينصهر بلحظات: "لن أعاود هذا السؤال يا ابنتي لأنه بات من الماضي، ولا قيمة للماضي الآن ولكن عليّ أن أسألك سؤالاً آخر، وعليك أن تجيبيني بصدق يا جوليا".

نظرت جوليا إلى عينيه والحزن يغلف روحها قبل عينيها: "اسأل يا أبي وسأجيبك".

حدق حاتم إلى عينيها قائلاً: "لِمَ؟ لِمَ قررت أن تتزوجيه يا ابنتي؟".

بدأ التوتر يظهر على ملامح جوليا وهي تقول بتردد: "لا أدري". عندها أمسك والدها بكتفيها وأوقفها قائلاً: "إذن هي الرسالة التي أرسلها حكمت ما جعلك تتخذين قراراً كهذا".

حدقت جوليا إلى والدها مصدومة غير مدركة ما يقول ثم قالت: "من أخبرك بذلك؟".

قال حاتم: "ليس المهم من أخبرني المهم أنها السبب". قالت جوليا: "أبي... فوضع أبوها يده على شفتيها وقال مقاطعاً: "في يوم المؤتمر وضعت يدك على شفتي مقاطعة وقلت أبي أحبك، فهل كنت تعتقدين أن حبك يفوق حبي لك يا ابنتي؟".

قالت جوليا وهي تستطيع قراءة الصراع الذي يمزق والدها: "لا ولكن... اغرورقت عينا جوليا بالدموع وأكملت: "أبي للقدر طرق، وللخيارات قدر، يمنحها صفة القرار. لذا، علينا أن نجزم في بعض الأمور حيث الحدث لا يحتمل قابلية الصبح أو الخطأ".

فاقترب حاتم منها والألم بات أكثر وضوحاً في وجهه: "ولكن لست مضطرة لاختيار هذا الطريق من القدر يا ابنتي".

فحدقت جوليا إلى والدها يائسة: "لا يا أبي لقد حُسم الأمر".

قال حاتم موضحاً: "لقد سقطت القضية، وانتهت الدعوى لا يوجد ما يجبرك الآن على الارتباط بكريم، يمكننا اختلاق مجموعة من القصص الإعلامية الملفقة التي توضح عدم الاتفاق بينكما ما أدى إلى فسخ الخطوبة، يمكنني فعل ذلك يا ابنتي وإنهاء الأمر".

ابتسمت جوليا، وهي تمسح دموعها محتضنة والدها ثم قالت: "قبل الزفاف بيوم واحد يا أبي! والدعوى موجودة في السجلات والتقارير الطبي في المستشفى، وإن سقطت الدعوى، فإذا كان أشرف الكافوري وصل لخبرها في نفس يوم رفعها أعتقد أنه لن يكون هناك ألف أشرف كافوري يحاول التوصل لحدث ينهض به من أجل مستقبله الإعلامي على أطلال عائلة نزيهة؟".

قال حاتم وهو يحدق إلى ابنته بحنان رغم صوته الصارم: "لن أسمح لك أن تكوني الثمن".

حدقت إليه جوليا: "لا تقلق يا أبي، لن أكون ثمناً، فالصفقة عقد بين طرفين لذا كلانا سيدفع الثمن".

فقال حاتم دون أن يأبه لما قالته جوليا: "لن أسمح لك أن تغتالي نفسك بيدك يا ابنتي". اقتربت جوليا من أبيها وقالت: "سيتم الزفاف غداً يا أبي".

فقال حاتم عندها: "وأنا لن أحضر الزفاف".

كانت جملة حاتم كضرب الخنجر في قلب جوليا وقالت: "لا يا أبي أرجوك لا تفعل هذا، فعينك هما المكان الوحيد الذي يشعرني بالأمان".

فاقترب حاتم محتضناً ابنته وقال بصوت متحشرج: "لا أستطيع
يا ابنتي فحيث تشعرين بالأمان أشعر بالخذلان".
"غداً سيكون زفافي وأنت من سيتأبط ذراعي ويوصلني إلى قاعة
الزفاف تماماً كما كان في يوم الخطوبة".

ابتسمت جوليا محاولة محو الخوف الذي تراه في عيني والدها،
ولا تشعر به في نفسها، فقد كان في داخلها مزيج من المشاعر
المتلاطمة ما بين الحزن على والدها الذي كانت تراه ضحية مثلها
تماماً، والبدء بمرحلة جديدة يشوبها رغبة من نوع آخر لم تتذوقه
جوليا مسبقاً، رغبة تنازعتها كتساقط الورق في كانون الأول حينما
يلامس الأرض لبرهة ثم تعصف به الرياح لساعات، رغبة بعثرت
أحاسيسها ليقى التساؤل الوحيد الذي يؤرجحها بين القبول
والرفض، لماذا تريد للزفاف أن يتم؟!

الأرواح الشائخة

كان حاتم يجلس في مكتبه شاردًا، يقلّب الكتب والأوراق التي أمامه بلا هدف، ثم سار ببطء نحو النافذة المطلّة على حديقة المنزل التي احتوت في داخلها ذكريات كل ما هو جميل، فهنا كانت جوليا تخطو خطواتها الأولى، وها هي تخطو خطواتها الأخيرة مودعة حنايا بيت اكتنفها منذ الصغر، فجوليا في الأعلى كانت تستعد ليوم زفافها المنتظر من قبل الجميع عداها هي وحاتم! كانت تجلس في غرفتها أمام المرأة الكبيرة والمصنف يضع لمساته الأخيرة على مظهرها النهائي لليلة العمر، كانت جوليا تحقّق إلى نفسها بشرود.

ليلة العمر... ولماذا قرر الجميع أن يحصر العمر كله بليلة واحدة؟! من أعطى الحق للبشر بأن يعنونوا فصول الحياة بمصطلحات هم ابتكروها وهم وضعوا تعاريفها؟! فإذا كانت الحياة خلق الخالق كيف لنا أن نحدد المفاهيم إذا كنا نحن من المخلوقين؟ ولكن هو الغرور، ذلك الكبر الذي يجعل البشري يعتقد بأن العقل جعله يتسيد المخلوقات حتى الشياطين دون أن يدرك أنه شيطان ذاته!

قاطع صوت المصنف أفكارها قائلاً: "آنسة جوليا هل ترغبن بأي تعديل". فأجابت ساهمة: "ماذا؟! نعم نعم فقط أنزل هذه

الخصلة أشعر بأن التسريحة أصبحت أكثر علواً من السابق".
حدق المصنف وقال: "ولكنني حاولت أن أخفض من ارتفاعها كثيراً!".

عندها أخذت جوليا تدير رأسها يمنة ويسرة ثم قالت: "أتعلم، اجعلها تناسب فوق كتفي فأنا لا أحب الشعر المرفوع هكذا".
عندها قاطع صوت والدتها القادم من وراء الباب المفتوح:
"بالطبع لا، ستظهرين بالمظهر نفسه الذي ظهرت به يوم حفلة الخطوبة! عليك أن تجعلي من مظهرك مظهراً يليق بعروس ليلة زفافها".
جلست جوليا باستهتار، ثم قالت للمصنف مشيرة بيدها نحو والدتها: "اتبع تعليماتها فهي ستحقق لك المطلوب".

حدق المصنف إلى جوليا صامتاً ثم قال موجهاً كلامه نحو ماجدة: "حسناً سيدتي... هل من إضافة ترغبين بها؟".

عندها اقتربت ماجدة غير آبهة بجوليا، وبدأت تشير للمصنف ببعض التعديلات لتظهر ابتهاجها في ليلة زفافها كما كانت تتمنى، في تلك الأثناء دخل الثوب بغلاف بلاستيكي أسود كبير محتوم بشعار جيفينشي معلناً بدء العد التنازلي للحظات الأخيرة بينما كان حاتم يجوب أرجاء المنزل بعقل شارد حتى قاطعه صوت ماجدة "جوليا شارفت على الانتهاء وأنت لم تجهز بعد!! هيا يا حاتم عليك أن تجهز".

حدق حاتم إلى ماجدة التي جعلت المصنف الآخر يجري لها كافة التحضيرات أثناء تحضير جوليا مما جعلها في كامل زينتها، تمنع حاتم في تفاصيل وجهها الذي ترك الزمن بعض الآثار الصغيرة عليه بعينها العسليتين فجوليا لم ترث من والدتها سوى القوام المشقوق

والشعر الحريري الأسود المنساب أما تانك العينان اللتان رسم الزمن بعض تفاصيله حولهما وبدت ظاهرة في الآونة الأخيرة أكثر من غيرها، فلم تكن سوى حكر على ماجدة جعلت حاتم يشعر بالدفع نحوها كدفع باريس ولياليها الهادئة "لِمَ يُلفظ الماضي كالخنظل من دروب البشر رغم جماله! فما الماضي إلا مسحة من مسحات الزمن الجميل" قال حاتم.

اقتربت ماجدة من حاتم قائلة: "حاتم يا عزيزي...".
اقترب حاتم مُقبلاً ماجدة من وجنتها قائلاً: "وفي عينيك أرى الزمن الجميل يا عزيزتي فرغم الحاضر تتشحن بجمال باريس".
للمرة الأولى تشعر ماجدة بدفع حاتم القديم فقالت بلهفة:
"حاتم...". ثم احتضنته وتأبطت ذراعه قائلة وهي تبسم سعيدة "أنت والد العروس، سيد الحفل، لذا أنا سأجهزك بنفسي لنستعيد مع الزمن الجميل". ثم صعدا باتجاه غرفتهما، في تلك الأثناء أنهت جوليا كافة التفاصيل، وباتت مستعدة لليلة زفافها، ثوبها، شعرها، تفاصيل مكياجها الصغيرة بدءاً من قدميها وحتى الرموش التي تم إضافتها لتمنح عينيها عمقاً يبهر الموجودين ويمنحها ستاراً عن الحاضرين، بات كل شيء مستعداً عدا قلبها! فقد كانت تغلفه بصمتها الذي أصبح صفة غالبية على حضورها في كل مكان. كانت تحدد إلى منحوتتها المعلقة، فكم فكرت طويلاً هل تحملها معها إلى حيث منزلها الجديد مع كريم، ولكنها علمت بأن الطرق المرصوفة رغم ما تحمله في حناياها من سعادة أو ألم - كما قال ريمون - هي هنا حيث والدها ودفع ليالي هذا المنزل الكبير، فهي لن تحمل أكثر من نفسها المسلوبة إلى كريم، لا شيء من روحها المنسية هنا.

كانت جوليا تنزل الدرجات ببطء بفستان أبيض من الدانتيل الفاخر المطرز ببعض اللؤلؤ الذي تم طلبه خصيصاً من اليابان حتى تتم حياكته بطريقة يدوية تمنحه ذلك الإحساس بالفخامة والثراء، كان كريم قد أوصى على فستان الزفاف وتفصيله من فرنسا، وطلب من المصمم كافة التفاصيل الدقيقة لمنحه كل تلك اللحظات والتفاصيل التي جعلته كما يرغب تماماً، وكما طلبت جوليا لم يرسل لها كريم حتى صورة الفستان وجعله مفاجأة لها!

رفضت جوليا ارتداء الطرحة التقليدية للعروس، واكتفت بالفستان ذي الظهر المكشوف والكمين الطويلين ذوي الدانتيل التي منحت بشرتها لوناً كريماً خاصاً جعلت طقم الألباس الجديد الذي أرسله كريم مع الفستان أكثر لمعاناً، فكل ما حولها كان له بريقه الخاص إلا عينيها، فقد كان فيهما بريق من نوع آخر، بريق لم يفهمه سوى صوت قلبها الذي كان ينبض في أذنيها كلما اقتربت نحو الطابق السفلي، وما أن وضعت قدمها على الدرجة الأخيرة حتى استدار حاتم، لم يستطع أن يخفي تقاطيع وجهه التي غمرت جوليا حينما رآها، بالرغم من امتزاجها بالألم، لكنها عروس حقاً، لقد أصبحت ابنته الوحيدة عروساً، وكم تبدو جميلة بثوبها الأبيض، لم يستطع حاتم أن ينطق بمنت شفة، وأخذ يتلع هدوءه بصمت حينما اقتربت ماجدة وقالت بصوت دافئ: "آه جوليا ابنتي... كم أنت جميلة". نظرت جوليا إلى والدتها نظرة حائرة، ثم توجهت نحو والدها وسألته: "هل أبدو جميلة يا أبي؟". حاول حاتم أن يجيب بصوت ثابت، إلا أن الرعدة التي اكتسبت كلامه افتضحت كل مشاعره أمام عيني ابنته المترقتين فأجابها: "تبدين رائعة يا صغيرتي".

لم يستطع حاتم منع الدموع من أن تغرق عينيه، ولكنه استطاع أن يمنعها من السقوط عندما قالت له جوليا: "أما زلت تلك الصغيرة يا أبي!".

فأجابها حاتم قائلاً: "وستبقين دوماً".

فقالت جوليا بابتسامة باردة: "حتى وإن شاخت الأرواح يا أبي".

حدق حاتم إليها قائلاً وعلامات الجدية عادت ترتسم فوق ملامحه: "ولست مضطرة لأن تجربي كيف يمكن للأرواح أن تشيخ يا ابنتي".

اقتربت جوليا، وطبعت قبلة فوق وجنة والدها وقالت: "دع الزمن يقرر يا والدي".

أمسكت جوليا بيد والدها المرتعشة، ثم توجه الجميع نحو السيارة منطلقين إلى حيث حفل الزفاف المقام في المزرعة الخاصة بعائلة كريم.

وصلت جوليا حيث كان الجميع في انتظار حضور العروس، حتى كريم نفسه لم يستطع أن يكتُم أنفاسه عندما رأى جوليا وهي تقترب رويداً نحوه متأبطة ذراع والدها الذي حاول أن يرسم وجهاً خالياً من المعالم أمام الحضور، فكان كريم يقف منتظراً وصولها بلهفة حينما اقترب من والد جوليا الذي أبقى ذراع جوليا في أحضان ذراعه ولم يرغب في فكها، ما جعل الحاضرين ينتظرون لحظة انفصال العروس عن والدها ليبدأ إعلان الحفل، بينما أشرف يحدق من بعيد محاولاً التقاط الحدث من تحت طيات الأقمشة التي تخفي ارتعاش جميع

الأطراف بمن فيهم كريم، ولكن برودة أطراف جوليا والعرشة الخفيفة فيهما جعلت حاتم يمسك بها دون أن يسلمها لكريم فاقترب عارف قائلاً: "سيد حاتم اسمح لي أن أسلم أنا جوليا لابني كريم".
عندها أفلت حاتم ذراع جوليا التي باتت أكثر هدوءاً وقال:
"تفضل".

ضم عارف ذراع جوليا، ثم قدّمها لكريم الذي اقترب منها، وأمسك يدها ليغمرها براحة يده القوية، إلا أن جوليا لم تضع كافة راحة يدها فوق كفه بل تركت مسافة صغيرة بينهما حتى لا تمنح كفه ذلك العناق الذي يبحث عنه بين أناملها المشوقة والتي تنبعث منها رائحة الحمام المغربي الذي أصرت ماجدة أن تجريه لجوليا لتمنحها بعض الاسترخاء والراحة، فالأعشاب التي تم تدليك كافة أنحاء جسدها المنهك فيها حتى أصابعها كانت تفوح ممتزجة برائحة عطر شانيل 5 الفرنسي المفضل لجوليا.

ما إن أمسك كريم بيد جوليا حتى علا تصفيق الحاضرين وبدأت الفرقة الموسيقية بعزف مقطوعة الافتتاح، عندها ابتداء كلاهما الخطوات الأولى للرقصة تحت رقابة الجميع، شعرت جوليا بأن العيون تنهشها، لا تراقبها فحسب! تحاول احتراق فستانها وبطانة جلدها وخلاياها لتقرأ تفاصيل ارتعاشاتها المكنونة، حاولت أن ترتدي وجهاً آخر يتناسب مع الحدث، إلا أن ذكرى الرقصة الأولى لليلة خطوبتهما كانت تقف حائلاً بينهما كشخص ثالث تمتد يده إلى قلب جوليا كلما حاولت الاندماج على أنغام الموسيقى المناسبة من بين آلات الفرقة الموسيقية التي كانت تعزف دون أن تشعر بالحاضرين، اقترب كريم من جوليا سائلاً إياها: "لِمَ لا ترقصين؟ الجميع يراقبنا".

أجابت جوليا بروود مبتعدة عن عيني كريم المحدثين إليها: "هكذا أرقص دائماً".

قال كريم بصوت لا يخلو من نبرة الاستغراب: "هل تعتقدين أن من راقصك في المرة الأولى لن يدرك تغير خطواتك في المرة الثانية؟".
حدقت جوليا إليه بنظرة لا تخلو من التحدي: "بالطبع، فلكل رقصة خطاها يا عزيزي".

أمسك كريم جوليا من خصرها محاولاً الاقتراب منها حتى تعود خطواتهما للانسجام مع الموسيقى، إلا أن جوليا شعرت بقشعريرة تتسرب نحو جسدها ببطء كادت أن تتعثر بها خطواتها، ثم ابتعدت تاركة مسافة بينهما فسألها كريم: "لمَ تتعدين هكذا! جوليا علينا أن نرقص فالجميع ينظر إلينا ألا ترين؟".

"ورقصتنا الآن ما هي إلا من أجل الحاضرين".
"لكنّ الرقص تناغم موحد بين روحين".

ضحكت جوليا بسخرية وسألت: "روحين؟!". ثم أدارت وجهها، وأخذت تلتف حول الحضور موزعة نظراتها الجليدية أمامهم والمشتعلة أمام كريم دون أن تدرك أن تلك النظرات ستزداد احتراقاً حينما ترى عيني أشرف المراقبتين تترصد تفاصيل وجهيهما وخطواتهما وحتى حروف كلماتهما المبهمة من بعيد، مخلفة وراءها كل الجليد المتراص في عينيها ينسكب أمام تفحصه الدقيق لرقصتهما الأولى، عندها انحنت جوليا إلى الخلف بجرأة فاجأت كريم وجعلته ينتفض ليمسكها أثناء الرقص حتى لا تسقط وتهمض مسرعة مع الموسيقى ذات الإيقاع العالي وقالت بصوت متهمك: "روحين وتناغم... يبدو أنك قد نسيت الحقيقة مع أنغام الموسيقى".

"ولم لا نجعل الحب هو الحقيقة؟".

أجابت جوليا دون أن تعير كريم بالاً قائلة: "الحب أنواع يا عزيزي، حتى أن النسر حينما ينقض على فريسته من الأعالي، إنما يمارس نوعاً من أنواع الحب".

أجابها كريم بعصية: "بل رغبة، فالنهم رغبة وليس حباً".
عندها أجابت جوليا ساخرة: "إذن تعترف أنك نهم، ولست عاشقاً".

حدق كريم إلى جوليا مشدوهاً حتى توقف عن الرقص، ولكن الموسيقى كانت قد توقفت معلنة انتهاء الرقصة، ليصفق الجميع لهما، فقد أتقنا دور العاشقين أمام الجميع، عداها وعدا أشرف الذي كان يعلم أن بين التتمات وخلجات الوجوهين المتوترين والخطوات الراقصة المتعثرة بذكاء لغزاً لا بد أن يحل يوماً.

سار كريم بصحبة جوليا وهما يبادلان الحضور الترحيب، حيث كان الجميع يستمتعون بأجواء الحفل الفاخر، فترتيبات حفل الزفاف كانت تفوق حفل الخطوبة أضعافاً، من خدم وتجهيزات وموسيقى ومقبلات وبوفيه طعام فاخر امتد على طول المزرعة الشاسعة التي كانت تبلغ ما يقارب العشرة آلاف متر، يمتد فيها العشب الأخضر باسطاً ذراعيه فوق المكان صيفاً شتاءً، أما الزهور فتمت زراعتها بعناية لتعطي تدرجاً واضحاً بالألوان، والشجر المقلم كان يضيء على المكان عبقاً ذا رائحة زكية لتمنح عرسهما لمسات أسطورية تنطبق مع الحدث الذي تم التخطيط له بعناية؛ درءاً لكل ما قد يُستنبط من بين السطور والعيون لمعرفة ما حصل!

لقد كانت أجواء الحفل وتحضيراته كفيّلة بأن تدفن أي إشاعة بشأن القضية أو حريق اليخت، كفيّلة أن تُنسى الجميع بنشوة كل الماضي، عدا حاتم الذي كان شاردًا يحدّق إلى جوليا من بعيد مراقبًا جميع تصرفاتها، حرّكاتها، ضحكاتها، ابتساماتها، خطواتها. كان يعلم أنّها تتصنع، لكنّه كان يعلم أنّ في عقل جوليا خياراً آخر، جوليا لم توافق على الزواج من أجله فحسب بل هناك سبب خفيّ آخر، سبب يظهر في عينيها كلما حاول إقناعها بالتراجع، سبب يتشح بلون عينيها فيخفتي مبتعداً حتى لا يكشفه لحظة النقاش، سبب لم يعرفه أو لم يحاول السعي جاهداً لقراءته حتى تبقى جوليا هي جوليا طفلة الصغيرة دون أن يرى تعديلات نقشتها أمواج البحر الثائرة ليلة اليخت في نفسها دون زوال.

أما ماجدة وثرثيا وعارف فقد غمرتهم الأجواء حتى نسوا كل الليالي السابقة بكل تفاصيلها المؤلمة والمرهقة واستمتعوا مع الحضور بالتحضيرات التي تكفل بها كريم كاملة، وبينما كان الجميع منغمكين بالحفل وتفصيله، دخل حكمت وتوجه نحو جوليا عندما اعترضه حاتم قائلاً: "ماذا تفعل هنا؟".

ارتسمت المفاجأة على وجه حكمت قائلاً: "أهكذا تستقبلني ليلة زفاف ابنتك؟".

حدق حاتم إليه والشرر يكاد يتطاير من عينيّه: "ومن دعاك إلى الحفل؟!".

فاقتربت ماجدة قائلة: "حاتم.. أنا من دعوته أرجوك اهدأ".

فنظر حاتم إلى عيني ماجدة بقسوة: "ومن سمح لك بذلك؟".

قالت ماجدة بصوت حزين: "حاتم أرجوك إنه خالها، وشقيقي الوحيد، لا تخلق شرخاً بينكما جرّاء ما حدث، ها هي ابنتنا تتزوج انظر" ثم أشارت بيدها نحو الحفل، وقالت مكملة كلامها بصوت ينتابه الراحة "انظر يا عزيزي الجميع فرحون والحفل يسرق أنفاسهم، ربما كانت هناك تفاصيل شائكة جداً سحقت الجميع في السابق، ولكنها ستنجلي بمجرد أن تنتهي الليلة، صدقني..."

حقد حاتم إلى ماجدة، فشعر أنها هي أيضاً تحاول جاهدة الانسحاق ضمن الأحداث دون مقاومة، فكيف له أن ينسى أنها أم وقلب الأم مهما يكن جباراً يحمل في ثناياه نوعاً من أنواع الحب الذي لا يحمل تعريفاً أو لغة، في عينيها فرحة مغتالة وسعادة مسلوّبة، فكم كانت تتمنى حقاً أن تكون مطمئنة وسعيدة على ابنتها في ليلة العمر التي بقيت أعواماً طويلة تنتظرها إلا أن ذلك الاطمئنان كان يحتبى باستحياء خلف ما حدث غير قادر على الظهور ولو لثانية ليطمئن قلباهما، عندها صمت حاتم وقال موجهاً كلامه لماجدة: "حسناً يا حبيبي استمتعي بحفل زفاف ابنتك". ثم قبلها على جبينها، وغادر دون أن يرمق حكمت بنظرة واحدة، دخل حكمت الحفل برفقة ماجدة متوجها نحو عارف ومجموعة من رجال حزب التآلف الوطني الذين كانوا يتبادلون أطراف الحديث ونظراتهم تنتقل بين الحاضرين، أما عند الباب فتوجه حاتم مستقبلاً مجموعة من ضيوف الحزب الحاكم، وما إن لمحهم حكمت حتى أسرع باتجاههم مرحباً بهم، فوجود أعضاء الحزب الحاكم يعني شفافية حزب التآلف الوطني في المعاملة، وعدم دمجها للمعترك السياسي بالحياة الاجتماعية. عندها أشار لأحد المصورين بأن يقترب ملتقطاً مجموعة من الصور له وحاتم

مع أعضاء الحزب الحاكم وذويهم، فكانت بعض الصور تندرج تحت اللقطات الطبيعية الممزوجة بالضحكات والابتسامات والحوارات الخفيفة التي تتناسب مع الحدث، وبعضها جدي يتناسب مع مكانة الحزبين يحتويها الود وتخلو منها روح التنافس التي كانت تسيطر على الساحة السياسية في معركة الانتخابات الرئاسية.

قال عادل لحاتم وهو يقترب منه مبتسماً: "بالرغم من مضمار السباق الذي نحياه إلا أنني أتمنى لابنتك زواجاً سعيداً يا سيد حاتم".

فابتسم حاتم قائلاً: "أشكرك يا سيد عادل، وجودك يسعدني".
فاقترب حكمت وقال مقاطعاً: "ولكن تمنياتك تلك لا تمنع أن تبقى المنافسة على الانتخابات الرئاسية هي الحدث الأهم".
فقال عادل ضاحكاً: "بالطبع يا حكمت، تبقى هي الحدث الأهم لديكم كحزب أما بالنسبة إلينا كحزب مرشح فأعتقد بأن الساحة لا تزال خالية أمامنا".

ابتسم حكمت، وهو ينفث الدخان من سيجاره الكوبي: "تبدو الثقة واضحة في صوتك وذلك بحكم النتائج السابقة، ولكن..."
صمت قليلاً ثم أضاف: "آن للزمن أن يقول كلمته هذه المرة".
ابتسم عادل وقال: "الزمن هو من يقول الكلمة في كل مرة يا حكمت، فدوماً للتاريخ لغة أخرى".

عندها اقترب أحد الصحفيين قائلاً: "سيد عادل نوران رئيس الدولة السابق والمرشح الحالي هل تسمح لي ببعض الأسئلة ولو أنني أعلم أن المكان غير مناسب ولكنها فرصة بالنسبة إلي أن ألتقيك بشكل مباشر هنا فهلا سمحت لي؟".

ابتسم عادل قائلاً: "بالطبع تفضل".

وما إن أكمل جملته حتى غادر حكمة المكان.

في تلك الأثناء كانت جوليا تجوب بين الحاضرين بعد أن استأذن رفاق كريم من جوليا بأن تمنحهم إياه لبضع دقائق حتى يستمتعوا معه بلحظات العزوية الأخيرة فأجابتهم مبتسمة: "لا تقلقوا فعزوبيته لن تنتهي، لست ممن يقتلون حرية الرجل بعد الزواج". فنظر أحد أصدقائه وقال معجباً: "كم أنت محظوظ يا كريم أن تمتلك قلباً وعقلاً في آن واحد". صمت كريم مبتسماً ابتسامة لم يفهمها أحد سواه هو وجوليا.

بينما كانت جوليا تتوقف قليلاً محاولة فك ذيل ثوبها الذي كان يزحف وراءها ما جعله يعلق بإحدى الشجيرات الصغيرة اقترب أشرف قائلاً: "أتسمحين لي؟".

ثم انحنى بالقرب من الفستان، وحاول نزعه برفق من أغصان الشجيرة الصغيرة القابعة في أرض المزرعة، واقترب منها وناولها إياه قائلاً: "انتهيت.. تفضلي".

ابتسمت جوليا وقالت: "شكراً لك" وأكملت قائلة: "يبدو أن أحدهم قبل الدعوة دون محاولة هروب واحدة من الأجواء المصطنعة للحفلات". ثم أردفت قائلة: "لقد سمعت في أحد لقاءاتك القديمة أنك لا تهوى الجو المصطنع في وجوه الحاضرين".

ضحك أشرف وقال: "نعم، كان هذا في إحدى المقابلات القديمة عندما كنت صحفياً مبتدئاً".

فحدقت جوليا إليه قائلة: "وهل تتغير المبادئ كلما أصبح الإعلامي أكثر تمرساً؟".

فأجابها أشرف بمكر: "ربما" وحدث إلى عينيها محاولاً رصد ردود أفعالها التي حاولت أن تشيح بها مبتعدة عن عينيه ثم قال: "للواقع دوماً مبادئ جديدة".

عندها قالت له جوليا بصوت ثابت دون أن تنظر إلى عينيه: "وكيف للمبدأ أن يتبدل؟".

"عندما يجبره القدر".

فأجابته جوليا: "ولكننا نمتلك حرية الاختيار وإلا لما كنا مخلوقات مخيرة وليست مسيرة".

"وهل هناك ما يثبت أننا نمتلك الخيار؟".

"قراراتنا..". كانت جوليا تجيب أشرف وهي تنظر في الحفل والحاضرين من بعيد كصورة بدأت تتلاشى أمامها فقطعها صوت أشرف: "وهل كان قرارك أن تكوني ابنة المرشح الأول لرئاسة الدولة؟".

"وأنت.. ألم يكن قرارك حضور حفل الزفاف؟".

فاقترب منها أشرف، وقال لها بنبرة المتمرس: "وحتى إن كنا مخيرين، فقد يحمّلنا القدر قرارات لم نخترها عندها يكون اختيارنا للهروب قراراً".

فأشاحت جوليا بوجهها مبتعدة عن أشرف، ومحاولة أن تعبث بثوبها، كمن يحاول إصلاح ما فسد حينما قال أشرف: "كالهروب الجاثم في عينيك منذ الرقصة الأولى، والذي ترجمته خطواتك المتعثرة على الأنغام المتوازنة في الساحة هناك".

حدثت جوليا إلى أشرف مشدوهة للحظات، ثم قالت: "للهرب مسالك كثيرة، ولكن هل منا من لم يهرب حقاً؟". ثم

أكملت قائلة وهي تحدق إلى أشرف كمن ينتظر جواباً: "ألم تهرب يوماً؟".

حيم الصمت عليهما للحظات، عندها استطاعت جوليا أن تقرأ الإجابة في عيني أشرف وأدركت بأن البشر يعتقدون أنهم يمتلكون السلطة العليا في الأرض كونهم بشراً. لذا، يعتبرون الهروب انتكاسة فلا يمكن لبشري أن يعترف بالهروب.

ابتسمت جوليا قائلة: "والآن سأهرب أنا منك قبل أن يسرقنا الحوار أكثر، ونسى الحضور، فاسمح لي، وتشرفت بحضورك".
ابتسم أشرف قائلاً: "حسناً، سأدعك تتهريين وليس تهريين كما تعتقدين حتى لا يلحظ الحفل غيابك". ثم أردف: "ولكن اسمحي لي أن أنزل ذيل فستانك الساحر على الأرض حتى ينشر جماله على الحاضرين كما فعل لحظة وصولك".

هزت جوليا رأسها مرحبة بأشرف، وابتسمت لكلامه المنمق الأخير، ثم توجهت نحو ضيوفها مستكملة الحفل وتفصيله مع الباقين، محاولة قدر الإمكان الابتعاد عن كريم والبقاء بجوار الضيوف إلا أن عيني أشرف أجبرتها أكثر من مرة أن تقترب من كريم حتى تدحض نظرية الهروب التي تداعب فكره كلما حدق إليها.

الزواج صك امتلاك

كان كريم وجوليا يجلسان متجاورين في السيارة المتوجهة نحو المطار بعد أن غادرا حفل الزفاف مودعين الجميع. تناول كريم هاتفه محاولاً التأكد من أن كافة إجراءات السفر باتت جاهزة بينما كانت جوليا تحدد عبر نافذة السيارة التي مزجت كافة تفاصيل المدينة بحركتها المتوجهة نحو المطار ما جعل الأضواء والجدران وحتى البشر مجرد لوحة سيريلية ممزوجة بالألوان وتفصيل ممسوحة المعالم. سألت بصوت أبرد من الهواء الذي يضرب الأشجار في الخارج ومن دون حتى أن تستدير نحو كريم: "ومن قال لك إنني أرغب بالذهاب إلى الكاريبي؟".

أجابها كريم بصوت لا يخلو من الحماس: "الكاريبي من أجمل المناطق لقضاء شهر العسل حيث الشيطان والأجواء الاستوائية القبلية الغريبة تضيء على المكان سحراً من نوع آخر". ثم اقترب هامساً: "وماذا يريد العروسان أكثر من السحر في ليالي زواجهما الأولى".

قالت جوليا بنبرة حازمة وهي لا تزال تنظر عبر زجاج النافذة "قلت لك إنني لا أرغب بالذهاب إلى الكاريبي".
"أنت من طلب مسبقاً بأن تكون كافة التحضيرات بلا علمك أو حتى مشورتك وما طلبته نُفذ لذا لا يحق لك الاعتراض".

"بل أملك كل الحق، فأموج الكاريسي لن تمحو شروخ أمواج ليلة اليخت".

أشار كريم للسائق بأن يرفع الحاجز الزجاجي الذي يفصل بينهما حتى يكملا حديثهما بسرية دون أن يستمع لهما وقال: "جوليا عليك الإدراك الآن أنك أصبحت زوجتي".

فأجابته جوليا: "وإن يكن... من قال لك إن الزواج صك امتلاك؟".

قال كريم: "صك امتلاك بالنسبة إلي".

"غير اتجاه الرحلة إلى أي مدينة أخرى بلا شطآن". كانت جوليا تعلم بأنه لا مرفأ لديها لتضع مرساتها على الشاطئ. استدارت نحو كريم عندما قال لها: "وهل جننت! أتريدني أن أغير الحجز الآن قبل السفر بساعتين".

أجابت بالصوت البارد نفسه: "نعم".

ثم ابتسمت ببرود وقالت: "هذا إذا أردت أن تسمي رحلتنا الزائفة هذه شهر غسل".

استدار كريم نحو النافذة وقال: "عليك أن تعلمي أنك زوجتي الآن ورغم كل ما حدث أعلم أن هناك مساحة حب ضباية تجمعنا وكان يوم خطوبتنا هو البصمة الأولى لتلك المساحة".
"والأخيرة!".

أمسك كريم ذراعها المرتمي بجانبه بقوة وقال: "جوليا... لا تجعلي البداية مسمومة هكذا".

فأجابته بمראה شعر بها كريم في حلقه: "بل مشروخة".

أفلت كريم يدها مشدوهاً وهو يقف حائراً في جواها فهل

شرحها بات أقوى من السم الذي أخذ يسري في حناياه؟ وتمنى لو أنها كانت بداية مسمومة فالسم قد يقتل صاحبه أما الشرخ فكلما مررت فوقه حفر الألم بعمق حتى تصل روحك إلى عنق الزجاجاة مستجدية الرحيل ثم تعود زاحفة بلا أمل.

قاطع السائق أفكار كريم وهو ينزل بالحاجز الزجاجي الفاصل بينهما معلناً الوصول إلى المطار.

جلس كريم وجوليا في غرفة خاصة منتظرين موعد إقلاع طائرتهما بعد أن غير كريم الحجز متوجهاً نحو باريس، اقترب النادل منهما قائلاً: "سيدي هذه ضيافة بسيطة من المطار بمناسبة زفافكما نتمنى لكما رحلة سعيدة" ووضع الصينية النحاسية المنقوشة والتي احتوت على علبة من الشوكولاته البلجيكية الفاخرة التي تم لفها بشريط أحمر وضع عليها كرت كتب عليه "مع تمنياتنا لكما بالسعادة" وبعض الحلويات الشرقية وقهوة اسبرسو وكوبين من الماء، شكر كريم النادل، وناوله مبلغاً من المال ثم غادر.

كانت جوليا تجلس بشرود تحديق إلى أسطول الطائرات القابع أمامها حيث تهب وتعلو بلا توقف. أمسكت بعلبة الشوكولاته بعث حينما رأت البطاقة أمامها "مع تمنياتنا لكما بالسعادة".

كم غريب هو مفهوم السعادة عندما يكون الإنسان مخلوقاً ممزوجاً من نقيض، فما هي السعادة؟ هل هي مجرد أمر لحظي؟ ولم لا تكون حتمية؟ وهل حقاً نشعر بالراحة حينما نرى السعادة في من حولنا؟ وإذا كانت السعادة مرهونة بالباقيين فلم لا تعربد فوقنا حينما نرى وجوههم ضاحكة بل نشعر بالضيق؟ ولم نشعر بالغضب إن تجاهلوا ألماناً؟ أوليست السعادة مرتبطة بالقلب والقلب مرتبط بالحب؟

فلماذا حينما نحب نتألم؟ ولماذا حينما لا يتألم من نحب معنا يزداد ألمنا؟ هل لأننا مخلوقات أنانية تحكمنا الرغبة لا الحب؟ وهل تبقى السعادة مفهوماً يندرج تحت تصنيف الرغبة؟ لذا لا نشعر بالسعادة إلا للحظات أو رشقات صغيرة كرشفة هذا الفنجان البارد. قاطع صوت المضيئة المنبعث من سماعات المطار أفكار جوليا "النداء الأخير للرحلة رقم 312... على السادة المسافرين التوجه نحو البوابة رقم 22".

فحضت جوليا، وسارت بجانب كريم متوجهين نحو الطائرة حيث كان هديرها أقوى من أفكار جوليا المتلاطمة، وأهدأ من غضب كريم المشتعل.

الحي اللاتيني لا يشيخ أبداً

كانت جوليا تسير في شوارع باريس الصاخبة التي لا تنام، مرتديةً معطفاً جلدياً تحاول أن تقي نفسها لساعات البرد التي تضربها بين الحين والآخر، ولفتت شالاً قطنياً دافئاً حول رقبتها، لا تدري هل وضعته لتكمل الشكل العام لمظهرها؟ أم لتُخفي كل ما تستطيع إخفائه تحته؟ كان الليل وصخب الشوارع في باريس كفيلين يجعل كل من يجيا هناك غير آبهٍ بمخلوق يدعى إنساناً، فلم يكن هناك من يسعى لمراقبة الأحداث أو الخطوات أو حتى الكلمات، الجميع كانوا يسعون خلف ذواتهم فقط. ذلك الإحساس بالحرية من الحركة المجهرية التي كانت تحيها في وطنها جعلتها تزيل النظارة السوداء التي كانت تضطر لإبقائها حتى ليلاً أحياناً، كانت تسير - رغم الألم الذي يمزقها - براحةٍ لم تشعر بها منذ مدة طويلة، فالكاميرات التي تلاحقها في بلادها كانت تمنع حتى دموعها من التساقط، بينما كان ليل باريس هنا وحده يمنح دموعها من التطاير مع الهواء الذي كان يضرب عاصمة الضوء والحب، ليترنح المستيقظون قبل الثمليين. كانت خطواتها المتعثرة والمبعثرة والتائهة تجعل كل من يلمحها، حتى وإن كان غير آبه، يعلم أنها لا تعرف أزقة باريس بدقة إلا أن ذاكرتها لم تخنها في أن تسير فيها هروبا من كل شيء حتى من ذاتها!

بينما جلس كريم فوق الأريكة منهكاً بقميصه الأبيض وربطة عنقه المفتوحة مطرقاً رأسه أرضاً وعقله يردد جملته الأخيرة لجوليا قبل أن تغادر الغرفة منطلقة إلى حيث اللاشيء "لِمَ يا جوليا؟ لِمَ تحاولين دس العقاب في كأس اللحظات المنسية؟ لِمَ ترسمين خطأً من العذاب بيننا؟ لأنني أخطأت؟". ثم أكمل صارخاً وهو يقذف كل شيء في وجهه "ومن منا قديس؟!". أجابت جوليا بصوت بارد: "النزيه...!!".

سارت جوليا في شوارع باريس محاولة محو كل ثانية مرت خلال هذا اليوم، إلا أن الساعات والأيام الماضية لم تكن تُمحي، فهل يمكن لهذه الثواني الأخيرة أن تُمحي؟! بدأت جوليا تستعيد الأحداث رغماً عنها وبالرغم من جميع محاولاتها لطردها ما حدث من ذاكرتها، إلا أن الهواء الذي بعثر خصلات شعرها وفكرها كان أقوى من أن تقاومه.

فما أن دخل كريم وجوليا الفندق حتى وضع الخادم الحقائب في الجناح الملكي لفندق الريتز، وغادر مبتسماً بعد أن أخبرهما بأن الفندق يقدم لهما هدية خاصة بمناسبة زواجهما، وهي دعوة على العشاء تم من خلالها حجز المطعم كاملاً لكليهما فقط حتى يستمتعا بليلتهم الأولى في الفندق من دون وجود أحد من المتطفلين، ثم بدأ كريم بوضع الحقائب جانباً، وجلس على الأريكة ليسترخي حيث كانت جوليا تجلس، وما كاد يجلس حتى نهضت مسرعة محاولة أن تتجه نحو حقيبتها، إلا أن يد كريم كانت أسرع من خطواتها فأوقفتها مكانها وكان صوته الهادئ يقول: "جوليا اجلسي عليك أن تستريحي قليلاً من عناء السفر، ولست مضطرة للتوجه إلى أي مكان آخر كوني أصبحت بجوارك".

بقيت جوليا واقفة وظهر بذلتها الرسمية المغطاة بالدانتيل المحرم أخفاه شعرها الأسود الحالك الذي انساب فوق كتفيها بعد أن فضلت جوليا أن تطلق له الحرية قبل الوصول إلى المطار فما عادت مضطرة لأن تجعل مظهرها الرسمي يليق بالبروتوكولات الاجتماعية التي تحيط بها أثناء الحفل والذي كانت والدتها تصر على أن يبقى كما هو حتى اللحظات الأخيرة لحفل الزفاف.

أجابت جوليا برود ويدها لا تزال في قبضة كريم: "توجهي نحو الحقيبة لا يعني أنني لا أنوي أن أستريح، ولكن يعني أنني أنوي الاستراحة في مكان يناسبني أكثر".

بقي كريم ممسكاً بيدها عندما جرّها نحوه بقوة، وهو لا يزال جالساً وقال: "لست مضطرة للبحث عن مكان، وأنت بجواري، فلا بد لك أن تجدي زاوية للراحة هنا".

فأدارت جوليا وجهها نحوه بحنق وقالت: "ليس وأنت هنا".
نهض كريم ليقف قبالتها مباشرة قائلاً: "جوليا... لقد بتنا زوجين ألا ترين؟" ثم سار في الجناح الكبير ذي الطابع الفيكتوري المعتق والمؤلف من صالة كبيرة تحتوي على طقم من الأثاث الأتيك المميز بتفاصيله الحفرية ونقشاته وشاشة تلفاز معلقة على الحائط تمنح المكان رغم عتقه بعض الحدائثة لتكتمل الصورة المزوجة بين المكان والتاريخ منتهية بالتراس المطل على الساحة العامة حيث النافورة التي توسطت الساحة بنقوشها المحفورة تحمل في حناياها ذكرى لكل مار أو عابر حولها، كما كانت التفاصيل الصغيرة تحمل نقوشها في قلبيهما معاً، رغم محاولات كريم تناسي ما حدث، لذا أكمل كلامه قائلاً: "انظري نحن هنا في قلب باريس معاً، يجمعنا مكان واحد،

وتحيطنا جدران غرفة واحدة، وحقيرة سفر واحدة، ومحطة واحدة، كل ما بيننا بات جزءاً واحداً، فلم تحاولين التحذيف عكس التيار؟ ألا تعلمين أن التيار يقتلك إن جرفك إلى قعره؟ ألا تعلمين أن هذا النوع من المخاطرة قد يهلكنا؟".

فأجابته جوليا: "لأنه لا وجود لتيار يجمعنا، ولا وجود للرقم واحد في حياتنا، فنحن اثنان يا كريم وسنبقى اثنين" ثم سارت باتجاه حقيبتها وبدأت بإخراج ملابسها وتعليقها في الخزانة المخصصة في الجناح، غير آبهة بكل ما يقوله كريم أو يفعل، فاقترب منها بعد أن أمسك يديها اللتين تعلقان الثياب: "جوليا، لم تفعلين كل هذا؟".

أفلتت جوليا يديها من قبضته، وعادت تعلق ثيابها المتبقية. فقال كريم بعصبية: "ومنذ متى يُعاقب المرء على خطأ قد حصل لحظة انفعال؟".

أجابت جوليا بمرارة: "بل لحظة رغبة قدرة".
"وإن يكن، ألم تصبحي زوجتي في النهاية! ما الفرق إذن؟" ثم اقترب منها وهو يمسك ذراعيها وما أن رأى عينيها اللتين تتقدان بالغضب حتى قبض شعرها المنساب بين كفيه بقوة واقترب من شفيتها وقبلها عنوة وهو يقول: "وماذا تريدين؟ أن أحصل عليك عنوة كالسابق!!". حدقت جوليا بفمها المطبق وعينيها المرتعبتين ودفعته إلى الخلف مبعدة إياه عنها وقالت: "ابتعد، وإياك أن تعتقد أنه يمكن لك أن تفعل ما فعلته في السابق حتى وإن كنت زوجتك، فأنت لن يكون لك أي حقوق عندي". ثم أكملت بصوت متحشرج باكٍ: "لن تنالني يا كريم حتى وإن كنت ميتة أتفهم؟!".

دخلت جوليا الحمام، وأغلقت الباب بقوة ما جعل كريم يقف أمام النافذة الكبيرة المطلة على صخب باريس الذي لم يكن يوازي الصخب الدائر بينهما في الغرفة، وما أن خرجت حتى رآها بدلت ثيابها استعداداً للمغادرة، فركض نحوها مسرعاً، ووقف أمامها وصوته يشوبه بعض اليأس "لِمَ يا جوليا؟ لم تحاولين دس العقاب في كأس اللحظات المنسية؟ لِمَ ترسمين خطأً من العذاب بيننا؟ الأنسي أخطأت". ثم أكمل صارخاً وهو يقذف كل شيء في وجهه "ومن منا قديس؟!". أجابت جوليا بصوت بارد "النزيه...!!". ثم خرجت بعد أن أفقلت باب الغرفة بقوة لم تكن تعلم إلى أين؟ ولكنها كانت تعلم أن عليها الخروج، أما كريم فلم يحاول حتى اللحاق بها، لأنه عَلم أن المسافة بينهما كانت أكبر من أن يستطيع اللحاق بها، فآثر الصمت والتحديق إليها من بعيد، وهي تسير بخطى متعثرة فوق شوارع باريس المرصوفة.

كانت جوليا تسير محاولة الانسحاب من كل شيء، حتى ذاتها، جعلت الهواء يصفقها دون اكتراث، وأخذت تهيم في شوارع باريس المستيقظة، وما أن توقفت حتى وجدت يدها تقرع جرس أحد البيوت الهادئة في الحي اللاتيني، حيث كانت والدتها تقول دوماً: "الحي اللاتيني لا يشيخ أبداً" فهل لها ألا تشيخ هي أيضاً في يومها الأول في باريس!

لم تنتبه جوليا أن يدها لا تزال تقرع الجرس، وهي شاردة، إلا عندما سمعت صوت ريمون يتمم بالفرنسية "لست أصماً أيها الطارق، ألا تعرف أن الجرس يقرع مرة واحدة...". ولم يكمل جملته حين رأى جوليا على الباب تقف بابتسامة خفيفة، وشعرها الملمته

النظارة القابعة فوق رأسها رغم صخب الليل الذي لا ينتهي في عاصمة النور!

ابتسم ريمون وقال بصوت فرح: "جوليا... أي مفاجأة جميلة هذه التي جاءت بك إلى هنا، تفضلي يا عزيزتي".

دخلت جوليا والبرد بدأ يتسرب إلى زوايا جسدها، فاقتربت من المدفأة الحجرية التي كان ريمون قد بدأ يشعل حطبها لتدفئة المكان، بعد أن وضع ريمون شالا صوفيا فوق كتفي جوليا وقال: "لم يُقبل البرد بعد يا صغيرتي رغم حلول الشتاء في باريس".

فأجابته جوليا وهي تدفئ كفيها وتنظر إلى الحطب الذي يحترق ببطء "فصول السنة باتت بلا ميعاد يا ريمون، وما عاد الزمن يمنحنا فرصة الفصول الأربعة سوى عبر معزوفة فيفالدي".

فابتسم ريمون وهو يقترب ببطء فرضه الزمن على خطواته بعد أن قارب السبعين من عمره، وأخذ يجدق إلى وجه جوليا الذي اختفى خلف ظلال ألسنة اللهب المشتعلة التي تقف قبالتها لتحصل على بعض الدفء وقال: "كما أنت يا جوليا تحملين الجمال بكل معانيه".

فأجابت جوليا وهي تنظر إلى عيني ريمون: "وأنت كم تحمل من الفن يا ريمون حتى في كلامك" ثم أمسكت بذراعه مساعدة إياه على الجلوس على الكرسي الجلدي الوثير المقابل للمدفأة فقال لها مبتسما: "وما الذي أتى بك إلى باريس في هذه الليالي الباردة".

ابتسمت جوليا وهي تقرب كرسيها نحوه قائلة: "أنا هنا في رحلة شهر عسلي يا ريمون".

فسألها ريمون بجنان ذكرها بوالدها: "آه جوليا الصغيرة تزوجت! أحقاً أنت هنا في رحلة شهر العسل؟".

أومأت جوليا رأسها بنعم، ثم أكملت ريمون متسائلاً: "منذ متى وأنت في باريس؟".

فابتسمت جوليا وهي تحدق إلى المدفأة التي تزداد اشتعالاً أمامها: "منذ ساعات".

قال ريمون بصوت لا يخلو من المفاجأة: "ساعات؟!". ثم أردف قائلاً: "وأين زوجك؟".

أجابت جوليا بعدم اكتراث: "في الفندق".

فقال ريمون وهو ينهض متجهاً نحو المطبخ: "وماذا تفعلين هنا في هذا الوقت؟ أليست هذه ليلتكما الأولى في باريس؟".

فأجابت جوليا من بعيد: "نعم". ثم نهضت باتجاه المطبخ، لتساعد ريمون الذي سألها بدوره قائلاً: "ماذا تشرين؟". ثم ابتسمت مكماً: "لا بد أنك اشتقت للقهوة الفرنسية". فهزت جوليا رأسها قائلة: "بالطبع". ثم بدأت بتحضير الفناجين على صينية خشبية، علمت جوليا فوراً أنها إحدى أعمال ريمون المميزة ثم سألته وهي تمرر أصابعها فوق الحفر المميز فيها: "أما زلت تصنع المنحوتات يا ريمون".

فأجابها ريمون وهما يتوجهان نحو الصالة الصغيرة حيث المدفأة والأجواء الهادئة في منزل ريمون البسيط الذي لا يخلو من لمساته الفنية المبعثرة هنا وهناك وكانت تزحف فوقها لمسات الوحدة التي باتت واضحة حتى في ملامح ريمون "وما الحاجة إلى النحت يا جوليا في زمن كثرت فيه المنحوتات البشرية؟!".

تهدت جوليا: "صدقت". فكانت الأحداث كفيلة دوماً أن
تتحت آثارها على صفحات الوجوه الهائمة في دوران الأرض بلا
توقف.

قال ريمون وهو يرتشف فنجانه: "وهل أنتِ حقاً عروس الآن
يا جوليا؟".

فأجابته جوليا وهي تحدق إليه مبتسمة: "ألا تصدق أن جوليا
الصغيرة قد تزوجت يا ريمون؟".

فأجابها ريمون قائلاً: "بل لا أصدق أن جوليا العروس في منزلي
في أولى ليالي شهر عسلها يا عزيزتي".

فنهضت جوليا وهي تحمل فنجانها الساخن بكتنا يديها عله ييث
الدفء في روحها التي باتت جليدية، ثم أخذت تنظر من النافذة المطلّة
على قلب الحي اللاتيني إلى باريس التي لا تعرف النوم وقالت: "لِمَ
يقال إن باريس عاصمة الحب والنور يا ريمون".

أجابها ريمون من مكانه أمام مدفأة منزله يرتشف فنجانه ببطء:
"لأنها تحمل كل أصناف العشق الممزوج بنور السحر ساعة الشروق،
فهنا لا يعرف الناس متى سيأتي الحب، ومتى سيغادر؟ لكنهم يعلمون
أهم سيعشقون".

كانت جوليا ساهمة وهي تنظر إلى الحي حيث توزّعت على
الأرصفة كافة أنواع المطاعم والمقاهي بكل اللغات والنكهات، وأما
المكتبات فكانت تشر كتبها بين الأرجاء لتعلن أن للثقافة مساحة لا
تزال محفوظة حتى في زمن الإنترنت والفيس بوك والتواصل الاجتماعي
عن بعد. لا يزال الحي اللاتيني يحمل روحاً من الماضي لا تندثر رغم
الزمن المار فوقه بلا ملل، فعلمت جوليا عندها أن الحي اللاتيني لا

يشيخ فعلا كما قالت والدتها يوماً، وأن العشق سيبقى مغلفاً في باريس - حتى وإن كان ممزوجاً بالألم - بتوليفة أثيرية ساحرة، فاناس هنا سيعشقون، لا من أجل شيء بل من أجل العشق فقط! وبعد لحظات من الصمت سألت جوليا كمن يحاول البحث عن إجابة مع ذاته "لِمَ يمتزجنا الألم يا ريمون؟". كانت تتساءل بحنق عندما شعرت أن الألم تمتد أذرعه إلى حياتنا علناً أو سراً ولا نقاومه. في العشق، في الكره، في الوفاء، وفي الغدر في جانبي الحياة الإيجابي أو السلبي لا بد لوجود لعقة من الألم تمضغها قسراً، ونتجرع مرارتها دون مقاومة وكأننا نعلم أنها جزء أساسي من الترياق.

حدقت جوليا إلى النافذة، ثم ارتشفت من فجاجها رشفة أخرى، وقالت بصوت قادم من بعيد: "لِمَ بات الألم نوعاً من أنواع الترياق؟".

فاقترب ريمون منها دون أن تشعر بخطواته الهادئة، وقال وهو ينظر من النافذة معها متسائلاً: "وهل تشعرين بالشفاء بعد أن تناولي هذا الترياق؟". فهزت جوليا رأسها بلا ثم أكملت ريمون قائلاً: "ما دمت لا تشفين، فالتسامح هو الترياق إذن، فالتسامح حالة من الصراع بين بقاء الجرح ونسيانه، فلا يمكن للجرح أن يكون حاضراً بلا ألم".

"وماذا إن لم نعرف كيف نسامح؟".

سار ريمون متوجهاً نحو كرسيه ثانية، وجلس قبالة المدفأة التي أصبحت نارها أكثر هدوءاً: "ستألم حتى نتعلم".

فقالت جوليا ساهمة: "وإن كنت لا أريد التألم؟".

أجابها ريمون: "عليك أن تسامحي".

فقال ودموعها بدأت تسقط فوق وجنتيها بجملة ما جعل
الحي اللاتيني تغيب معالمه في دموعها المناسبة "وإن لم أستطع؟".
أجابها ريمون والقلق بدا واضحاً في صوته: "سيحتاجنا الأمل
لنصبح عبيداً له نستلذه حينما نراه في عيون الآخرين".

فقال جوليا: "يبدو أنه لم يجتحي يا ريمون بل اغتالي حتى لم
أعد حية". ثم مسحت دموعها وقالت وهي تتوجه نحو كرسيها قبالة
ريمون: "لم أعد جوليا يا ريمون، لم أعد الطرق المرصوفة، لم أعد
سوى بقايا جوليا".

حدق ريمون إليها وقال: "جوليا لن أجبرك على أن تقولي لي ما
سبب كل هذا الكم من الأمل، ولكن ابحتي في نفسك عن طوق نجاة
يا صغيرتي". ثم أمسك يدها المرتجفة وأردف: "ابحتي عن جوليا،
وابحتي عن الحب، فلا موت في الحب يا عزيزتي حتى وإن مات
الزمن".

فابتسمت جوليا وهي تضع فنجان قهوتها وقالت بحنان:
"سأحاول...".

ودعت جوليا ريمون، ثم غادرت حيث بدأت باريس تغرق
بأضوائها الصباحية، عرفت الآن لم سميت بعاصمة النور، فباريس
عاصمة لا تهدأ كنبضات قلبها الثائرة منذ ليلة اليخت وحتى هذه
اللحظة.

قفل على حافة نوتردام

سار كريم في شارع الشانزليزيه محاولاً للملئة أفكاره، فجوليا ونظرة الرعب في عينيها كانت كفيلة بأن تجعله يقف ألف مرة أمام نفسه في مرآة الفندق باحثاً عن ذاته الشرسة التي بثت كل ذلك الرعب في عيني جوليا وبقي متسائلاً؛ لم يا جوليا تجعليني أشعر بالتعري حتى من ذاتي؟ لِمَ تجعلني كل ما بيننا نوعاً من الاغتصاب القسري؟ أمن أجل هفوة؟ كانت الأفكار تعصف في ذهن كريم كعصف الهواء في شارع الشانزليزيه وأفكاره تتكسر فوق الطرق كتكسر المطر فوق أرض باريس.

لم يكن يعلم أنه رغم خبرته الطويلة في التعامل مع كافة أنواع البشر، وخصوصاً النساء، سيعجز عن التعامل مع جوليا، ولم يكن يعلم بأنه سيدخل دوامة الشك هذه، فهل هو يجب جوليا؟ أم أنه مجرد زواج بروتوكولي كما كانت تسميه؟ وإن كان زواجاً بروتوكولياً كما تقول فلمَ يشتعل قلبه كلما رآها؟ هل هو الحب أم أنها الرغبة فقط؟!

هزّ كريم رأسه محاولاً طرد كل الأفكار المتوالية، لعله يهدأ قليلاً، فاقترب من أحد المقاهي، وجلس على الرصيف الغارق في ليل باريس الصاخب طالباً فنجاناً من الشاي الأخضر بنكهة التوت محاولاً تناسي الأحداث بكل تفاصيلها الصغيرة، أمسك فنجان الشاي وهو ينظر إلى

المارة وعاوده السؤال ثانية، إلى متى سيحاول تجاهل جوليا وهو لا يتقن التجاهل؟! حدق كريم إلى فنجانته، ثم رشف منه بضع رشفات، وغادر متوجهاً إلى اللامكان، محاولاً قطع الأفكار المتلاحقة التي تزحف في رأسه المرهق من كل شيء، الزفاف والسفر وجوليا وحتى ليلة اليخت!

في تلك الأثناء، كان حاتم يجلس في حديقة منزله، يستمتع بنسمات البرودة التي كانت تمر بسلام فوق وجهه الهادئ، عندما اقتربت منه ماجدة وهي تحمل كأساً من الماء: "تفضل يا عزيزي".
ابتسم حاتم قائلاً: "شكراً لك".

تنهدت ماجدة، وهي تجلس بجانب حاتم قائلة بصوت شارد:
"لقد تزوجت...".

لف حاتم ذراعه حول كتفي ماجدة، وبقي يحدق إلى الفراغ، فأكملت ماجدة وهي لا تزال تتحدث بنفس النبرة: "لقد توجهنا إلى باريس بدلاً من الكاريبي".

قالت ماجدة محاولة طمأنة نفسها قبل حاتم: "لا تقلق يا عزيزي سيتجاوز ما حدث".

نظر حاتم إلى السماء الغائمة والتي بدأت تبتلع القمر ببطء ونظرة جوليا الأخيرة لا تفارق ذهنه وقال: "أرجو ذلك".

"نعم، دعنا نرجو ذلك". أجابت ماجدة ثم غادرت متوجهة نحو غرفتها تاركة حاتم يغرق في أفكاره التي مزقت أفكارها المتوارية عن نفسها والتي كانت تعلم تماماً أنها لن تهدأ حتى وإن هدأت أفكار حاتم نفسه!

جلست جوليا على التراس المقابل للمدينة شاردة في حركة الشوارع التي بدأت منذ الصباح الباكر، كانت تشعر أن كل عضلة في جسدها تؤلمها بسبب نومها على الأريكة، واستعدت كلمات كريم وهو يقول لها "جوليا، اذهبي ونامي في فراشك".

حملت بعض الأغطية الإضافية الموجودة في خزانة الفندق، وتوجهت نحو الأريكة من دون أن تستمع لكلمة من كلمات كريم ما جعله يقف أمامها قائلاً: "لِمَ تتجاهلين كلامي؟".

فحدقت إليه جوليا بسخرية وقالت: "لأنك غير موجود يا كريم".

"ألا تعلمين أنه يمكن لي فعل ما أشاء معك؟ برضاك أو رغماً عنك، ولكن حتى هذه اللحظة أحاول أن أبقى رmqاً للثقة المشروخة بيننا عليها تستفيق".

فأشاحت بوجهها عنه قائلة: "ولن تستفيق" ثم أخذت ترتب الأغطية وقالت: "بل أنت من عليه أن يستفيق يا كريم، أنا لا أكن لك إلا شعوراً واحداً". ثم صمتت قليلاً واقتربت منه بنظرة متحدية وقالت: "الاحتقار!".

اقترب كريم منها وأنفاسه المتلاهثة تزداد تسارعاً واحترافاً من كلماتها المسمومة، وأمسك بكتفيها بقوة حتى كاد وجهه يلامس وجهها، شعرت جوليا بأنفاسه الحارة والغاضبة، وما إن امتدت يداها نحوها حتى عربرد الخوف في قلبها لتظهر نظرة الرعب في عينيها ثانية، وترتعش من جديد ولكنها تمالكت نفسها برود اصطنعته أمام كريم وقالت: "وماذا ستفعل؟ ستحصل عليّ بالإجبار كما اعتدت يا كريم؟" ثم اقتربت منه وقالت: "تفضل لك جسدي، ولكنك لن

تملك قلبي يوماً، ولا تنسى أن تدفع الأجرة في نهاية الليلة فهذا هو
حالك معي ليس أكثر".

"كيف يمكن لك أن تبخسي من نفسك حتى بالكلام؟!".
"عليك أن تعلم ما أنت إلا اسم على ورق ليس أكثر ولهذا
تزوجتك".

غادر كريم المكان متوجهاً نحو الفراش، وهوى عليه، ثم ألقى
بظهره بقوة إلى الخلف محاولاً محو كل ما حدث منذ لحظات إلا أن
رأسه كاد أن ينفجر. أخذ يراقب جوليا من بعيد قبل أن يسدل جفنيه
من التعب.

في الصباح الباكر، للممت جوليا نفسها حينما اقترب منها كريم
قائلاً: "حذي هذا الشال الصوفي سيمنحك بعض الدفء، أنا مغادر
وسأعود مساءً". وسار متوجهاً نحو الخارج ثم استدار قائلاً: "سنبقى
يومين آخرين هنا، ثم نعود وبذلك تنتهي رحلة شهر العسل الزائفة".
ثم أدار ظهره لها وقال من بعيد: "سنكون اسمين على ورق يا جوليا".
تنفست جوليا الصعداء عندما غادر كريم الغرفة، وأخذت تراقبه
وهو يسير مبتعداً عن الفندق حيث تقبع، عندها نهضت، وأخذت
حماماً سريعاً، وغيّرت ثيابها، وخرجت لتستمتع بباريس وشوارعها
وأهمارها وناسها. كانت تسير فوق جسر الحب حين مرت بين
الأقفال المعلقة على أطرافه، فوقفت برهة، وأخذت تنظر إلى نهر السين
أمامها، حيث تسير المياه بسلاسة وتقع فوقه كنيسة نوتردام العريقة
بنحتها وتفصيلها المعمارية الدقيقة، وقصة أحدهما الذي عشق الغجرية
من خلف الستار متناسياً كل أنواع التشوه في جسده ليشعر بأنه
كامل حين يلتقيها، كان أحذب نوتردام يعلم جيداً بأنه هو الشخص

السليم الوحيد في مجتمع بات معظم قاطنيه مشوهين! ولتبقى هذه الكنيسة ناقوساً أديماً مرهوناً بالحب والتضحية من أجل اللاشيء بل فقط من أجل ما يسمى إنسان، ولهذا لا يزال عشاق باريس يلتقون هنا فوق هذا الجسر ليشتروا قفلاً حديدياً حديثاً أو مهترئاً، فلا يهم! المهم أن يلقياً مفتاحه في قلب النهر ليقى جبهما حياً إلى الأبد.

هل أصبح البشر مثيرين للشفقة إلى هذا الحد ليتشبثوا بسطور رواية ابتدعها الأدب كرمز للحب؟ أم بات الحب مثيراً للشفقة حينما يبحث عن قلوب بشر لتحتويه؟! هل أصبح الحب مجرد سلعة إما تباع ككتب فوق أرصفة المحي اللاتيني أو كأقفال معلقة ببضع سنتات على هذا الجسر حاملاً في حناياه الصدئة معنى الخلود؟!

اقتربت سيدة عجوز ترتدي ثياباً ريفية من جوليا تحمل قفلاً ذهبياً معتقاً وقالت: "علقه يا ابني علّ الحب يقبع في حناياك يوماً". فحدقت جوليا إليها وسألتها: "ومن أخبرك بأنني لا أحب يا سيدتي؟".

فاقتربت العجوز بيدها المرتعشة وأشارت نحو قلبها وقالت: "حينما ينبض هذا لن تكون عينك هكذا، وعندما تشعرين بنبضه حدّقي إلى المرأة وانظري، سترين نبضاته ترتعش من بين الرموش حتى وإن حاولت إخفاءها".

حدقت جوليا مشدوهة إلى العجوز، ثم قالت وهي تشير بيدها للسيدة بعدم رغبتها بالقفل قائلة: "لا أوّمن بالخرافة يا سيدتي وما دمت لا أحب فليّمْ أعلق قفلاً؟".

ابتسمت العجوز وقالت: "قد نحتاج للخرافات أحياناً حتى نجتاز اللحظات الشائكة في حياتنا". ثم ناولتها القفل ومفتاحه وأكملت

قائلة: "علقني القفل من أجل الحب لا من أجل العشق، واطركي العشق لعاشقيه".

صمتت جوليا وهي تحديق إلى القفل للحظات حينما سارت العجوز ببطء في الاتجاه المعاكس لها، ثم استدارت قليلاً وقالت: "وإذا أحبيتني فعلقي القفل من أجلي أيضاً".

ركضت باتجاه العجوز وقالت: "انتظري... هل تعتقدين أنني أحب؟". ابتسمت العجوز بعد أن توقفت، وأخذت تنظر إلى عيني جوليا وقالت: "أنت لم تعرفي يوماً شيئاً أكثر من الحب". ابتسمت جوليا وناولتها مبلغاً من المال، وغادرت ثم أخذت تبحث عن مكان بين الأقفال المعلقة والمكدسة والتي تم نقش حروف العاشقين فوقها، لم تكن تعلم لما اجتاحتها تلك الحيرة المزوجة بالسعادة فكلام العجوز جعلها تعلم أن الحب ليس فقط العشق بين رجل وامرأة فالسير تحت المطر بسعادة هو حب، والتلذذ بفنجان قهوة هو حب، والتمتع بمنظر نهر السين الآن وهي تقف هنا هو نوع من الحب. عندها علق القفل وأغلقتة بإحكام بلا اسم أو نقش أو حرف، فقط قفل بين الأقفال، وقفت برهة أمام نهر السين ورمت بمفتاحها في قلبه لتصبح نوتردام شاهدة على رغبته الحقيقية في الحب!

نهيل الروح

كانت ماجدة تجلس في التراس منتظرة كريم وجوليا اللذين شارفا على الوصول بعد أن اتصلا وأخبراها هي وحاتم بوصولهما من باريس منذ ساعتين. كانت تنتظر بلهفة وتشعر بأن الوقت بطيء جداً والدقائق تزحف داخلها فوق شوق الانتظار. لم تكن تعلم هل كانت تنتظر جوليا أم عيني جوليا المنطفئتين ليلة الزفاف عليهما تكونان اشتعلتا في باريس؟ ولم تكن تعلم هل اشتاقت إلى جوليا فقط أم اشتاقت إلى عبق الحي اللاتيني وساحة السوربون بكل ذكرياتها القابعة في حناياها حتى هذه اللحظة؟ لم تكن تعلم سوى أنها تنتظر بكل تلك المشاعر، فقط كانت تنتظر.

أما حاتم فوقف خلف نافذة مكتبه محاولاً ترقب جوليا من بعيد قبل دخولها المنزل لعلّ النافذة تمنحه خصوصية في مراقبة تفاصيل وجهها، حتى يرى قراراتها ونتائجها قبل أن تحاول إخفاءها. بمسحة من ملامحها الهادئة والتي باتت تستعملها كثيراً كغطاء لأحاسيسها في الآونة الأخيرة، وما أن أنيرت الساحة بأضواء السيارة المقبلة من الخارج حتى اشرابت عنق حاتم محاولة رؤية جوليا التي نزلت من السيارة وحدها دون أن تنتظر كريم، وما أن اقترب كريم منها، وسارت هي بخطى سريعة مبتعدة عنه، حتى علم حاتم بأن جوليا

نفذت قراراً خاصاً بها، قراراً كان يلمع بريقه في عينيها، كلما حاول نثيها عن الزواج بكريم، قراراً أرادت من خلاله أن تمارس دور الجلاد على الجميع، عندها علم أن التبدلات التي حاول غض بصره عنها في صغيرته باتت حقيقة! أطفأ حاتم السيجارة التي أشعلها قبل قليل رغم هجره لعادة الدخان منذ أعوام، ثم انطلق نحو ابنته وزوجها مرحباً بوصولهما.

جلس الجميع إلى مائدة العشاء، والصمت يثقل صدور الجميع، فجوليا تحديق إلى صحن الحساء أمامها تقلب الملعقة بصمت، أما كريم فكان ينظر في هاتفه النقال بعد أن وصلته مجموعة من الرسائل المختلفة والمتتالية، ما اضطره إلى فتحها سريعاً، بينما حاتم كان يتناول العشاء بصمت من دون أن ينظر حتى إلى جوليا أو كريم فجلستهما تلك كانت كافية بأن تعطي كافة تفاصيل رحلة شهر العسل المزعومة، وماجدة لم تعلم بأن العشاء الذي دعت ابنتها وزوجها إليه لتحظى ببعض الدفء العائلي سيكون على هذا الحال فسألت محاولة كسر حاجز الصمت بينهما: "هل ذهبتما إلى الحي اللاتيني يا جوليا؟".

أجابت جوليا ببرود وهي ترتشف الحساء في الطبق أمامها: "نعم".

فسألها والدها: "وهل رأيت ريمون؟" توقفت جوليا عن تناول الحساء، وأجابت بنبرة حماسية مفاجئة: "آه ريمون، لقد نسيت".

ثم نهضت متوجهة نحو حقيبة يد صغيرة حملتها معها من باريس فيها مجموعة من الهدايا لوالديها ومن أحد جيوب الحقيبة الجانيبة، أخرجت صندوقين مخمليين ثم قالت: "لقد طلب مني ريمون أن أقدم هاتين لكما".

فقدمت لوالدها علبة مخرمفة زرقاء اللون ولوالدها علبة حمراء وما أن فتحتها حتى وجد حاتم منخرتة حجرفة لرجل خالي المعالم يميل جسده بانحناءات سيربالية متناغمة تقوده في النهاية إلى قاعدة مربعة واضعة وصافية خالية من أي ضربة نحت خاطئة بل تمت صنفرتها بعناية حتى باتت ملساء، كانت قاعدة تنساب بانسجام مع الجسد الملتوي فوقها خالية من كل شيء إلا من نقش واحد:

"عزيزي حاتم انشاءات الحياة وتعرجاتها قد تنهل رحيق أرواحنا، ولكن تبقى الأسس. وهكذا أنت".

ريمون

حدرق حاتم إلى المنخرتة مبتسماً وقال: "وأنت تبقى كما أنت حالماً يا ريمون".

سعدت جوليا بابتسامة والدها الجافة والتي أعادت بعض بريق الحياة إلى وجهه دون أن تستمع جيداً لصوت والدها المنفعل وهي تقول: "آه ريمون عزيزي كم أنت رائع، لقد أرسل لي حجر التوباز الأصفر النادر لأرتديه كعقد انظر يا حاتم" ثم اقتربت ماجدة من حاتم وهي تعرض الحجر الكريم الذي لم يتم صقله ليحافظ على قيمته النادرة، وتم وضعه في إطار ذهبي مع سلسلة ليتحول إلى عقد أنيق يمكن ارتداؤه في أي مناسبة واحتوى الصندوق المخرملي على كرت صغير كتب عليه:

"إلى رفيفة درب الدراسة والشباب معاً.. لك مني كل الحب والتقدير".

ريمون

أضفت هديتا ريمون بعض الحركة على جلسة العشاء الباردة، ما جعل الجميع يتبادلون أطراف الحديث متسائلين عن ريمون والحي اللاتيني وشوارع باريس عدا كريم الذي لم يكن يعلم أن جوليا كانت تقضي لياليها مستمتعة بباريس مع ريمون وقصصه ومنحوتاته، وهو يسير في شوارعها هائماً!

رن هاتف حاتم، فأجاب على المكالمة وما أن سمع الصوت حتى تغيرت ملامحه فجأة، وغادر الطاولة متوجهاً نحو غرفة مكتبه، وأغلق الباب، شعر الجميع أنها مكالمة مهمة، ولا بد أن لها علاقة بالحملة الانتخابية، فتابعت ماجدة تبادل أطراف الحديث مع كريم الذي بدا شارد الذهن، أما جوليا فتوجهت نحو الحمام الموجود في نهاية الممر المؤدي إلى المكتب، ما جعل صوت والدها المنفعل يصل إلى مسامعها قائلاً: "قلت لك لا يهمني". ثم صمت برهة وقال: "لا تهمني الحملة الانتخابية ونجاحها إذا كانت ستحصل على النجاح عن طريق انتهازي مثلك".

وقفت جوليا قليلاً تسترق السمع، ولكن صمت والدها طوال هذه المدة، جعلها تفتح الباب مسرعة، فوجدته يجلس على كرسي مكتبه، يضع الهاتف النقال على أذنه، ويستمتع بصمت، فأغلق الباب، وجلست قبالة مكتبه حينما أكمل قائلاً: "حكمت... مهمتك في حملي قد انتهت حتى وإن اضطررت إلى الانفصال عن الحزب".

تناولت جوليا الهاتف من والدها الذي لم يشعر بدخولها إلى مكتبه أساساً ثم قالت: "حالي حكمت... دعنا نراك غداً في منزل والدي فأنا أود التحدث إليك". لم تنتظر رد حكمت، وأغلق الباب.

الهاتف وناولته إلى والدها قائلة، وهي تنهض متوجهة نحو الباب: "لن تجعل أوراقى تتبعثر في لحظة غضب يا أبى، عليك أن تفوز في حملة الانتخابات الرئاسية". ثم غادرت المكتب، وأغلقت الباب بهدوء تاركة والدها يغرق في مجموعة من المشاعر المتناقضة ما بين الرغبة والحنان والغضب!

* * *

في اليوم التالي، وصل حكمت المنزل، وكان يسير بخطى واثبة نحو المنزل، ولكنه لم يدخل حيث وجد جوليا بانتظاره في الحديقة فقال بصوت فرح: "جوليا لقد وصلت، أهلاً وسهلاً بك يا ابنة شقيقتي الغالية".

كانت جوليا تجلس وهي تضع ساقاً فوق أخرى بلا اكتراث وقالت: "هناك موضوع علينا التحدث فيه".

كان برود جوليا قد عصف في جسد حكمت، حتى بعث القشعريرة فيه من تحت قماش البدلة الرسمية التي كان يرتديها فجلس، عندها قالت جوليا بصوتها الجليدي: "أنت تعلم أن زواجى من كريم لم يكن بسبب رسالتك فحسب، بل من أجل حملة انتخابية بات مصير نجاحها لزاماً".

فقال حكمت وهو يتسهم مشعلاً سيجاره الكوبي: "بالطبع إن الحملة في أوج انتصاراتها الآن فزواجك أنت وكريـ....." قاطعته جوليا مشيرة بيدها أن يصمت: "زواجى شأن لا ولن يعنك منذ هذه اللحظة، ولن تستغله كوسيلة ترويجية لحملة الانتخابية بعد اليوم". ثم نهضت وأخذت تسير فوق العشب المتكسر تحت قدميها قائلة: "أما

أساليبك الانتهازية فلن نعلم بها أو نسمعها، كل ما سنفعله هو أنك ستعود لتصبح مدير الحملة الانتخابية لوالدي".

ثم اقتربت منه قائلة بفحيح كفحيح الأفعى: "وعليك أن تعلم بأن فوز والدي ليس موضوعاً قابلاً للمراهنة بل هو أمر حتمي، أفهمت؟! ولتعلم جيداً أنه لا حزب بوجودي".

كانت كلمات جوليا تسري كلدغة أفعى في جسد حكمت، وللمرة الأولى يشعر بأن جوليا باتت كثعبان مترصد غادر طور تبديل الجلد وبات كاملاً، ومن نظرتها القاسية علم بأن جوليا قد أعلنت قراراً تمت الموافقة عليه من حاتم مسبقاً.

اسم على ورق

بدأت جوليا تعتاد على روتين حياتها فبعد أن غطت الصحافة خبر عودتهما من شهر العسل، أمضت أسابيع لم تقرأ اسميهما في الصحف ما جعلها تشعر ببعض الراحة والاسترخاء، أما كريم فبات غيابه عن البيت أكثر من حضوره بعد أن قرر هو وجوليا أن يستقل كل منهما في غرفة بعيدا عن الآخر حتى تكون الحياة بينهما أكثر مرونة، ولم يكن غيابه الطويل عن المنزل يثير تساؤلاتها أو حتى فضولها، بل على العكس كانت تشعر بالراحة، وأما في حالة عودته باكراً فكانت تخرج متوجهة نحو منزل والديها.

في ذلك اليوم، كان كريم يدخل المنزل حين اصطدم بجوليا دون أن ينتبه لوجودها أمامه، فحدقت إليه ببرود، وغادرت فأمسك ذراعها قائلاً: "انتظري..." ثم أفلت يده بعدما شعر بقشعريرة جوليا بين يديه وقال: "هناك حفل زفاف ابن أحد أعضاء الحزب الليلة، وتمت دعوتنا لذا علينا الحضور". ثم اتجه نحو الثلاجة وتناول إبريق عصير البرتقال الطازج، وسكب بعضاً منه في الكوب أمامه وقال: "علينا حضور الحفل كزوجين".

لم تنبس جوليا ببنت شفة، وتوجهت ببطء نحو الدرج الذي كان يفصل بين غرف النوم والصالات في الطابق السفلي وقالت وهي

تصعد: "ومتى سيكون الحفل؟" وأكملت صعودها دون أن تنتظر، رد كريم الذي قال بصوت مرتفع قليلاً: "الثامنة والنصف" ثم شرب كأس البرتقال دفعة واحدة، واتجه نحو الحديقة. كان منزلهما كبير المساحة، ومحاطاً بمحاطق متنوعة بين الأشجار والزهور، واحتوى على منطقة شاسعة مبلطة فيها حوض سباحة كبير. نزع كريم ثيابه، رغم برودة الجو، وقفز في البركة الكبيرة، بينما كانت جوليا تحرق إليه من نافذة غرفة نومها المطلة عليه، وما أن رآته ينزع ثيابه ليقفز حتى أشاحت بوجهها مشمئزة، واتجهت نحو خزانتها لتتقي أحد الثياب التي تليق بحفل الزفاف بعناية حتى تبقى الأكذوبة تسير في مسارها الصحيح عند الجميع عداها وعدا كريم الذي آثر السباحة على التفكير.

دخلت جوليا وكريم الحفل معاً، وبدأت الكاميرات تلتقط لهما الصور من كافة الزوايا لتستطيع نشر أولى الصور الرسمية للعروسين بعد رحلة شهر عسلهما في باريس! خطفت جوليا الأنظار بثوبها الشيفون الأسود الخالك والذي انسدل فوق جسدها العاجي بخفة حيث اشترته من باريس عندما توجهت إلى ديور باحثة عن فستان جديد، وكان شعرها الأسود المموج الساقط فوق وجنتيها الحادتين ولون أحمر الشفاه القرمزي الذي وضعته فوق شفتيها قد منحها طابعاً كلاسيكياً من حقبة الستينيات فجعلها تبدو أكثر جاذبية، أما كريم فسار بجانبها ممسكاً يدها، كان يشعر بجوليا ونبضاتها وحتى أنفاسها، فجمالها هذه الليلة

يفوق كل الليالي السابقة، ولكنه وحده كان يعلم بأن جمالها كجمال الشتاء حينما يغمره الثلج؛ أبيض لحظة السقوط وما إن يبدأ الثلج بالذوبان حتى يتشع بالسواد فيصبح مشوهاً!

جلست جوليا إلى الطاولة التي حجزت لهما، وكان كل من عارف وثرثيا وحاتم وماجدة يجلسون محاولين الاستمتاع بالحفل، وما أن جلسا، حتى تفاجأت جوليا بالضيف المقبل نحو طاولتهما حيث قال أشرف بنبرة سعيدة: "سيد حاتم، سيد عارف سررت بلقائكما لقد مضى وقت طويل". ثم توجه نحو جوليا قائلاً "سيدة جوليا تبدين رائعة هذه الليلة، أتمنى أن تكونا قد أمضيتما شهر عسل مميّزاً". فأجابه كريم مبتسماً: "مميّزاً بطريقة بت متأكداً أنه لن يكون له مثيل". ثم اقترب من جوليا وهو يداعب الحلق الأمامي ذو الحجر الفيروزى المعلق في أذنها: "أليس كذلك يا حبيبي؟". فابتسمت جوليا ببرود رآه أشرف بوضوح وقالت: "بالطبع يا عزيزي" فقال أشرف وهو يشير إلى أحد المقاعد الفارغة: "أتسمحون لي بالجلوس ومشاطرتكم أجواء الحفل". عندها أشار حاتم وعارف له بذلك. جلس أشرف بينما كان حاتم وعارف يكملان حديثهما حينما قال عارف بنبرة غير مطمئنة: "لقد أصبحت المقاومة أكثر شراسة وعلى ما يبدو أنهما لم تعد مقتصرة على مجموعة الشباب وقادتهم البسطاء".

فقال حاتم متسائلاً: "ماذا تعني يا عارف؟".

أجاب عارف: "هل تعتقد بأن المقاومة بخطأها السياسي الحالي هي مجرد مجموعة من الشباب الناشئ وذويهم؟!".

فقال حاتم: "وإن كانت غير ذلك فما المشكلة، أعتقد أو الوقت قد حان لصوت المقاومة أن يسمع على مستوى العالم كاملاً".

ابتسم عارف وهز رأسه قائلاً: "ربما..."، عندها قاطعه صوت جوليا قائلاً: "يبدو أن انغماس العم عارف بدهاليز السياسة جعله يوقن تماماً أن لا وجود للحق في زمن ربما يصعب فيه سماع الحق! فكل الظروف تلين مهما كانت قوية تحت وطأة الحزب وإرادة الشعب المغيبة، ألسنا نحن الشعب؟ إذن نحن الحق".

قال عارف بامتعاض: "وهل حق الشعب بات مرهونا بالمقاومة؟ ألا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب ديمقراطي يتخلله النقاش الحزبي على كافة التيارات والأصعدة".

فضحكت جوليا مقهقهة جعلت أشرف يلمس المأ فيها مزوجاً بحنق وقالت: "وهل حقاً تتركون للشعوب حق النطق يا عمي؟ أليس للحزب وكل الأنظمة الحزبية أساليبها الخاصة بالإقناع، أعتقد أنني سأقول جملة باتت بالية ولكنها حقيقة حتمية، كل ما في زمننا بات له قيمة إلا الإنسان" صممت برهة ثم تابعت وهي تضحك: "ولكن أتعلم؟ لربما يستحق الإنسان أن يصبح عدم فهو من سحق نفسه تحت وطأة الخضوع، فالكرامة ليست سلعة قابلة للمساومة".

كانت كلمات جوليا تلسع كريم كالسياط الذي فاجأه صوت أنثوي من الخلف قائلاً: "كريم أنت هنا؟ ظننت أنك ما زلت في شهر عسلك في باريس". استدار كريم فوجد ناتاشا أمامه بثوب أزرق من الساتان ينسدل فوق جسدها بهدوء وبشرتها السمراء جعلت كريم يدرك بأن ناتاشا أمضت الصيف كاملاً تحت الشمس، اقتربت ناتاشا من الطاولة، وسلمت على جميع الموجودين ثم قالت لجوليا: "أسمحين لي بأن أخطف زوجك للحظات؟ فهذه الرقصة إحدى رقصاتي المفضلة وأحتاج إلى شريك". فنهض كريم قبل أن ينتظر رد

جوليا بالموافقة أو الرفض وأمسك ناتاشا قائلاً وهو يتسهم: "لا بأس أنا أسمح لك يا عزيزتي".

لم تكن جوليا أجهة لمراقبة ناتاشا لكريم بقدر ما كان رد كـريم قد سبب لها غضباً مضاعفاً، فكيف له أن يراقبها دون أن ينتظر رداً منها؟ كان لا بد أن يتركا تلك الهالة لزواجهما تحيط بهما بلا شكوك كالتى ارتسمت في عيني أشرف لحظة نهوض كـريم وتوجهه لساحة الرقص مع ناتاشا.

كان عارف يناقش حاتم في موضوع المقاومة الذي على يبدو بات يشغل حيزاً كبيراً من تفكيره هذه الأيام أكثر من الانتخابات نفسها! عندما قاطعهما أشرف قائلاً: "للمقاومة وجوه عدة يا سيد عارف، ولكن دعنا نكشف كل الأوراق في حديثنا فجميعنا نعلم أن المقاومة أو غيرها كلها مجرد لعبة يتم تحريكها استراتيجياً بما يخدم المخطط الأكبر للدول العظمى، فما الشرق الأوسط إلا حجر نرد يتم الرهان عليه عندما تريد كل الدول الكبرى لفت النظر بعيداً عن سياساتها الداخلية أو حتى الخارجية".

فقاطعه جوليا قائلة: "حتى المقاومة باتت أجندة خارجية، لِمَ لا نستطيع أن نصدق لمرة واحدة أن هناك من يرغب أن يجيا بكرامة؟". فقال أشرف: "ربما هناك من يرغب أن يجيا بكرامة بل أكثر مما نعتقد، ولكن من في الخطوط الأمامية ومن في الخطوط الهجومية؟".

قالت جوليا: "لا يهم من هنا ومن هناك المهم أنهم سيقاومون حتى تثبت للحياة حقاً لا بد أن تحياه".

فأجابها أشرف: "وهل المقاومة مقتصرة على بلاد تم اغتصابها فقط؟".

فقال جوليا وهي ساهمة: "بل للمقاومة لغات أخرى، فجسد الإنسان المريض يقاوم".

فقال أشرف: "أنت محقة، للمقاومة وجوه أخرى فحتى الأنتيك يقاوم".

"ولماذا الأنتيك؟".

"لأنني أهوى تجميعه، فتفاصيله لا تزال تحتفظ بالحقيقة رغم الزمن".

ثم غابت عيناها في رقصة كريم المنسجمة مع ناتاشا وقالت:
"والتفاصيل أيضاً هي من تُعَيِّب الحقيقة، ولكن ما هو حتمي أننا بتنا في زمن لا حقيقة فيه!".

كانت خطوات كريم وناتاشا الراقصة تدوس فوق أفكارها المبعثرة باحثة عن مفهوم الحقيقة، فمن منا عنده القدرة ليطلق حكماً قطعياً بأننا نحن البشر نعرف الحقائق ونستطيع أن نجعلها مسلمة كونية؟ من قال إننا نستطيع أن نعرّف المصطلحات والمفاهيم كما نشاء، فمن أين جاء مصطلح الحقيقة؟ ألا أننا نملك عقلاً؟ ليتنا لم نملكه وبقينا نتقن لغة الغاب بلا عقول عندها سنمتلك حجة قوية بأننا بلا عقل!

اقترب أشرف منها وقال: "ولا حتى أنت يا سيده جوليا".

جالت عينا جوليا في أرجاء الطاولة التي كانت قد فرغت من جميع من كان عليها دون ملاحظتها، عندها وجدت والدها وعارف قد توجهوا باتجاه أفراد الحزب، ووالدتها وثرثريا تسيران بين الحاضرات من المجتمع المخملي فأجابته بصوت قادم من فراغ: "ربما أنا هي الكذبة الحقيقية في هذا المجتمع المخملي يا سيد أشرف".

كان أشرف يتفحص خلجات وجه جوليا المتألّمة رغم الستار القوي الذي أسدّلته فوق ملامحها محاولةً ستر كل التفاصيل، إلا أن صوتها الشارد كان كفيلاً بأن يجعل أشرف يعلم جيداً أنها تتألم، وأن هذا الألم لا بد وأنه مرتبط بجريق اليخت، وبينما كانت الأفكار تغزو ذهن أشرف حتى قالت جوليا مبتسمة وهي تحدق إلى العروس "ترتدي الفتاة ثوبها الأبيض وما أن تضع خطواتها الأولى في الحفل حتى تستعيد كل القصص الخرافية التي كنا ننام عليها ونحن أطفال حيث الأمير يختطف الأميرة على ظهر حصانه بقبلة أزلية معلنين النهاية السعيدة لحكاية شاكها الكثير في منتصفها".

اجتاحت الدهشة وجه أشرف فجأة، وأراد أن يقاطعها إلا أنها أكملت دون أن تمنحه فرصة الحديث "ولكن ما لم تعلّمنا إياه الحكايا الخرافية أن ما شاك الحكاية في منتصفها هو ما سيحيك حياتنا بعد القبلة الأزلية".

فابتسم أشرف لتعليقها الأخير، واستمع إلى باقي كلماتها التي كانت تنساب بعفوية من بين شفثيها التي كان يراقبها كريم من بعيد بنظرة لم تستطع ناتاشا ترجمتها بشكل واضح، ولكنها كانت ترى أن جوليا مستمتعة بالحديث مع أشرف حتى كادت أن تنسى الحاضرين. سألتها أشرف بمكر: "ألا تعتقدين أن هذه مساحة كبيرة من التشاؤم لعروس لم يمض على زواجها سوى بضع أسابيع؟".

فانتبهت جوليا أنها كانت تفكر بصوت عالٍ في حضور أشرف وقالت بحنكة: "أنا لست متشائمة ولكنني عقلانية أكثر من اللازم". وما أن أنهت جملتها حتى علا تصفيق جميع الموجودين تحية للعروسين، فنظر أشرف إلى وجه جوليا البارد ولاحظ بأنه رغم

برودها إلا أن تقاسيم وجهها الحادة منحتها جمالاً فاق جميع الحاضرين.

كان كريم يسير بجانب ناتاشا بعد أن أنهيا رقصتهما فقالت له: "وكيف كانت باريس يا كريم؟ لقد طلبت من الإدارة في الفندق هناك أن يحجزوا لك الجناح الملكي".

فقال وهو يتناول كأساً من العصير عن الصينية التي يحملها النادل أمامه: "نعم شكراً لك لقد كان الجناح رائعاً". فقالت بهدوء: "وهل كانت باريس رائعة؟".

فأجابها كريم قائلاً: "كروعتك يا عزيزتي ناتاشا وقد أضفي عليها رونق خاص بالخدمات التي قدمها لنا الفندق خصيصاً بناء على طلبك".

فابتسمت ناتاشا وقالت: "يبدو أن خدمات الفندق هي الروعة الوحيدة التي جالت في حنايا شهر عسلكما يا كريم".

ابتسم كريم ابتسامة غلفها بعض الألم وقال بعد أن أمسك راحة يدها ممتناً ومودعاً: "أشكرك يا ناتاشا". شعرت ناتاشا بأن لمسة كريم وعينه حملتا الكثير من الألم الممزوج بالصمت بينما كان كريم يشعر بنظرات جوليا التي كانت تراقبه من بعيد رغم انسجامها التام مع أشرف في الحديث، ولكنه لم يكن يعلم هل هو حب أم غيرة؟ أم إحساس آخر من أحاسيس جوليا المبعثرة؟ لم يفكر كثيراً في الأمر فهو قرر الاستمتاع بالليلة فقط!

كان عارف وحاتم يستمعان جيداً لحوار جميع أطراف أعضاء الحزب حينما قال أحدهم: "إن تحركات المقاومة الحالية تشكل خطراً كبيراً على كل من حولنا، وليس حزب التآلف الوطني فقط".

فأجابه حاتم: "لِمَ كل الأحزاب، وحتى الحزب الحاكم رغم سيطرته على زمام الأمور لأعوام كثيرة، يرهن نجاحه أو خسارته على نتائج المقاومة في حربها مع الجيش؟".

فأجابه أحد الأعضاء المتمرسين قائلاً: "يا سيد حاتم إن وجود المقاومة يشكل خطراً على كل التشكيلات السياسية الحالية سواء كانت خارجية أو داخلية، وليس الخطر في المقاومة فقط بل في أذرع المقاومة التي تنتشر بالخفاء كحرباء متلونة لا يمكن كشفها مهما كانت ظاهرة".

فقال أحد الأعضاء الجالسين على الكرسي باسترخاء: "ولكن من قال إن أذرع المقاومة خطيرة؟".

فقال عارف متسائلاً: "وماذا لو كانت أجنحة من إحدى الأجنحة الخارجية التي تم زرعها باسم المقاومة، وماذا لو لم يكن هناك مقاومة أساساً وكلها مجرد صورة لأهداف أكبر، ماذا سيكون مصيرنا نحن كحزب سياسي نظامي؟!".

صمت معظم الجالسين برفقة حاتم وعارف، وكأن سؤال عارف كان منبهاً أيقظ حواسهم اتجاه الحدث ليصبح تحت المهر بصورة أكبر.

كانت جوليا صامته طيلة الطريق بينما جعل مزاج كريم الهادئ صمتها أكثر اشتعالاً في داخلها، لم تكن تعلم لِمَ كل هذا الكم من الغضب في داخلها، ولكنها كانت متأكدة بأنها ليست نوعاً من الغيرة اتجاه كريم، بل كانت نوعاً من الغيرة على كرامتها التي بات كريم يتقن بعثرتها بين الحين والآخر.

كان كريم يخطو داخل المنزل وروح الحفل لا تزال تسيطر عليه فقد شعر أنه بحاجة لتجديد بعض الأجواء، وبينما كانت جوليا تسير خلفه، أفقلت الباب حين قالت لكريم بنبرة مستهترة: "يبدو أنك لا تتقن التمثيل يا كريم، فلقد كنت سيئاً لدرجة أنك لفت أنظار الجميع برقصك مع ناتاشا حتى كدت أشك هل كانت رقصتنا الأولى بهذا الانسجام؟!".

فقال كريم دون أن يستدير نحوها: "وما شأنك أنتِ بهذا الأمر؟".

فأجابته برود: "لا شيء... الشأن الوحيد هو الشائعات التي ستبدأ الصحافة حياكتها غداً على صفحاتها والتي عليك أن تسعى لتفنيدها بعد غد".

فقال كريم: "لا مشكلة أنا سأتولى الأمر".

فقالت جوليا مستهترة: "بأن تخبرهم بأن الرقص مع ناتاشا أحد أساليب المجاملات الاجتماعية الراقية؟!".

فأجابها بنبرة يشوبها التوتر وهو يحاول خلع سترته: "بل سأخبرهم عن سبب انسجام زوجي التام في الحديث مع الصحفي أشرف الكافوري لدرجة كادت تنسيها وجود الحاضرين".

كان كلام كريم كالصفعة على وجه جوليا حين توقفت فجأة وقالت بنبرة لا مبالية: "وماذا ستقول حينها؟ أنني انسجمت مع أشرف كونك مجرد اسم علي ورق؟".

فاقترب كريم منها دافعاً بها نحو الجدار لتصبح محصورة بين ذراعه والحائط وقال بصوت عربد فوقها كالأفعى: "تعلمين جيداً أنني أستطيع تحويل هذا الزواج من ورق إلى حقيقة والآن، فلا تمارسي دوراً أنت أيضاً لا تتقنيه".

قالت جوليا وهي تحاول أن تفك نفسها من ذراعه القوية: "ولكنك ستبقى في نظري رغبة تذوب احترقاً أمام احتقاري!" عندها دفعها كريم بقوة فسقطت بجانب الطاولة، وارتطم رأسها بالحافة. عندها تناول كريم سترته، وخرج مسرعاً من المنزل مغلقاً الباب بقوة خلفه. تسمرت جوليا أرضاً ودموعها تلسعها، فهي لم تعد تدرك أحقاً هي لا تستطيع نسيان ليلة اليخت كما تدعي، أم أنها باتت أحد القانطين في عالم الحاقدين؟!

حب تحت الرماد

كان أشرف يخلع ثيابه في المنزل البسيط الذي يسكنه والمؤلف من طابق واحد يطل على حديقة صغيرة، كانت تزرعها والدته بعناية دوماً وتروي كل النباتات التي تحتويها قائلة "النباتات كالبشر تحيا بالحب فقط" لم يكن يعلم أشرف بأن وحدته ستكون حاملة كل المعاني حينما ترحل والدته تاركة كل ما خلفها من ذكريات، ابتداءً من كأس الماء الذي اعتادت أن تتركه له بجانب رأسه على المنضدة الصغيرة حتى لا يشعر بالعطش ليلاً وانتهاءً بزهرة الأوركيد البيضاء التي ما أعلنت وفاة والدته حتى أعلنت حدادها عليها رافضة الارتواء! ومن بين كل تلك الذكريات التي عبرت ذهنه كمحطة عاجلة، كانت عينا جوليا تطلان عليه في الأرجاء بجزئها وسعادتها، ضحكاتها وصمتها، لم يكن يعلم ما هو ذلك الشعور الغامض الذي يجره خلف عيني جوليا الباردة، هل هو برودها المغلف ببرجوازية مصطنعة؟ أم هو الألم المتوارى خلف زواج لم يكن مفهوماً حتى هذه اللحظة والشكوك تحوم حوله منذ حادثة احتراق اليخت!

كان أشرف حتى هذه اللحظة غير مقتنع بالتمثيلية التي أدتها جوليا يوم المؤتمر وكان يعلم أنه لا بد من وجود سر أعمق من حادثة الزواج نفسها، سرٌ ترتسم ملامحه على وجه جوليا كلما باشرت

بالكلام، إلا أن رغبة متقدة في عينها تمنع هذا السر من الظهور، ولكنه يعلم جيداً لو عرف هذا السر قد تسقط كل الأقنعة ابتداءً من جوليا وحتى الحزب، وماذا يريد أكثر من هذا فإذا كانت جوليا هي الطريق الوحيد لنزع قناع الحزب فلن يتوان أبداً عن السعي وراءها لتحقيق ما يريد! ولكن حتى هذه اللحظة لن يسعى للتطرق إلى هذا الموضوع عبر قناته لعدم وجود ما يثبت صحة أفكاره التي تفرع رأسه فقط.

كانت جوليا تجلس على الأريكة تتلمس الأثر الذي تركه سقوطها فوق حافة الطاولة بعد أن دفعها كريم، ولكنها كانت هائمة في شعور غريب سيطر عليها. فبالرغم من كل ما حدث بينها وبين كريم منذ لحظات، كانت الصورة التي تتراقص أمامها وجه أشرف وهما يتبادلان الحديث في حفل الزفاف! أحقاً هذا ما كان يسيطر على تفكيرها في لحظات كهذه؟ ولم أشرف؟ وهل فعلاً يستطيع أشرف قراءة ما بين سطورها أم هي تعتقد ذلك متشبثة بحالة اطمئنان واحدة قد تسكن حياتها العاصفة ولو من بعيد؟!

جلس أشرف وأثار ضوء الطاولة العتيق والموجود على ظهر مكتبه الخشبي الأنتيك، فهو من عشاق الأنتيك حيث كان يقول دوماً "إن قطع الأنتيك تنقلك إلى عالمها فتجعلك تحيا مع فولتير وشكسبير وتغرق في حنايا أبيات المتنبي وصكوك أبي العلاء

المعري دون تفكير" لذا كان معظم قطع منزله من الأتيك النادر والذي يحمل ذكرى خاصة لدى أصحابها وتم طرحها في المزاد العلني ليذهب ريعها إلى حيث يذهب، لم يكن يأبه لكن كل ما كان يدركه أن عليه أن يقتني تلك القطعة مهما كان الثمن، فأشرف رغم ذكائه وحنكته الإعلامية المميزة إلا أنه كان يؤثر التقاط كل ما هو ثمين بأي وسيلة كانت، ولم يكن يعتبر هذا نوعاً من الوصولية بقدر ما كان نوعاً من الاجتهاد الدبلوماسي كما يسميه!

فتح أوراقه وتناول قلمه مبتدئاً صياغة خبر هو يعلم أنه سيرى النور عاجلاً أم آجلاً لكن عليه أن يكون ذكياً حتى يصل إلى مبتغاه فالحزب بات له ثغرة ألا وهي جوليا؟! هو يعلم جيداً أنه لا يكره الحزب لكنه في دورة الانتخابات الحالية هو الحدث ولكي يسرق الحدث عليه أن يجيد تسطير الخطوط بطريقة تتلاءم بما قد يسمى خبراً يهز الوسط، وأي خبر ذاك الذي قد ينافس محاولة كشف الفساد الذي تفشى في الحزب حتى سقط في برائته أبناء أعضائه! رن الهاتف بجانبه فتناوله وقال بصوت هادئ: "نعم" ثم صمت ينصت للطرف الآخر للمكالمة وقال: "أنا أعرف جيداً ما هي خطواتي القديمة، سنكون خاطفي الحدث قبل كل الوسائل الإعلامية حتى المرئية والمسموعة فلا تقلق". صمت أشرف ثم قهقه ضاحكاً وقال: "لا بالطبع لا، هل تعتقد أن أشرف الكافوري سيغطي حدثاً أجوف كحفل زفاف الليلة؟ بالطبع أعطِ الخبر لأي مراسلٍ في القناة". ثم أردف قائلاً: "تصبح على خير".

كان كريم يقرع الجرس ببطء حينما فتحت ناتاشا الباب
وسألت بدهشة: "كريم ماذا تفعل هنا؟".

فقال لها كريم بصوت يائس: "هل تسمحين لي بالدخول؟".
فقالت له: "بالطبع... تفضل".

جلس كريم على الكرسي ليسترخ من عناء قيادة السيارة التي لم
يعلم كم ساعة مضت وهو يتجول بها في شوارع المدينة، لكن كل ما
كان يعلمه أن خيوط الفجر بدأت بالظهور عندما طرق باب ناتاشا،
اقتربت ناتاشا حاملة كأساً من الماء فهي تعلم جيداً بأن كريم حريص
جداً على جسده الرياضي المشوق فلا يدخن ولا يشرب سوى الماء
وعصير البرتقال الطازج، وما أن تناول الكأس حتى شربه دفعة واحدة
وقال: "أتسمحين لي بغسل وجهي؟".

قالت ناتاشا بصوت متفاجئ: "كريم تصرف وكأنك في
بيتك".

وما أن انتهى حتى ناولته ناتاشا المنشفة التي مسح بها وجهه المبتل
وشعره الحالك الذي بات أكثر لمعانا تحت ضوء الفجر، عندها قالت
ناتاشا وهي تشعل سيجارتها نافثة دخانها عبر النافذة حيث تقف
محدقة إلى كريم من بعيد: "إلى أي حال أوصلتك جوليا يا كريم؟".
فقال كريم ساهما: "إلى حافة الصمت، لذا أفضل ألا نناقش
الأمر".

فقالت له ناتاشا وهي تنظر إلى حاله من بين حلقات الدخان
المنبعثة من بين شفتيها: "ولم أتيتني إذن؟ لتبقى صامتاً؟".

فقال كريم وهو يمد ساقيه فوق الطاولة القابعة أمامه: "بل
لأرتاح، فأنا لا أرغب بشيء سوى بضع لحظات هادئة، ولا أستطيع

الذهاب إلى أحد الفنادق لأنه سيكون من الغريب جداً وجودي في الفندق وأنا العريس الجديد في الساحة الاجتماعية".

فقلت ناتاشا وهي تقف أمام النافذة: "لا بأس، ولكن كيف ستجد الهدوء إن لم تكن قد زرعت مسبقاً يا كريم؟".
"وما الذي زرعت أنا يا ناتاشا؟!"

"لا أدري ماذا يمكن أن يكون، ولكن لا يبدو لي أنه يحمل في طياته أي نوع من الهدوء في حنايا جوليا".

"ليتي لم أزرع شيئاً لما حصدت حالي المنهكة تلك".
فقلت مبتسمة وهدقت إليه من بعيد بنظرة هادئة: "إنه الحب على ما يبدو يا كريم".

"ربما يا ناتاشا ولكنه حب محترق....".

اقتربت ناتاشا منه تناوله كأساً من الشاي الدافئ. تناول الكأس منها ولا مست كفه كفها التي سرت حرارة الشاي فيها، وضع فنجان الشاي جانباً وشدها إلى جانبه. حدقت ناتاشا إلى وجه كريم الذي كان غائباً في حنايا التعب وعينييه اللتين بدتا أكثر غوراً من قبل، مررت كفها برقة فوق وجنته البارزة وقالت: "لا تجعله يحرقك يا كريم..". اقترب كريم من ناتاشا وأنفاسه المتعبة بدأت تتوالى ببطء. اقتربت شفثيه منها وما إن لامست شفثيتها حتى كاد يغيب في قبلة طويلة، انسابت ناتاشا بين ذراعيه لتحمي من جديد مشاعر متأرجحة غمرتها وكريم منذ سنوات، زحفت يد كريم ببطء بين خصلات شعرها الكستنائي القصير وتنهدت ناتاشا بهمس دافئ. عادت كف كريم تجوبان فوق عنقها ببعثرة ولا تزال شفاههما تغفیان في عناق لا ينتهي. اقترب كريم منها أكثر حينما بدأت كل ستائر باريس ولياليها

الباردة تسقط أمامه لتنهض روحه باحثة عنه ولو من بعيد. تراقصت أمامه صور جوليا وهي تتسامر مع ريمون وبرد باريس يصفعه في طرفها الخاوية عندها عانق ناتاشا بقوة، وبدأت شفتاه تسعى للبحث عنه، لولا ان تسللت أصابعها بين خصلات شعره الرطب وبدأت بإبعاده وقالت وهي تنظر في وجهه المنهك: "عد إليها يا كريم... فحبك ينتفض من تحت الرماد".

نهضت ناتاشا من جانبه والصمت غلف وجه كريم بلا معالم وقالت وهي تهم بالمغادرة نحو غرفتها: "يا عزيزي، حاول أن تأخذ قسطاً من الراحة علك تستطيع الخلود للنوم". سارت ناتاشا باتجاه الدرج وصعدت نحو الأعلى مدركة أن كريم في حياتها مجرد محطة منسية غامضة المعالم.

لا حزب بوجودي!

كانت جوليا تفتح عينيها ببطء بعد أن تسلل ضوء الشمس نحوها فجعلها تستيقظ، لم تشعر بأن عضلاتها كلها تقولها إلا عندما حاولت النهوض، فوجدت نفسها قد غفت منذ ليلة أمس على الأريكة حيث بقيت جالسة طيلة الليل، ومن الباب الذي لا يزال مغلقاً علمت بأن كريم لم يعد حتى هذه اللحظة، لم تحاول ترك المجال لعقلها بالتفكير للحظات فهي لم تكن مستعدة بعد لتلك الحالة فكل ما كانت تبحث عنه هو حمام بارد ينعش جسدها المنهك.

صعدت جوليا إلى غرفتها في الطابق العلوي ووقفت تحديق عبر النافذة قليلاً، لم تكن تعلم هل سبب تحديقها هو محاولة هروب من التفكير أم محاولة بحث حجولة عن كريم الذي لم ينم في المنزل ليلة البارحة؟ فهل حقاً هي قلقة بشأن كريم؟ ولكنها كانت تعلم أن حالة الاعتياد قد تفرض على الإنسان أحياناً تفقد بعض الأمور التي باتت روتيناً يومياً.

"هناك بعض التحف التي نفقد وجودها إن تم تغييرها دون علمنا، فلا فرق إذن إذا فكرت بالأمر!" تمتمت لنفسها ثم تناولت بعض الملابس والمنشفة وتوجهت نحو الحمام محاولة طرد كل ما يشوب ذاكرتها من أفكار ماضية أو حاضرة.

دخل كريم المنزل بخطوات لامبالية ورمى بسترته الجلدية فوق الأريكة، جلس قليلاً وهو يحرك يده فوق صدغه بقوة فصداعه كاد يجعله أن ييجن، توجه نحو الثلاجة باحثاً عن عصير البرتقال ولكنه وجدته فارغاً، تناول كأساً من الماء البارد ثم فتح صنوبر المياه في المطبخ وأخذ يغسل وجهه بقوة محاولاً إخماد حالة الصداع التي لا تزال تسيطر على كل جسده وليس رأسه فقط، وما أن أغلق المياه حتى سمع صوت خطى جوليا خلفه تخرج كوباً من إحدى الخزانات لتسكب قهوتها الساخنة والتي تركتها تجهز حتى أنهت حمامها البارد، فرأت كريم وهو مبتل ووجهه المرهق يوحي بأنه لم يقض ليلة جيدة أبداً، والهالات السوداء حول عينيه جعلتها تدرك تماماً أنه لم ينم طيلة الليل. اقتربت منه وناولته كوباً من العصير الطازج ثم قالت وهي ترتب بعض الأواني وتعيدها إلى مكانها: "عصير البرتقال الطازج، لقد أعددتته ونسيت أن أضعه في البراد. إذا لم يعجبك تستطيع إضافة الثلج" نظر كريم إليها بنظرة خالية المعالم رغم أنها لم تكن قبالتة ولكن كانت نظرتة تحرق جوليا من ظهرها حتى كادت أن تشعر أنه يقف أمامها!

لم يسمح الصداع لكريم بالتفكير فتناول الكأس دون أن ينطق بكلمة واحدة وتوجه نحو غرفة نومه في الأعلى ولم يملك جوليا أي فضول في أن تعرف أين كان؟ ولكن كل ما شعرت به أن شعوراً غريباً أقرب للراحة قد اجتاحتها! ربما لأنها أخذت حماماً بارداً فانتعشت وأصبحت أكثر حيوية!

كان حكمت يناقش حاتم الذي يقلب بالأوراق غير آبه لكلامه الذي كان يخرج من بين شفثيه بقوة: "حاتم أسمعني؟!".

أجابه حاتم ببرود والورق بين يديه يجذب كل اهتمامه "نعم". اقترب حكمت وأمسك بالأوراق التي بين يدي حاتم ووضعها فوق سطح المكتب الخشبي قائلاً: "عليك أن تسمعني لا أن تتظاهر أنك تسمعني".

فأجابه حاتم باستهتار وهو يجلس خلف المكتب: "المشكلة أن صوتك لا يروق لي يا حكمت!".

حذق إليه حكمت: "لكنه يروق لكثيرين من أعضاء الحزب، لذا أنت مجبر على سماعه". ثم جلس على الكرسي المقابل للمكتب الخشبي ووضع قدميه فوق الطاولة الصغيرة التي أمامه، فحذق حاتم إليه شزراً وكانت نظراته كفيضة بأن تجعل حكمت ينزل قدميه عن الطاولة ثم قال: "وأنت هنا في منزلي ولست في مقر الحزب، وأنا من يفرض شروط الجلسة".

فأجابه حكمت باستهتار وهو ينهض من كرسيه متوجها نحو النافذة قائلاً: "عليك الآن أن تستمع إليّ، إن الوضع السياسي الحالي يؤثر على الحزب بشكل واضح، فهذه المقاومة لا تثير البلبلة السياسية فحسب، بل تقلب صفحات لا يرغب أحد في تقلبها، وملفات لا يرغب أحد في فتحها، لذا علينا الحذر فمنافسك الوحيد في الانتخابات عادل نوران استطاع أن يعزف بمهارة على هذا الوتر، وقد حصد نسبة تأييد عالية منذ أن أصبح يدخل في مؤتمرات صحفية يصرح فيها بآرائه نحو المقاومة وعملها الباسل". فقاطعه حاتم: "ولماذا تصرون على استغلال المقاومة للتأثير على نتائج الحملة؟" فضرب

حكمت يديه بقوة فوق سطح المكتب حيث يجلس حاتم وقال:
"كفى، ألا تدرك صعوبة موقف الحزب؟".

فقال حاتم: "أنتم تصرون على اتباع منهجية الحزب الحاكم
بينما نستطيع أن نخلق منهجية خاصة بنا".
"وهذه سياسة الحزب".

"وأنا لست مضطراً لاتباع سياسته".

فأجابه حكمت بصوت تشوبه نبرة التهديد: "ونحن لسنا
مضطرين لأن تبقى أنت المرشح الرئيسي للحزب في الانتخابات
الرئاسية". ثم سار بخطوات بطيئة وأشعل سيجارته التي أخذ ينفث
دخالها ببطء قائلاً: "نستطيع أن نجعلك تنسحب لتحيا بهدوء".

فقال صوت جوليا مقاطعاً، وكانت قد دخلت المكتب دون
أن يشعر بها حاتم أو حكمت: "وهل تعتقد أنك تستطيع فعل
ذلك؟!".

فاستدار حكمت قائلاً باندهاش: "جوليا؟! ماذا تفعلين هنا؟".
جلست جوليا على الكرسي قبالة مكتب والدها واضعة ساقاً
فوق أخرى قائلة: "جئت لأجد جواباً على سؤالك؟!".

فقال حكمت ببرود غير آبه بنظرات جوليا المحترقة بين رماد
سيجارته: "لست أنا من يستطيع بل هم".

فابتسمت جوليا ونهضت متوجهة نحو حكمت قائلة: "ومن
هم؟!".

فابتسم حكمت لتبادل جوليا الابتسامة نفسها قائلة ببرود: "ولا
حتى رئيس حزبك يا خالي يستطيع ذلك". ثم اقتربت هامسة وقالت:
"ألم أقل لك أنه لا حزب بوجودي؟!".

ضحك حكمت مقهقهأ وقال: "يبدو أنك لا تزالين تحيين ضمن الفقاعة الفارغة التي صنعناها لأجلك يا صغيرة".

فأجابته جوليا باستهتار: "بل أنتم الذين لم تدركوا بعد من صنعتم منذ حادثة اليخت". حدقت إلى خالها ثم تناولت سيجارته من فمه ورمتها أرضاً، وداست عليها حتى انطفأت وقالت: "بكلمة صغيرة من ملفاتي القديمة أستطيع سحقكم".

ضحك حكمت وقال: "هذا إذا ما زال هناك ملفات".
اقتربت جوليا وعيناها تلمعان ببريق لم يره حاتم مسبقاً وقالت: "هل تعتقد يا خالي أنني لم أرث منك ولا خصلة واحدة؟! حذق إليها حكمت بصمت محاولاً إخفاء كل ما علا وجهه من تفاصيل مبعثرة جراء ما سمع، ثم اقتربت وهي تشعل سيجارة لخالها وقالت: "تستطيع الآن أن تحيك ما تشاء وخاصة كل ما يتعلق بملف فساد الحزب الذي بات قدراً لدرجة، جعل لحظة حق تحترق تحت وطأة رغبة بالية، فقط لأنها من أحد أبناء الحزب فما رأيك بذلك الآن".
ناولت جوليا السيجارة لخالها وقالت وهي تهم بالخروج: "لقد علمت أنكم تواجهون مشكلة في المجال الإعلامي التسويقي للحملة الانتخابية الخاصة بأبي، لذا تستطيع أن تعلم الحزب بموافقتي على قبول المركز الشاغر الذي لديكم فأنا سأصبح الناطق الإعلامي الرسمي لحملة والدي!".

شظايا الحقيقة

غادرت جوليا المكتب متوجهة نحو والدتها لترأها، وحكمت لا يزال تحت تأثير كلمات جوليا حينما قال لحاتم: "ماذا كانت جوليا تعني بكلماتها؟".

فأجابه حاتم ببرود: "كان عليك أن تسألها". ثم غادر المكان تاركاً حكمت يتخبط غير مدرك ما كان يسمعه ثم تناول هاتفه النقال وما أن أجاب الطرف الآخر حتى صرخ بعصبية قائلاً: "هل تخلصت من ملفات ليلة اليخت". صمت برهة ثم قال: "ماذا تعني بالطبع؟ هل أنت متأكد بأنه لا توجد منها أي نسخ أو أدلة صغيرة حتى التقرير الشرعي؟".

"حسناً... حسناً اصمت الآن". ثم أغلق الهاتف دون أن ينتظر رد الطرف الثاني وغادر المنزل مسرعاً نحو مقر الحزب.

كانت جوليا تجلس مع والدتها حينما بادرتها الأخيرة بالكلام: "جوليا، ألا ترغبين في الانضمام إلى الحفل الخيري الذي تقيمه الجمعية الخاصة بنا؟ فوجودك قد يدعم الحفل".

قالت جوليا وهي تسير نحو التراس تلاحق خطوات خالها المتخبطة نحو السيارة: "لا تهمني هذه الاجتماعات السخيفة التي لا تمارسون فيها سوى الشرثرة وعرض آخر صيحات الموضة باسم العمل الخيري".

قالت ماجدة بنبرة عصبية: "إلى متى ستبقين على هذه الحال معي؟".

استدارت جوليا ونظرت إلى والدتها قائلة: "أي حال؟".
عندها قالت ماجدة: "حالك هذه، يبدو أنك تتناسين كثيراً في الآونة الأخيرة كيف يجب أن تكلمي والدتك".
فقالت جوليا وهي تجلس قبالتها متسائلة: "هل أحببت أبي في باريس وأنتما تدرسان في السوربون؟!".

فاجأ السؤال ماجدة فصمتت برهة، ثم قالت بعد أن لمع في عينيها بريق بات واضحاً لذكرى قديمة: "نعم أحبته".
فصمتت جوليا ثم بقيت شاردة حينما سألتها والدتها: "ولم تسأليني هذا الآن؟".

عندها نهضت جوليا عن الطاولة، وتوجهت نحو مكتب والدها وقالت دون أن تستدير: "كنت أبحث عن سبب يقنعني بأنك لا تعرفين الحب".

حدقت ماجدة بألم إلى جوليا التي غادرت ببرود ودخلت مكتب والدها بعد أن غادره حكمت وما أن خطت عتبة المكتب الخشبية حتى رن هاتفها النقال وقالت: "عم عارف أهلاً...". ثم صمتت قليلاً وأكملت: "لا يهم ماذا أملك، سأشغل الشاغر من الآن، فقط أخبر حزبكم بذلك، وسأعلن انضمامي للحملة بمؤتمر صحفي سنعقد غداً لوالدي". صمتت جوليا وعينا حاتم تراقبان ابنته الصغيرة بحثاً عنها في التفاصيل التي غيبت كل معالمها القديمة وسمعتها تقول: "أنا سأدير الجانب الإعلامي للحملة، وسأكون الناطق الإعلامي الرسمي لها، وما سيتم طرحه من مواضيع في المؤتمر هو وظيفتي من الآن فصاعداً، لن

أنتظر منكم الموافقة ولكنني أنتظر تنظيم مؤتمر يليق بالحزب". لم تعط فرصة لعارف بالرد حين قالت: "وداعاً عم عارف".

حقد حاتم إلى جوليا مدركاً أن ابنته باتت في طي الماضي وتتشح بوشاح سياسي لم يكن يعلم أنه قد يليق بها يوماً!

كان حكمت جالساً في المقر بصمت ينفث الدخان بحلقات كادت تطوقه قبل أن تطوق الموجودين، فكلمات جوليا كانت ترن في أذنيه بعيداً عن كل ما تحمله القصة في طياتها من أسرار، الأمر الوحيد الذي بات متأكداً منه أن الحزب وعارف وكريم استطاعوا أن يوقظوا الشيطان في قلب جوليا حتى أصبح دهاؤها يفوق الجميع.

"كيف لكم أن تصدقوا كلامها". قال أحد الأعضاء في الحزب وهو يجلس على الطاولة الخشبية البيضوية الشكل ذات اللون الأسود والتي ضمت نخبة الأعضاء الجالسين محاولين التفاوض في القرار الذي أصدرته جوليا رغماً عن إرادة الجميع!

فقاطعته عارف: "ولم لا نصدق؟ ما الذي يجعلنا متأكدين تماماً أن كل الحقائق تم إتلافها؟".

قال آخر: "وإن يكن فهي لا تستطيع أن تتلاعب بالحزب فنحن لا نزال نملك السلطة".

كان حكمت لا يزال ينفث دخان سيجارته والأعضاء من حوله يتناقشون بحدة مدركاً تماماً أن الاقتراب من الأسد وعرينه حيا ولا يخيف، ولكن مجرد التفكير في احتلاس صمت اللبوة قد ينهيك، فاللبوة آلهة الصيد الشرسة.

قال حكمت مقاطعاً: "في الوقت الحالي لا مجال حتى للتفكير في مصداقية ابنة أختي أو عدمها، ولكن هناك مجالاً واحداً وهو تنفيذ

قرارها، فوضع الحزب لا يحتمل في ظل الظروف الراهنة وأحداث المقاومة...".

قاطعها عارف بصوت غير راض عن القرار: "لا يمكن لنا أن نرضخ لأي أحد، مهما تكن الظروف، فصورة الحزب لا يجب أن تكون وهمية، أتعلم ماذا يعني خضوعنا لجوليا؟".

فقال حكمت برود: "تماماً كخضوعنا لترشيح حاتم للرئاسة دوناً عن الجميع".

خيم الصمت بينهم لأن الجميع يعلم بأن حاتم لم يكن إلا الطريقة المثلى لصقل بطانة الحزب أمام الشعب بجنكته ومثالياته وكان عارف أول من رشحه متنازلاً عن ترشيح نفسه ليس من أجله بل من أجل مآرب أخرى. أكمل حكمت قائلاً وهو يسير ببطء في أرجاء الغرفة وقال: "دعوا جوليا تنفذ قرارها، وسننفذ أحكامنا نحن أيضاً!". ثم صمت برهة وقال: "مهما تكن اللبؤة شرسة لا بد من قناص يسقطها!".

فحدق الجميع إلى حكمت فرغم دهاء الموجودين إلا أن حكمت كان يعلم ما هي الخطوة القادمة دوماً، معداً لها درباً من الخطوات السابقة!

عادت جوليا إلى المنزل حيث وجدت كريم يجلس وآثار الاستيقاظ من النوم لا تزال ترسم في وجهه المرهق فهو لم ينام جيداً حتى بعد خروجها من المنزل وما أن دخلت وأغلقت الباب حتى

فاجأها سؤال كريم: "أحقاً قررت أن تكوني الناطق الإعلامي الرسمي باسم الحزب؟".

علقت وشاحها وهي لا تزال تدير ظهرها لكريم دون أن تنطق، فقال كريم بصوت بارد: "هل فعلاً تريدين أن تنجرفي في تيار الحزب؟".

بقيت جوليا صامته وهي تسير نحو المطبخ المفتوح على الصالة التي يجلس فيها كريم وتناولت فنجاناً وأخذت تسكب لنفسها بعضاً من القهوة الجاهزة منذ الصباح، فقال كريم بصوت لامبالٍ: "ما الذي يدور في ذهنك؟".

لم تكن جوليا تحرك ساكناً وهي ترتشف فنجان قهوتها بصمت مقابل النافذة المطلة على بركة السباحة التي كان المطر يسقط فوقها ممزقاً صفحتها النقية ثم قالت ببرود: "علينا تفرغ البركة من الماء".

"أنتعدين أن تجاهلك لسؤالي سيوازي تجاهلك لوجودي في حياتك يا جوليا؟!". ثم نهض واقترب منها حتى أصبحت أنفاسه تتكثف فوق زجاج النافذة البارد مدركاً بأن وجوده في حياتها كالسحب تلك لا تكاد تلامس وجه السماء حتى يحوها المطر، ولكن وجود الحزب سيكون كصفحة البركة هناك ما أن يلامسها المطر حتى تصبح شظايا مرئية.

حدقت جوليا إليه بصمت، وكانت جوليا للمرة الأولى ترى عيني كريم بلا بريق يذكر وهو يقول بنبرة أحرقت برودة الجو المحيطة بهما: "لم أكن أعلم يا جوليا أنني حينما أحرقت اليخت أحرقتك معه".

كانت كلمات كريم الباردة تشعل النار في صدر جوليا حينما اقتربت منه بأنفاس متوترة بينما وقف هو منتظراً للحظة أن تنطق شفتاها ولو برد واحد من بعيد إلا أن تجاهلها المستمر أثار الغضب في داخله ليعيد لملاحظته الميته بعض الحياة وقال: "إلى متى ستجعلين ذاتك هي الثمن؟ هل اتسعت دائرة انتقامك حتى وصلت الحزب".

ابتسمت جوليا ببرود، عندها اقترب منها أكثر وأنفاسه تحرك خصلات شعرها المبتلة وأمسك بيدها: "رغم كل ذنوبي إلا أنني أحمل قلباً يعرف الحب". نظرت جوليا إلى وجهه القوي ويديه الصلبتين بصمت ثم قال لها بصوت بارد: "نعم أنا أحببتك حتى وإن كان في ليلة الليخت".

ترك كريم يد جوليا التي كادت أن تُعصر تحت قبضته المتوترة وقال وهو يرتدي سترته متوجهاً للخارج "عليك أن تعلمي أن الحزب ليس مجرد أدلة لحادثة عابرة". فتح الباب ثم وقف قليلاً وقال وهو يولي ظهره لجوليا ومطبقاً رأسه نحو الأرض: "ولا يهم إن كنت أحببتك، فلا حقائق حتمية في الوجود يا جوليا ولا مسلمات في الحب".

أغلق كريم الباب وجوليا لا تزال تحقق إلى بقايا خطواته الخارجة من المنزل تاركة صمته البارد حتى بعد أن غادر!

الصمت الأصم

كانت جوليا تجلس بهدوء في مقعدها الجلدي محاولة تحرير أفكارها عليها تستطيع صياغة خطاب يليق بمنصب فرضته على الحزب قسراً ودون استئذان، إلا أن خطوطها المبعثرة فوق الورقة البيضاء أمامها والخربشات المتشابكة جعلتها تكتشف بأن الورقة كانت عبارة عن مجموعة من الرسومات المشعثة بلا معنى وبلا وضوح، ولم تكن تعلم بأن اسم كريم كان يرسم بطريقة عشوائية بين الخطوط ثم تقوم بمحوه بخطوط أخرى!

كان صمتها أصماً بلا صدى تحاول من خلاله الهروب من رنين حروف كريم الأخيرة: "نعم أنا أحببتك حتى وإن كان في ليلة الينخت". هزت رأسها محاولة طرد الحروف قبل الكلمات، فقد كان مثقلاً بفقر اللغة قبل فقر الإحساس: "هل حقاً أحببتي يا كريم؟!". تساءلت بصمت ونهضت نحو النافذة الباردة، ثم كتفت ذراعها محاولة تدفئة نفسها وهي تنظر إلى أوراق الأشجار المبعثرة في الخارج والتي رحلت بهدوء مع الريح بلا مقاومة تاركة لها حرية القرار إلى أين تحملها هذا العام.

صمتت برهة، ثم توجهت نحو الباب، ارتدت سترة دافئة خفيفة واطاعة شالاً صوفياً ناعماً وغادرت المنزل محاولة الهروب ولربما

التهرب مما بدأ يزحف نحوها بلا استئذان. ما هو لم تكن تعلم ولكنها كانت متأكدة أن عليها أن تغادر حالاً!

كان أشرف يدخل أحد المحال التجارية الضخمة، حينما لمح جوليا من بعيد وهي تحاول انتقاء ثوب رسمي يليق. بمناسبة يبدو أنها خاصة، وما أن رآها حتى اقترب منها وقال لها مبتسماً وهو خلفها: "لم أكن أعلم أن الأبراج الفلكية تصدق أحياناً".

فاستدارت جوليا بعدما فاجأها صوته القادم من الخلف وقالت: "ولم أعلم أنك تفضل اقتحام حلوة التسوق الشخصية بناء على الفلك".

فابتسم أشرف وقال ضاحكاً "لقد سمعت في برنامج صباحي بأن يومي سيكون مميزاً بلقاء غير متوقع".

فحملت جوليا الثوب الذي انتقته بين يديها واستدارت مبتسمة: "ومن قال إنه غير متوقع؟".

فقال أشرف متسائلاً بعبث وهو يقلب إحدى القطع المعلقة من الثياب: "لأنه صدفة".

فقالت جوليا وهي تمسك بالقطعة التي بين يديه وتحديق إليه: "صدفة أم ملاحقة؟".

فقال أشرف مبتسماً: "في كلتا الحالتين لا أزال أعتقد أنه يوم مميز".

فقالت جوليا ونظرة الشك بدت واضحة في عينيها: "إذن أنت هنا بمحض الصدفة".

هز أشرف رأسه بنعم وقال بنبرة ساحرة: "ولكن هذه الصدفه لا تمنع أن أدعوك على فنجان قهوة صغير قد أستطيع من خلالها اقتناص خبر أو حدث لقناتي".

فضحكت جوليا وقالت: "لا داعي لفنجان القهوة فغداً سيكون الخبر معلناً في كل وسائل الإعلام". ثم اقتربت قليلاً وأكملت قائلة: "لذا أعتقد أن أشرف الكافوري أحق من يحمل السبق في هذه الحالة". فحذق أشرف إلى جوليا التي شعر للمرة الأولى أنه يلح فيها تعابير والدها السياسية في الكلام، عندها قاطعت جوليا نظراته المتفحصه قائلة: "سأصبح الناطق الإعلامي الرسمي للحزب وسيكون هذا خبر المؤتمر الصحفي لوالدي غداً".

كانت الدهشة التي ارتسمت على وجه أشرف الذي فغر فاهه بصمت دون أي تعليق يذكر كفيلاً بأن تجعل ضحكة جوليا تقهقهه، ثم قال بعد برهة: "ولم تخبريني الآن؟ ألسنت قلقة من أن أعلن الخبر قبل صدوره".

فاستدارت جوليا نحوه ما جعل شعرها الأسود المنساب يميل نحو الناحية الأخرى من كتفها وقالت: "لا لن تعلنه". قال أشرف محذقاً إليها بغرابة: "ولم، هل تثقين بي إلى هذا الحد؟".

فابتسمت جوليا وقالت: "لا، ولكنني أثق بأنك لن تتوانى عن إحراج الحزب".

قال أشرف بمكر: "وهل ترغيبين حقاً في ذلك؟!". فقالت جوليا باستهتار: "لا يهمني ولكن عليك أن تسمع الخطاب غداً".

ثم استدارت وقالت وهي تغادر: "اعذرنى، عليّ أن أكمل تسوقي استعداداً للحدث". وما أن أكملت جملتها حتى وجدت كريم يقف قبالتها محمداً إليها من رأسها وحتى قدميها بينما كانت ناتاشا تقف بعيداً تبحث بين الملابس المعلقة عما هو جديد أما أشرف فقد تبادل مع كريم بضع كلمات مقتضبة وغادر المكان بعد أن وجد التوتير يحيط بثلاثتهم. عندها استدار كريم نحو جوليا وقال: "لم أكن أعلم أنني سأجرك مع أشرف هنا، فهل هناك من سبب وجيه لخروج زوجتي العزيزة للتسوق مع أحد الإعلاميين؟".

"لربما هو السبب الوجيه نفسه الذي جعل زوجي المحب يخرج للتسكع مع ناتاشا في شوارع المدينة".

فاقترب كريم وقال: "أنا وناتاشا جئنا إلى هنا في اجتماع عمل".

ابتسمت جوليا ابتسامة ساحرة وقالت: "اجتماع عمل في قلب المحال التجارية!".

فقال كريم: "سأشرح لك لاحقاً".

أجابته جوليا ببرود: "لست مضطراً للشرح، فالأمر لا يعني". ثم اقتربت هامسة منه وقالت مكلمة حديثها: "لذا أعتقد أن وجود أشرف أيضاً لا يعنيك". وما أكملت جملتها الأخيرة حتى سارت بجانب كريم متوجهة نحو الصندوق لشراء ما تحمل من ثياب إلا أنه أمسك ذراعها وهي جانبه وقال دون أن ينظر إليها "أعتقد أنك لن ترتدي ثوب المؤتمر على ذوق إعلامي عابر!". ثم أمسك بمجموعة الثياب الموجودة بين يديها وألقاها جانباً وقال: "الآن تستطيعين التسوق وشراء ثياب جديدة!".

قالت له وهي تنظر إليه شزراً: "إنه اللعبة يا كريم فأنا لست مشاهدة بارعة وأنت لست ممثلاً قديراً". وما أن أكملت الجملة حتى كانت ناتاشا تقترب منهما منادية على كريم وقالت بعد أن رأت جوليا: "جوليا أنت هنا!". مدت يدها لتصافحها ثم أكملت: "اعذريني ولكن عليّ أن أغادر أنا وكريم الآن فالوقت يدركنا". أجابتها جوليا ببرود: "لا بأس، تفضلاً".

أمسكت ناتاشا بذراعه على استعجال ولم تكمل خطوتها الأخيرة حتى كان فلاش الكاميرا القادم من بعيد لأحد الباباراتزي قد التقط صورة قد تصبح خبر الغد أو اليوم، لم تكن متأكدة ولكنه بلا تأكيد سيُحدث جلبة قبل مؤتمر الحزب غداً!

شقوق الأنتيك

استفاق كريم على رنات الهاتف المتواصلة والتي أخذت تفرع في رأسه الغائب في حالة نوم عميق وما أن تناول هاتفه النقال حتى سمع صوت والده على الطرف الثاني يصرخ بصوت يكاد يمزق محيط غرفته البارد "أي لعبة سخيفة تلك التي تمارسها أنت وجوليا يا كريم؟".

أجاب كريم بصوت متثائب لا يخلو من الكسل الواضح: "ما بك يا أباي؟ لما تصرخ؟".

صرخ عارف قائلاً: "أهض وكفاك تصرفات صبيانية، منذ صبغك وأنت على هذه الحال، اعتقدت أنك حين تتزوج قد تنضج قليلاً، ولكن يبدو أنك قد تزوجت ممن ينقصها النضج أكثر منك".

فقال كريم بصوت متثاقل: "لا أعتقد أنك قد اتصلت...". ثم صمت برهة وأخذ ينظر إلى الساعة الموضوع على المنضدة وأكمل قائلاً: "الساعة السابعة صباحاً يوم الجمعة حتى تلقي على مسامعي هذا الكم من الشتائم والإهانات، ثم تنتظر مني أن أرد بكلمة صباح الخير يا أباي!".

قال عارف بنبرة عصبية: "أهض من فراشك الآن واقرأ صحيفة الصباح".

نهض كريم كمن مسه تيار كهربائي بعد كلمات والده التي اخترقت مسامعه كالسم وقال بصوت متفاجئ: "ماذا يوجد في الصحيفة؟".

قال عارف بنبرة ساخرة: "انهض أيها العريس وفكر أنت وزوجتك الناطق الرسمي باسم الحزب بماذا ستفندون الخير؟". ثم أقفل عارف المكالمة دون أن يترك لكريم فرصة للكلام.

نهض كريم مسرعاً وغسل وجهه ثم نزل سلالماً المنزل سريعاً، فوجد جوليا في المطبخ تسكب قهوتها وعلامات النعاس لا تزال واضحة على وجهها.

فقالت ببرود: "لا أعتقد أن كل هذه الضجة ضرورية لتعلن أنك استيقظت".

قال كريم وهو يقبل بالصحيفة حتى وجد الخير: "اقرأ أي هذا يا عضو الحزب الجديد".

قرأت جوليا الخبر ثم جلست على الأريكة والدهشة تملأ ملامح وجهها الباردة: "ما هذا؟!!" ثم أكملت وعيناها تمران فوق الخبر "هل يجيا كريم قصة حب جديدة برضا زوجته".

"هل بات كل من جوليا الريزوني وكريم التلواني يعيشان حالة من البرود العاطفي والتي قادهما نحو قصص جديدة تعصف بهما نحو شواطئ الحب؟ حيث كانت جوليا في حالة من الاستمتاع التام في أحد المحال التجارية مع الصحفي الشهير أشرف الكافوري بينما كانت يد ناتاشا كارمليان تعانق ذراع كريم في حضور جوليا، فهل هي مجرد مصادفة جمعت الجميع أم أنها أخبار قادمة في الأجواء".

صمتت جوليا قليلاً والصدمة ترتسم فوق ملامحها وقالت بنبرة شاردة: "لِمَ الآن وبهذا التوقيت؟".

فقال كريم وهو يحدق إليها: "كفى يا جوليا لقد رأينا المصور معاً أنا وأنت وناثاشا".

فقالت وهي لا تزال تتحدث بنفس النبرة كمن يفكر بصوت مرتفع: "ولكن صورة أشرف؟ متى؟ وكيف؟ ولم تم تصويرها؟".

اقترب كريم منها وقال متهكماً: "حتى تستمتعي بالحديث معه في الأماكن العامة". ثم ارتدى سترته متوجهاً نحو حديقة المنزل رغم برودة الجو ليسير قليلاً وقبل أن يغلق الباب وراءه قال: "لقد تم تأجيل مؤتمر إعلانك ناطقاً رسمياً حتى نجد طريقة لتفنيد الخبر".

صمتت جوليا دون أن تنطق ببنت شفة وعادت تقرأ الخبر محدقة إلى صورتها هي وأشرف بلا أي أفكار أو تعليق.

كانت ابتسامة حكمت المتوترة في مقر الحزب تتخلل كلماته وهو يقول: "لنرَ الآن ماذا ستعلن الناطق الرسمي للحزب في خطابها الأول؟".

حدق عارف إلى حكمت بدهشة مزقت ملامح وجهه الغاضب: "هل أنت من أرسل المصور خلفهم؟".

قال حكمت بنبرة منتشية: "بالطبع لا، هل جنت يا عارف، هل تعتقد أنني أمارس هذا النوع من الأحاجي الصيبانية".

فقال عارف متسائلاً: "ماذا كنت تعني إذن!".

ابتسم حكمت قائلاً ببرود وهو يحدق إلى النافذة المطلة على المدينة والتي باتت تظهر كمكعبات صغيرة بسبب علو المكان "لا أعني سوى السخرية من الحدث، فالناطق الرسمي ابتدأت مشوارها السياسي بخطوة مرتبكة لذا، اهدأ يا عارف فما يحدث ربما يسير نحو تيار هدفنا الأكبر...". ثم رشف رشفة من سيجارته ونفث دخانها ببطء في الهواء وقال بشروود: "... الرئاسة".

كان عارف يقرب الصحف المرمية أمام أعضاء الحزب على الطاولة المستديرة بينهم حيث كان الخبر قد شغل الحيز الأكبر في صحفها ما فتح المجال أمام الصحفيين والإعلاميين لتسليط الضوء على حزب التآلف الوطني بشكل أكبر، وجعله الخبر الرئيسي في كافة وسائل الاعلام.

عندها حدق عارف إلى حكمت الذي كان ينظر عبر النافذة أمامه غير آبه لكل ما يدور حوله ولكنه يعلم أن الذي حدث ما هو إلا فرصة لا بد من اقتناصها لخدمة الانتخابات التي لم يبت مجرد المسؤول عنها بقدر ما باتت تتغلغل في نفسه بإصرار. لقد كان عارف يعلم جيداً أن للساسة عوالمهم ودهاليزهم، ولكن حكمت باتت أخطبوطاً ساماً تمتد أذرعه في كل ركن نافثاً حبره الداكن في عقول المحيطين مغلفاً سواده ببريق الرئاسة! ولكن هل حقاً يعلم حكمت جيداً ما يفعل؟ أم أن شهوة السلطة باتت تغرقه والحزب إلى حيث هاوية لا قعر لها؟!

كان أشرف يرتشف قهوة الصباح على تراس منزله المتواضع الهادئ رغم برودة الجو، فأشرف كان يعشق في الشتاء برودته حينما يسعى لتلبية نداء جسده بالدفء مرتدياً بعض الكنزات الصوفية التي حاكتها له والدته منذ زمن، لذا لم يكن يعلم هل يجب الشتاء برودته القاسية أم كنزات أمه الصوفية هي من جعلت للشتاء نكهة خاصة تذكره بها بعد رحيلها؟ فهو حتى هذه اللحظة يسمع بقايا خطواتها البطيئة في حنايا المنزل وهي تحمل فنجان القهوة لترتشفه معه هنا في التراس. لذا بقي الكرسي الخاص بها يجلس أمامه فارغاً حاملاً عبقها من الماضي، وما زالت بضع حاجياتها التي تحمل في قلبه نبضاً خاصاً ترتمي في أركان المنزل بهدوء يشبه هدوء أمه الراحلة، كان أشرف يعشق الصباح ساعة السحر فحرص دوماً على أن يستيقظ مع بزوغ الفجر لأنه يعلم أن لحظة نقاء الكون تلك هي لمسة خاصة منحها الخالق لنفحات الفجر الصامتة وأنفاسه المنعشة مهما كان الفصل السنوي الذي تشرق فيه الشمس.

كان يجلس قبالة الشمس وهي تنهض معانقة الأرض قبل أن تلوثها أصوات المستيقظين وغاز السيارات المنبعث في الأنحاء، وبين كل هذا كان يعلم أن لأنفاس الصباح لغة أخرى لا يفهمها إلا من يسمع صوت السحر، ولم يكن غريباً بالنسبة إليه أن يعشق الإعلام الذي يصاغ بترنيمة خاصة تمنحه إيقاعاً يجعل للأحداث لذة تحمل المشاهدين إلى خيالات الحدث دون الوصول إلى عمقه، لهذا كان يتربص الخبر كمن يلتقط فريسة محاولاً الحفاظ على صفه الأول بين القنوات.

لم يكن يعتقد بأنه وصولي ولكن للإعلام بوثقته الخاصة حيث لا تبرز فيها كل المعادن ولكن يمكن لك أن تخلق وسيلة لصهر الحدث في قالب جديد، وإن كان المعدن ماساً أم حجراً لا يهم، فدرجة الانصهار كافية بأن تحول التراب ذهباً، ليس كعلم الخيمياء بل كعلم الفراعنة، كل العناصر حاضرة إلا أن الطريقة تبقى قيد المجهول وضمن جرة قلم!

أخذ أشرف فنجان قهوته واقترب من الصحف الملقاة أمامه وما كاد أن يلمس الصحيفة الأولى حتى سمع طرق الباب، فنهض يفتح بابه لأنه يعلم جيداً أن حبه للبقاء مع نفسه لا يسمح له بوجود الخدم في المنزل وما أن فتح باب المنزل الخشبي المعتقد حتى شحب وجهه من هول المفاجأة "جوليا؟!".

حدقت جوليا إليه وقالت: "وما بك كمن رأى شبحاً؟! أهكذا تستقبل ضيوفك للمرة الأولى؟".

فقال بصوت بارد: "وهل يزور الضيوف أصحاب المنزل بشكل مفاجئ يوم الجمعة دون حتى أن يدرکوا أنهم يعرفون عنوانهم؟". ثم فتح الباب وأشار بيده لها بالدخول وقال: "ولكن ورغم أسلوب الزيارة غير المهذب هذا، تفضلي".

دخلت جوليا غير آبهة بجملة الأخريرة وقالت وهي تحديق إلى زوايا منزله: "إذاً فعلاً أنت تحب تجميع الأنتيك".

فقال أشرف وهو يهذب خصلات شعره المبعثرة: "وهل هذا سبب زيارتك المفاجئة الساعة الثامنة صباحاً؟".

ابتسمت جوليا وجلست دون أن تنتظر منه إشارة بالجلوس وقالت: "بل لأتأكد إن كنت حقاً إعلامياً فقط أم قنص فرص؟".

فقال أشرف: "سيدة جوليا هل تعتقدين أنني أستقبلك في يوم إجازتي دون سابق معرفة وطيدة تسمح لك بزيارتي في منزلي حتى أستمع لاتهامات لا تروق لي؟".

فقلت جوليا ببرود: "الأعيك الإعلامية البالية قد تجبرني أحياناً للدخول في مواقف لا أرغب في أن أوجد فيها ولكن لا بد أن أفهم منك شخصياً لم؟".

فقال أشرف بنبرة ضجرة: "لم ماذا؟".

نفضت جوليا وتوجهت نحو التراس حيث القهوة والصحف فوق الطاولة وقالت: "يبدو أنك ما زلت تحتسي قهوة الصباح فهل تعتقد حقاً أنني جئت فقط لأسأل سؤالاً أنت تجهل فحواه؟".

فقال أشرف وهو يرتب موقع إحدى القطع الأثرية في منزله: "حتى هذه اللحظة ما زلت أتصرف بكياسة المضيف للزائر، فأرجو أن تحافظي على كلامك وإلا اضطرت آسفاً أن أنهي زيارة غير مرحب بها من البداية".

قالت جوليا: "أحقاً لا تعرف عما أتحدث؟".

فقال بعث وهو يسير باتجاه التراس حيث تقف: "في الواقع لست مضطراً لادعاء عدم معرفتي إن كان هناك ما أعرفه".

فقلت جوليا وهي تحمل الصحيفة بين يديها: "والخير؟!".

رد أشرف باستهتار: "أي خبر بالضبط، فهذه صحيفة يا جوليا مليئة بالأخبار وزيارتك اللطيفة لم تسمح لي بتقليب صفحات أي صحيفة بعد".

قلبت جوليا الصفحات وقالت "انظر".

أمسك أشرف بالصحيفة وكانت الدهشة واضحة في وجهه ما جعل جوليا تحدق إليه غير مصدقة.

فقال لها بصوت مندهش: "وهل اعتقدت حقاً أنه يمكن لي أن أحط من قدرتي الإعلامي والشخصي إلى هذا الحد؟! " ثم اقترب منها قائلاً: "ماذا تعتقدين؟ أتعتقدين أنني إعلامي ناشئ ينتظر فرصة خبر يقتنصه!".

فقالت جوليا: "لا بل مدير قناة من قنوات الصف الأول إن لم تكن الأولى، يعرف كيف يمكن له أن يسرق أضواء مؤتمر إعلان منسبي في الحزب بخبر سخيف كهذا؟".

"وهل تعتقدين أنني قد استخدم نفسي طعماً من أجل ذلك؟! ". ثم صمت قليلاً وقال وهو يحدق إلى الفراغ أمامه "ليس أشرف الكافوري من يتوارى في الظلال، أنا أخترق الحدث بحثاً عن الإجابة".

بدأت ملامح جوليا المرتبكة تبعث صفحة وجهها أمام أشرف الذي أخذ يتفحصها بعناية ثم خرجت ولكن أوقفها صوت أشرف قبل أن تغلق الباب قائلاً "تماماً كحريق اليخت".

أقفلت جوليا الباب ورائها وغادرت وهي تحدق إلى الطريق المؤدية من منزل أشرف إلى سيارته حيث الحديقة القديمة لا تزال تحمل عبق ماضٍ جميل لم تشعر به إلا عند رمون في الحي اللاتيني، فهل عند أشرف بضع طرق مرصوفة؟

الأرض القاحلة

كان كريم يسبح بسرعة محاولاً قطع حوض السباحة في عدة أشواط سريعة، لم يكن يعلم هل هي وسيلة من وسائل تخفيف توتره الذي بات رقيقاً له في أيامه الأخيرة، أم أنه لا يزال يعشق هواية السباحة حتى وإن كانت شتاءً!

وصلت جوليا المنزل ومرت من حديقة المنزل حينما لمحت كريم على هذه الحال، فتوقفت قليلاً ثم تساءلت بدهشة: "هل تسبح الآن يا كريم؟".

فخرج كريم من حوض السباحة وتناول منشفته الملقاة على الكرسي الطويل ووضعها فوق كتفيه محاولاً درأ موجات البرد التي تصفع جسده عنه، إلا أنه اقترب من جوليا قائلاً: "أين كنت ولا تزال الساعة الثامنة صباحاً؟".

أجابت جوليا وهي تستدير متوجهة نحو المنزل غير آبهة بكلام كريم: "كنت أحاول تنفيذ الخبر، ألم تطلب مني ذلك قبل المؤتمر؟".

فأمسك يدها مما أجبرها على التوقف وقال: "وهل تعتقدين أنني مغفل يا جوليا؟ هل تنفيذ الخبر يستدعي ذهابك إلى منزل أشرف الكافوري؟".

"وهل تراقبني؟!"

"بل هم من يراقبونك!"

فحدقت جوليا غير مكترثة لما قال عندها أجاها كريم بعث وهو لا يزال يمسك بيدها: "لقد تم إرسال مجموعة جديدة من الحراسة لحماية الناطق الرسمي الجديد للحزب".

فأجابت جوليا غير آبهة بيد كريم التي تطوق يدها: "ومن أخبرهم أنني بحاجة للحماية؟".

فقال كريم ببرود: "صحيفة اليوم يا عزيزتي". ثم شد لها نحوه قائلاً: "كيف تسمحين لنفسك بمغادرة المنزل متوجهة نحو منزل أشرف دون علمي؟".

صمتت جوليا والدهشة تعتلي وجهها رغم عدم قدرتها على التحديق إلى كريم فلا يزال جسد كريم الرياضي يثير اشمئزازها! ثم أجابت ببرود: "وأنت لم تجبني هل بت تراقبني يا كريم؟".

أجاها كريم بصوت ينبعث من بين أسنانه المطبقة: "وإن كنت فهذا حقي، هل تعتقدين أنني سأقبل أن أجد زوجتي في منزل رجل آخر الساعة الثامنة صباحاً ويوم الجمعة، ما معنى ذلك؟!".

فأجابته بنظرة مستنفرة: "معناه أنني أحاول البحث عن مصدر الخبر وإيجاد وسيلة لتفنيده".

قال لها كريم بصوت هادئ يثير الخوف: "في منزل أشرف الكافوري؟!".

استدارت جوليا بعصبية وأفلتت يدها من قبضته وقطرات المطر بدأت تنهمر ببطء فوقهما: "أنت تعلم أنني لا أسمح لك بتلميحاتك السخيفة تلك".

اقترب منها كريم وعيناه تعكسان غضباً لم تطفئه مياه السباحة الباردة: "وأنت تعلمين أنك زوجتي".

فقال جوليا بعث: "ومعنى ذلك؟!".

قال كريم: "معناه أنك لن تغادري دون علمي مرة أخرى".

حدقت جوليا إليه بملامح ساخرة وقالت: "حقاً يا كريم؟".

صمتت قليلاً ثم أردفت قائلة: "وما دمت أحتاج إلى إذن فهل تسمح لي بدخول المنزل؟".

فقال كريم وهو ينظر في الاتجاه المعاكس لها: "لا".

ضحكت جوليا وقالت وهي تحمل حقيبتها لتوجه للداخل:

"حقاً؟!".

فأمسك كريم ذراعها ثانية دون أن يستدير وقال: "قلت لك لا،

لا أسمح لك بالمغادرة الآن".

حدقت جوليا إلى كريم وبدأت تفقد هدوءها قائلة: "ما بك؟!".

لقد ذهبت إلى منزل أشرف نعم وذلك حتى أتحقق من الخبر، عليّ أن

أحل المسألة بشكل سريع ورغم اقتناعي التام أنني لست مضطرة لسرد

كل هذا لك". صمتت ثم أكملت قائلة: "ولكن سأحترم رغبتك

كزوج وأخبرك بالحقيقة، نعم كنت مع أشرف فقط لأتحرى

الحقيقة".

فقال كريم بنبرة متسائلة: "كيف فكرت للحظة أن تصلي لمنزل

أشرف بعد الخبر، ألم تفكري بالحزب ومنصبك معهم؟".

صمتت جوليا برهة وشعرت للمرة الأولى بأن كريم يفكر

للحظة بصدق فعلاً، لم تكن جوليا تفكر في تلك اللحظة ماذا لو علم

أحدهم بذهابها إلى منزل أشرف، عندها كيف ستثبت أن خبر القصة

القادمة من الأفق كاذبة، وهل هي حقاً كاذبة؟!
ثم قالت بهدوء: "لم أفكر ولكن انتهى الأمر، لم يحصل سبب
يدعونا للقلق، كنت فقط أتحرى الحقيقة".
فقال كريم بعد أن ترك ذراعها ولا يزال يحدق إلى الفراغ أمامه
معطياً ظهره تماماً لجوليا: "وهل تحريتها؟".
فأجابت: "نعم، لقد بدا واضحاً بأنه فوجئ بالخبر تماماً!".
فقال كريم بصوت شارد: "وهل دهشته كانت دليلاً كافياً
لتصديقه؟".

قالت جوليا باستهتار: "أعتقد ذلك".
استدار كريم نحوها وعينه تشتعلان بريقا غير واضح المعنى وقال:
"هل هذا هو مفهوم الصدق في حياتك يا جوليا؟".
فتساءلت جوليا ببرود: "ماذا تعني يا كريم؟".
فقال كريم بصوت بات أكثر برودة من الجو الذي بدأ يلسع
صدره العاري: "هل الصدق لديك مرهون بردة فعل اللحظة
الأولى؟".

فقالت جوليا: "لا، ولكن دهشته كانت كفيلة يجعله يظهر
صادقاً أمامي".
"وكيف يمكن لك أن تصدقي إذن؟".
"أصدق ماذا؟".
"تصدقين بأنني أحبك....".

حدقت جوليا إليه بصمت دون أن تجد إجابة واستدارت
متوجهة نحو المنزل فأمسكها من كتفيها حينما بدأ المطر ينهمر
أكثر وقال بصوت يشبه تكسر المطر فوق أرض الحديقة الميتة

بسبب الشتاء: "أجيبيني إلى متى ستنكرين حقيقة حبي لك يا جوليا؟".

لم تستطع جوليا النظر إلى عيني كريم ولكن هطول المطر جعلها تبتل بطريقة كانت تمحو كل فكرة تغزو عقلها في تلك اللحظات، فكيف يمكن للأرض الجرداء أن تحيا بلا ربيع؟ لو كان الحب حقيقة سهلة لكان الربيع في كل أرض حتى الصحراء، فالربيع عناق حب بين الطبيعة والمطر، ولكن ليس كل أرض تعانق المطر، وليس كل مطر يروي الأرض، فالصحاري أراض بلا روافد، كل ما تحمله شروخ تزداد جفافاً سواء بحرارة الصيف أو برودة الشتاء وهذا هو حال الحب، لا عناق بلا روح تجمع الطرفين.

أجابت جوليا: "حتى يغزو الربيع الصحراء".

فاقترب منها وأمسك كتفيها قائلاً: "وإلى متى ستبقى أرضك قاحلة؟".

"يكفيني ما شربته سابقاً يا كريم، فلست بحاجة إلى الارتواء، أفضل العطش على أن أرتوي باحتراء!".

فاقترب كريم حتى باتت أنفاسه أكثر حرارة وسط برودة الجو، والمطر ينهمر بشدة فوقهما فأصبح وجه جوليا شاحباً من البرودة وقال بصوت دافئ: "اقتربي ولو لمرة واحدة".

حدقت إليه للمرة الأولى منذ زواجهما حتى رأت عينيه تَحْمِلَانِ حناناً لم تعرفه في كريم سابقاً وقالت بصوتٍ شارد "لا أستطيع" فشروخها أعمق من أن تُرتوى في لحظة برد عاصفة كهذه يغزوها المطر ليمنحها دفناً رغم البرودة، لا تستطيع فأرضها لا تزال قاحلة بلا واحة وكل ما تراه مجرد سراب العطاشي.

اقترب كريم أكثر وحاول أن يلامس وجهها إلا أن قشعريرة دبت في جسد جوليا جعلتها تبعده بقوة عنها "ابتعد" فاقترب كريم منها وأمسك كتفيها بقوة وقال: "وهل تبعدينني بسبب ليلة اليخت أم أصبح لديك أسبابك الأخرى؟!".

"ماذا تعني؟".

"هل ارتوت أرضك القاحلة في زيارتك الصباحية لأشرف الكافوري اليوم؟".

رفعت جوليا يدها وصفعت كريم على وجهه ما جعله يمسك ذراعها بشدة ثم نزعت ذراعها منه بقوة وتوجهت نحو الداخل فركض خلفها محاولاً اللحاق بها وما أن تبعها حتى تعثرت قدمه بيلاط البركة الأملس بسبب المطر مما جعله يسقط أرضاً بقوة على حافة البركة وما أن استدارت جوليا حتى وجدت كريم قد تماوى أرضاً ساقطاً بعد أن فقد توازنه في قلب بركة السباحة فاقدماً للوعوي غير قادر على الاستيقاظ وبات يغرق نحو الأسفل ببطء، ركضت جوليا نحو البركة ونزعت حذاءها بسرعة خلفه ثم قفزت سريعاً محاولة انتشاله من القعر قبل أن يغرق وأخذت تصرخ: "كريم... كريم أتسمعي؟".

سرعة ما حدث جعلت جوليا غير قادرة على اتخاذ أي إجراء، كل ما كانت تحاول فعله هو أن توقظ كريم لتحاول انتشال جسده الثقيل من البركة قبل أن يغرق ثم عادت تصرخ: "كريم استيقظ، كريم أرجوك استيقظ، ماذا حصل؟" كانت جوليا تحاول جرّه للخارج إلا أن ثقل جسده جعلها تواجه صعوبة في ذلك فحاولت أن توقظه في البركة عله يستطيع مساعدتها للخروج منها، فأخذت تصفع وجهه

عدة صفعات سريعة: "كريم اهض أرجوك، لا أستطيع حملك للخارج، ستغرق إن بقيت هكذا، أرجوك ساعدي، أرجوك اهض". بقي كريم فاقداً للوعي ويدا جوليا لم تعودا قادرتين على حمله لجره خارج البركة ولم تكن قادرة على تركه خوفاً من أن يغرق فصرخت ثانية مستجديّة: "هل من أحد هنا؟ فليساعدي أحدكم". صمتت قليلاً ثم قالت بنبرة ممزوجة بالدموع: "لن تموت الآن، أفهمت، لن تموت يا كريم حتى وإن كنت لا أدري أحببتك أم لا؟ فأنا لن أجعلك تموت بين ذراعي وبهذه الطريقة، لا يمكن لك قتلي مرتين، اهض".

ثم استجمعت كامل قواها وبدأت تحاول جر كريم خارج البركة وعيناها تمتزجان بزخات المطر الكثيفة ودموعها التي لم تجد لها تفسيراً واضحاً في تلك اللحظة. كل ما كانت تحاول فعله نشل كريم من خارج بركة السباحة وما أن نشلته بعد صراع طويل مع جسده الرياضي الثقيل، حتى جلست بجانبه وزخات المطر بدأت تهدأ بينما لهات أنفاس جوليا المتعبة كان يعلو، فاقتربت من كريم الذي كان فاقداً وعيه تماماً وحاولت إيقاظه وتحريك جسده بشدة إلا أنه بقي في حالة فقدان وعيه تلك حتى بدأت بالضغط على صدره العاري بقوة محاولة طرد الماء الذي ملأ رئتيه عند سقوطه، وعندما لم تجد استجابة منه اقتربت لتجري له تنفساً اصطناعياً فحاولت مرة أولى ولكن بقي كريم على هذه الحال.

بدأت جوليا تفقد سيطرتها على أعصابها وأخذت تصرخ في كريم الملقى على الأرض وتضربه بشدة فوق كتفيه وصدره قائلة بصوت ممزوج بالدموع والنشيج: "لن تموت، اهض. لربما أحببتي

ولربما كنت صادقاً لكن أرجوك سامح قسوتي". وما أكملت كلماتها حتى سقطت منهارة بجانبه محاولة فعل أي شيء لإنقاذه.

اقتربت ثانية وحاولت إعادة التنفس الاصطناعي وما أن أكملت الأنفاس الأخيرة حتى هُض كريم وبدأ يسعل بشدة طارداً كل ما علق في صدره من مياه البركة، فحدقت جوليا إليه بعينين مغرورقتين بالدموع لم يستطع كريم إدراك دموعها من زخات المطر إلا حينما رمت نفسها بين ذراعيه: "كريم ما زلت حياً" نظر كريم إلى جوليا بعينين مرهقتين ولكن لم تخلوا من المفاجأة حينما عانقته، فجلست في أحضانه تبكي كطفلة صغيرة وقالت بصوت متقطع "ظننتك مت" فأمسك ذقنها بين أصابعه المرتجفة وهدق إلى عينيها الباكيتين ومسح وجهها قائلاً: "لا تقلقي يا حبيبتي، لا أزال حياً". رمت جوليا رأسها فوق كتف كريم، لم تكن تعلم هل حقاً لأنها تجبه؟ أم أن للموت رهبة قد توقظ الحب الميت بشكل لحظي ينتهي بانتهاء الحدث! لم تغرق في أفكارها كثيراً، ولكنها بقيت في أحضان كريم تحاول التنفس بعمق محاولة تجاوز كل ما حدث بعد أن توقف المطر عن الهطول، وهدأت صفحة البركة الثائرة معلنة قرب انتهاء الشتاء، وربما اقتراب الربيع!

لست عنقاء

كانت جوليا تشعل حطب المدفأة وهي تحدق إلى كريم وملامحه الشاحبة من بعيد، ودموعها الممزوجة بالمطر بدأت تجف تدريجياً كجفاف ذلك الشعور الذي اجتاحتها كالعاصفة في الخارج لحظة غرق كريم، ولكن بقيت بضع نفحات تتراوح في نفسها بين الحين والآخر كلما نظرت إلى كريم المرتعش فقالت بصوت لا تدري ما هي طبيعة نبرته: "عليك أن تبدل ثيابك يا كريم، عندها سأكون حضرت لك بعض الأعشاب لتمنحك الدفء بعد ما حدث".

حدق كريم إليها من بعيد وهو جالس قبال المدفأة التي ما تزال تشتعل ببطء وقال: "لست بحاجة إلى أي شراب دافئ يا عزيزتي". ثم هُض ببطء متوجهاً للدرج حتى يصعد إلى غرفته. ولكن خطواته غير الثابتة جعلت جوليا تجري نحوه لتجعله يستند إلى كتفها ثم قالت بنبرة قلقة: "هل أنت بخير؟! "أجاب كريم بابتسامة منهكة: "نعم لكنه من تأثير الغرق على ما يبدو".

فقالت جوليا وهي تحاول إسناد كريم أكثر: "إذن دعني أوصلك إلى الغرفة".

فأشار لها كريم بيده بلا ثم قال: "لا داعي لذلك، سأبدل ثيابي وأعود".

"أليس من الأفضل أن تبقى في فراشك بدلاً من الجلوس هنا؟".
أجابها كريم وهو يصعد ببطء: "لا، أرغب بالجلوس أمام المدفأة قليلاً".

"حسناً كما تشاء، سأحضر لك شراباً دافئاً إذن".

توقفت خطوات كريم وهو يصعد ثم استدار نحوها وقال بصوت خافت متعجب: "يكفيني دفاء هذه اللحظات الآن، لست بحاجة لما هو أكثر". ثم استدار وأكمل صعوده، أما جوليا فكانت تقف مذهولة، ما الذي حصل؟ هل حقاً بدأ قلبها يصحو من جديد؟ هل يمكن للشروخ أن تندمل كالجراح؟ شعرت جوليا بالحرارة تلسع وجنتيها فنظرت إلى المرأة لترى أنها تحمر خجلاً بمجرد التفكير بنبضات قلبها التي وصلت أوجها حينما ارتمت في أحضان كريم باكية ثم نظرت إلى المرأة ثانية فوجدت خطوط الكحل الذي كانت ترسم عينيها به قد لطح وجهها. أخذت بعض المناديل وبدأت تمسحه بقوة محاولة طرد كل فكرة في رأسها تفرع أبواب صمتها المدفون منذ حادثة اليخت. وما أن عبرت الحادثة في خيالها حتى شعرت بأن قلبها بات في جوفها، ثم عادت تمسح وجهها بقوة وعينيها وفمها ثم توقفت قليلاً ونظرت إلى المرأة بصمت.

هل يمكن للقفل على جسر الحب أن يفتح؟ وهل يمكن لمفتاح نوتردام أن يصحو ولو كان في قعر نهر السين؟ حدقت إلى عينيها بحثاً عن ذلك البريق الذي ذكرته العجوز... هل تراه؟ أم أنه مجرد لمعان المطر في الخارج.

كانت تنظر إلى المرأة حينما أدركت أنه لا يمكن لغير القدر أن يمنحها مفتاح الحب من جديد. فهل حقاً هو القدر أم أنها حيلة

ابتكرتها لتصنع لنفسها لحظة تغلفها بالقدر دون أن تشعر بذنب عقدة
أوديب اتجاه أمه إذا أحببت كريم؟

قاطع صوت كريم أفكارها المبعثرة حينما سعل قليلاً وهو يجلس
على الكرسي قبالة المدفأة: "يبدو أنك كنت شاردة الذهن لدرجة لم
تلحظي رجوعي".

قالت جوليا وهي ساهمة: "ها... ثم أكملت بصوت مرتبك
وهي متجهة نحو المطبخ ووجهها ملطخ ببعض آثار المكياج:
"سأحضر الشراب لقد نسيتته".

فقال كريم وهو يدفع يديه بصوت مستكين: "لا بأس
يا عزيزتي، أنا بدأت أشعر بالدفء هنا".

أخرجت جوليا الكوب بيدين مرتجفتين ما جعل الكوب يسقط
فينكسر، نهض كريم بسرعة اتجاهها محاولاً تفقد ما حدث وقال بنبرة
قلقة: "هل أنت بخير؟ هل أصبت بشيء؟".

فقالت وهي تلملم الزجاج المتناثر: "لا يا كريم لا شيء، فقط
كُسر الكوب. عد إلى مكانك لا بأس".

فجثى كريم أمامها وأخذ يلملم الزجاج المتناثر وقال:
"ما بك يا عزيزتي؟". ثم مد يده نحو يدها المرتجفة وقال: "أنت
ترتعشين". فقالت وهي تسحب يدها بقوة منه وقالت: "أنا بخير لا
تقلق".

وأخذت تلملم الزجاج بسرعة ما جعل قطعة كبيرة تجرح كفها
فسالت بضع قطرات من الدماء، فأمسك كريم يدها المجروحة وقال:
"جوليا اهدئي، ما بك؟ لقد جرحت نفسك وأنت تلملمين الزجاج،
اتركيه وتعالي إلى هنا، دعيني أعالج الجرح".

حدقت جوليا إلى كريم بعينين متألمتين: "وهل يمكن لكل الجروح أن تُعالج يا كريم؟".

حدق كريم إليها بهدوء وأخذ يساعدها على النهوض من أرض المطبخ وقال: "لا بد للجروح أن تلتئم يا جوليا".
"وماذا عن الندب؟".

"تبقى حتى لا تُنسينا الحدث بين الحين والآخر".
"إذاً الجروح لا تلتئم".
"جوليا..".

قاطعتها جوليا قائلة: "ما الذي يجعلني متأكدة تماماً بأن قلبي لا يزال حياً؟".

فأجابها كريم وهو يحدق إلى النافذة حيث حوض السباحة بات أكثر هدوءاً: "هذه اللحظة".
فقالت جوليا بعصبية: "ولم لا تكون هذه اللحظة مجرد كذبة صنعها الموت؟".

فقال كريم وهو لا يزال على وقفته دون أن ينظر إلى جوليا:
"لأن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي تجعلك تيقنين مفهوم فقدان".
كان كريم يعلم أن فقدان لو كان بلا قيمة لما كان للموت قيمة أيضاً، فالموت ليس مخيفاً كما يعتقد الناس ولكن ذكريات ما بعد الموت هي التي تنسل أرواحنا ببطء كنسيج مهترئ، نجتري فيه الألم بصمت بلا أي قدرة على إيقافه، لذا بات الموت يثير الخوف، لأن البشر يعلمون أن عواصف الألم بعد فقدان لن تنتهي إلا بالموت نفسه. لذا سيبقى الموت دوماً لغزاً يخيف البشر حتى وإن علم مكنونه وكُشفت حقائقه لهم، فوجع الذكرى أشد من الموت نفسه.

قالت جوليا بألم: "وكيف يمكن لي أن أغفر وأنا لست إلهاء؟! كيف يمكن لي أن أحبي قلبي من تحت الرماد فأنا لست عنقاء!". فاقترب كريم منها ومسح يده الباردة فوق وجنتها المشتعلة برفق وقال: "لا تنتظري جواباً، وأنا لن أنتظر قبولاً، دعي لقلبك الحكم يا جوليا حتى ولو بعد حين، فأنا حتى هذه اللحظة لست قديساً كما قلت لك، ولكنني أعلم تماماً أنني أحمل قلب إنسان!".

مسح لجوليا جرحها النازف ولفه بالضماد وما أن انتهى حتى اقترب ليقبل جبينها، ابتعدت قليلاً ولكنها عادت مكافها تاركة لقلبها التصرف. لم يكن هادئاً ولم يكن ينبض حباً بل كان ينبض فقط دون لغة تذكر فهمس كريم قائلاً: "اهدئي فما حدث لا يعني سوى أنك تملكين مساحة في قلبك".

سار كريم نحو المدفأة وهو يرتعش قليلاً وتوجهت جوليا نحو المطبخ محاولة للممة الزجاج المتبقي وبدأت بإعداد الشراب عندما رن هاتفها الخليوي ولم تكن على استعداد أبداً لسماح شيء أو التحدث عن أي شيء ولكن ما أن رأت اسم أشرف الكافوري حتى انتفضت، سكبت الشراب وقدمته لكريم الذي قال وهو يحقد إلى نيران المدفأة التي باتت أكثر اشتعالاً: "ألن تجيبي على الهاتف؟".

فقالت ببرود: "إنه أشرف". ثم أكملت "اشرب شرابك الآن ستشعر بالراحة".

تناولت الهاتف وقالت بنبرة هادئة: "أهلاً سيد أشرف" ثم أكملت وكريم ينصت لكل كلمة محاولاً ترجمة نبرات جوليا المتنقلة بين البرود واللامبالاة حتى قالت بصوت متحمس: "ماذا؟ غير ممكن، شكراً جزيلاً، وداعاً".

أقفلت جوليا الهاتف ورمته ثم اقتربت من النافذة محاولة عدم الاقتراب من كريم إلا أن ارتجافه أجبرها على أن تحضر بطانية صغيرة دايفة تضعها على الأريكة لتغطي بها أكتافه ثم ابتعدت وقالت بلا مبالاة: "أشرف أهدى موضوع الخبر وكذبه وسيتم بثه كخبر رئيسي على قناته وضمن الشريط الإخباري".

حقد كريم إلى المدفأة وأخذ يشرب كوب الأعشاب الساخنة أمامه بصمت وقال: "ذلك جيد" صمت قليلاً ثم قال: "ما دام الخبر قد كُذّب عليك الاستعداد للمؤتمر".

"عليّ كتابة الخطاب، إن احتجت لي أنا في المكتب، فقط نادي فأنا لن أغلق الباب".

غادرت جوليا بينما تتم كريم قائلاً: "ومتى ستفتحين أبواب قلبك النابض يا جوليا؟ ألم تسمعي حقاً نداءه اليوم؟ مهما كان النداء بعيد المدى لا بد لصداه أن يصل ولو بعد حين".

أمسك كريم الكأس المرتمية أمامه، تناولها دفعة واحدة وهو يحقد إلى اسم أشرف الكافوري الذي لا يزال على شاشة الهاتف الملقى بجانبه، أغلق الهاتف تلقائياً، صمت كريم قليلاً ثم توجه صاعداً باتجاه غرفته، تاركاً ذهنه يغرق في حوض السباحة هناك فهو ليس بحاجة لأرق يُدعى أشرف الآن!

ربما يا سقراط

كان أشرف يقف في الغرفة حيث تقبع أمامه الشاشات، بينما جلس أحد العاملين في القناة يستمع لملاحظاته المتتابعة فاقترب أشرف من الفيديو المعروض على شاشة الكمبيوتر الصغيرة أمامه مشيراً بإصبعه نحو الصورة قائلاً: "لا، اقطع هذا الجزء من الخبر فلا داعي للمبالغة، كل ما على القناة هو تفنيد الخبر الذي تداولته القنوات الأخرى".

فقال الشاب: "حسناً يا سيد أشرف ولكن هل ترغب بإضافة هذا الجزء؟".

فتناول السماعات ووضعها على أذنه متابعاً تفاصيل الخبر ثم أوما برأسه بنعم قائلاً "حسناً استمر على هذا النحو على أن يتم تفنيده ولكن بطريقة تتناسب مع الأسلوب الذي تم طرحه به سابقاً".

وما أن أكمل جملته حتى فتحت الباب إحدى العاملات في القناة قائلة: "سيد أشرف إن السيد رفعت وصل الآن طالبا لقاءك".
فقال أشرف بنبرة هادئة رغم دهشته: "حسناً إني آت".

وما أن أكمل جملته حتى كان في طريقه نحو مكتبه فتح الباب مسرعاً ثم قال: "مرحباً سيد رفعت، أهلاً بك. لقد فاجأتني ولم تخبرني مسبقاً بقدومك إلى القناة".

فقال رفعت الذي كانت ملامح العمر واضحة على معالم وجهه المجددة ويده المرتعشة: "وهل أنا بحاجة لموعد مسبق لزيارة قناتي يا أشرف".

فابتسم أشرف محاولاً قراءة سبب الزيارة في تقاسيم وجه رفعت الحادة: "بالطبع لا". ثم تناول سماعة الهاتف وقال: "أحضروا لنا فنجان قهوة بلا سكر".

فابتسم رفعت لتخف حدة معاملة الهرمة وقال: "ما زلت تعلم أنني أشرب القهوة بلا سكر يا أشرف".

فابتسم أشرف وهو يجلس قبالة: "بالطبع يا سيد رفعت". ثم عدل من جلسته وقال: "ولكن يبدو أنني لا أزال لا أستطيع قراءة صفحة وجهك الحادة تلك".

ابتسم رفعت بدوره قائلاً: "لكنك لا تزال تقرأ حدثها".

ضحك أشرف وقال: "بالتأكيد".

قال رفعت: "ما الذي يحصل يا أشرف؟ كيف يمكن لك أن تفند الخبر من خلال قناتنا؟". وما أن أكمل جملته حتى قاطعهما صوت الباب وهو يقرع، ليدخل المراسل حاملاً فنجانين من القهوة وعندما خرج ناول أشرف الفنجان لرفعت وقال: "سيتم طرح التنفيذ بطريقة تليق بمستوى القناة ومستوى الأحداث السياسية في المنطقة".
"ألن تفقد القناة مصداقيتها...؟".

"لا تقلق...". كان أشرف يعلم أن وجوده في الخبر يعني اهتزاز الصورة الحيادية للقناة أمام مشاهديها ولكن رغم ذلك أصر على تنفيذ الخبر من خلالهم لأنه أدرك أنه بهذه الطريقة بات يمتلك مفتاح الحزب الرئيسي.

هز رفعت رأسه ورشف فنجانه ببطء وقال بابتسامة باردة: "هذا يعني أنني سأرى خبراً يثير الضجة لاحقاً وليس مجرد خبر عابر". فقال أشرف مبتسماً: "هل كنت سأستحق إدارة القناة لو كانت أخباري عابرة؟".

فقال رفعت بهدوء: "وهل تعتقد أنك الإعلامي الوحيد القادر على إدارة القناة؟".

قال أشرف بنبرة واثقة وهو ينهض متوجهاً نحو النافذة محدقاً إلى الشوارع التي تعج بالحركة: "لست الوحيد القادر على إدارتها، ولكنني الوحيد القادر على رسم خارطة الحدث".

فحدق رفعت إليه من بعيد وأكمل رشف فنجانه بهدوء متمتماً بكلمات لم يسمعها أشرف الذي كان شارداً في العالم من حوله، حيث كانت الغيوم الرمادية تلتهم الشمس ببطء معلنة قدوم عاصفة ولكنها ما زالت في طور هدوئها!

استيقظت جوليا على صوت المنبه الذي رن مرات عديدة لتصحو بعد ليلة طويلة، لم تستطع عيناها أن تغفوا فيها إلا قبيل حلول الفجر بقليل. لم تكن تعلم أن للزمن لغته الخاصة هو أيضاً، فيحيي قلبها باستحياء كشعلة مهترئة من شعلات بائعة الكبريت في شوارع باريس المتمزقة، ويطفئه بلحظات مبعثرة تاركاً خلفه لوحات خفية ترسمها مخيلة امرأة لربما لا تزال تحلم بالعشق تماماً كبائعة الكبريت حينما كانت تحلم بالدفء! لم تكن تعلم أن الزمن سيخط لها مساراً جديداً فيحول فلسفتها النصية إلى واقع سياسي قد تحياه بنجاح مع

حزب والدها الذي لا يساير قناعاتها، ولا يرضي أبسط قواعد سقراط الذي تتلمذت على صفحات كتبه ومقولاته الشهيرة كتلك التي ستصبح إحدى القواعد المنسية بعد يومين:

"ليس من الضروري أن يكون كلامي مقبولاً، من الضروري أن يكون صادقاً".

سقراط

كانت تلك الأفكار تطرق رأس جوليا المنهك من التفكير، ما جعلها تشعر بألم في رقبتها وعضلاتها المشدودة بسبب نومها المتقطع فهي لم تكن تعلم كيف استطاعت أن تغفو بين هذا الكم الهائل من الأفكار المبعثرة بين كريم والحزب وأشرف! كانت تعتقد بأنه رجل يسعى فقط للشهرة بأي وسيلة ورغم نزاهة قناته إلا أنها قد تكون المشاهدة الوحيدة التي لا تؤمن بنزاهته! ولكن في أثير بيته سحر جعله يحترق أفكارها من جانب آخر غير الخبر الذي وعدّها بتفنيده!

وما أن تذكرت الخبر حتى هبت من سريرها مسرعة وتوجهت نحو الحمام محاولة أن تزيل إرهاق الأفكار المتراكمة بحمام بارد سريع ثم ارتدت ثيابها ونزلت بسرعة نحو الأسفل فوجدت كريم جالساً يحتسي عصير البرتقال بهدوء وقال بصوت آلي: "لا حاجة للاستعجال فخير التفنيد لن يتطأير".

حدقت جوليا إلى كريم الذي كان مزاجه معكراً على ما يبدو، إلا أنها لم تبال في هذه اللحظة بذلك ثم قالت بصوت متلهف وهي تقلب القنوات الإخبارية بسرعة: "هل ظهر الخبر على القناة؟".

أشار لها وهو يشرب كأس العصير دون أن يلتفت إليها نحو طاولة المطبخ حيث ألقى بهاتفه النقال فوقها وأشار بيده نحوه فقالت جوليا بنبرة متسائلة: "إلى ماذا تشير يا كريم؟".
رشف كريم كأسه بصمت ثم قال بنبرة باردة: "إنه في الواتس أب".

فسألت جوليا بدهشة: "ماذا؟! هل تم تناقله بهذه السرعة؟".
فقال كريم باستهتار: "لقد أرسلته لك فلتشاهديه".
قامت جوليا بتناول هاتف كريم النقال والضغط على الفيديو الذي كان قد تم فصله عن النشرة الإخبارية الرئيسية لتبدأ المذيعة خبرها قائلة:

"جوليا الريزوني وقصة حب جديدة!".
لقد كان هذا العنوان الرئيسي الذي تصدر معظم الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة في الآونة الأخيرة بسبب صورة تم التقاطها مصادفة للسيد أشرف الكافوري والسيدة جوليا الريزوني زوجة السيد كريم التلواني، فهل حقاً ما كان وراء الصورة هو قصة حب أم خير تُعتبر هذه الصورة توثيقاً له. ورغم صمت الطرفين وعدم تعليقهما بخصوص الصورة إلا أن السيد أشرف الكافوري اختصر تعليقه على الخبر من خلال صفحته الخاصة على موقع تويتر قائلاً:
"من خلال صورة وقصة حب عابرة، تكشف خبر من خلف الكواليس عن تعيين ابنة المرشح الأول للرئاسة في حزب التآلف الوطني بمنصب خاص يليق بها وهي لا تزال ابنة المرشح وليست ابنة الرئيس".
"فما هي توجهات الحزب؟ السلطة أم الوساطة! لنراقب المؤتمر الصحفي القادم بحثاً عن الإجابة".

شعرت جوليا بصدمة بعد سماع الخبر حاولت الضغط مرة ثانية على الفيديو إلا أنها شعرت ببعض الإهتاك وخاصة أنها لم تنم جيداً منذ البارحة.

كانت كلمات أشرف الكافوري تنخر عقلها بشدة مما جعلها تفقد توازنها بعض الشيء. لقد كان كم الأحداث الأخيرة أكبر من طاقة تحملها وما أن لمحها كريم حتى هبّ مسرعاً نحوها حاملاً إياها بين ذراعيه قبل أن تسقط وقال بصوتٍ قلق: "جوليا.. جوليا هل أنت بخير هل تسمعيني؟".

كان صوت كريم يبدو بعيداً بالنسبة لجوليا إلا أن وضعه لها على الأريكة ومحاولته لإيقاظها بوضع قطعة من القماش المبلل على وجهها جعلت جوليا ترى كريم بوضوح تدريجياً ثم سمعت صوته يقول: "جوليا حبيبي، هل أنت بخير؟ أرجوك تكلمي؟".

حدقت جوليا إليه بصمت، كانت دموعها تنساب فوق وجنتيها دون أن تدرك هل هي دموعها أم قطرات المياه التي يحاول كريم أن يوقظها بها؟! وما أن استيقظت حتى جلست على الأريكة فقال كريم بقلق: "جوليا لا تنهضي، فما زلت متعبة".

قالت جوليا بصوتٍ محتقن ورأسها مطرق بين يديها: "لست متعبة، بل منهكة....".

حدق كريم إليها قائلاً: "جوليا...".

قاطعته وهي تصرخ بعد أن نهضت محطمة كل ما أمامها من قطع أثاث وزينة: "دعوني وشأني، أنت وأبوك وخالي وحتى أبي والآن أشرف الكافوري؟!".

قال كريم وهو يحدق إليها بألم دون أن يحاول تهدئتها ليركها
تفرغ كل ما في داخلها من غضب: "جوليا، أرجوك اسمعيني".
قالت جوليا وهي تصرخ بصوت هيسيري: "لن أسمعك ولن
أسمع أحداً بعد اليوم... جميعكم ستستمعون لي أنا، وحدي فقط، إن
جوليا هي التي ستتكلّم وجميعكم ستنتصتون، لن أكون الناطق الرسمي
باسم الحزب فقط بل سأصبح الناطق الرسمي باسم الرئاسة واسم
الشعب، سأكون أنا الصوت الوحيد الذي يُسمع وجميعكم
ستصبحون أصدائي، أتفهم يا كريم؟".

لم يجادل كريم جوليا وهي في هذه الحالة وما أن هدأت قليلاً
وأنفاسها المتلاهثة بدأت تستقر، حتى توجهت نحو الدرج إلى غرفتها
وقالت: "كونك زوجي كان يمكن لك أن تخبرني بالخبر دون أن
تجعلني ألمح نظرة التشمّت في عينيك". صعدت جوليا إلى غرفتها
مسرعة رغم خطواتها المتعثرة وكانت تعلم بأنها ستلحق جراحها محاولة
النهوض من تحت الرماد ثانية.

نحن من صنعنا هذه الجوليا!

كان حاتم يجلس في مكتبه حينما فتحت ماجدة الباب مسرعة وقالت بصوت شبه غاضب: "شاهدت التقرير الإخباري يا حاتم؟". كان حاتم صامتاً وهي تتكلم فأوماً برأسه بنعم ثم عادت تقول بعصبية: "منذ متى وجوليا تسعى للسياسة أو مناصبها، ماذا يعني أشرف بهذا؟ هل هي مجرد إشاعات إعلامية أم أنها حقيقة؟". قال حاتم بشرود: "بل حقيقة يا ماجدة، جوليا قررت الانضمام للحزب منذ مدة وسيتم الإعلان عن انضمامها غداً في مؤتمري الصحفي".

صرخت ماجدة: "ما هذا الهراء؟ هل جئت هذه الفتاة؟ ماذا تعني بكل تصرفاتها الهائجة تلك؟ لقد ضجّت مواقع التواصل الاجتماعي بالخبر، خبر كهذا لن يثير المجتمع اتجاهها بل اتجاهي واتجاهك واتجاه الحزب وكافة الأوساط التي تحيطنا. لماذا تنضم للحزب وما شأنها هي بالسياسة؟".

قاطعها حاتم بعصبية: "كفى يا ماجدة اصمتي". جلست ماجدة أمامه على الكرسي بغضب: "ولماذا أصمت؟". فقال حاتم ببرود: "لأننا نحن من صنعنا هذه الجوليا الآن، أفهمت؟".

نهضت ماجدة من كرسيها بغضب وقالت: "إلى متى ستبقى ليلة
اليخت تلك العثرة التي ستلقي حوليا فيها تصرفاتها العابثة بحجة أنها
جريحة؟ أنا لا أرى مبرراً واحداً لجميع تصرفاتها الهائجة!".
فقاطعها حاتم غاضباً: "جوليا غير قادرة على تجاوز تلك
اللحظة".

قالت ماجدة وهي تنهض متوجهة خارج المكتب: "يبدو أن
هذه الفتاة تم تدليلها بطريقة خاطئة وإن كان قد مر الوقت على ذلك
إلا أنه لا بد من تصحيح الخطأ".

طرقت ماجدة الباب دون أن تنتظر تعليق حاتم على كلماتها وما
أن خرجت حتى رن هاتفه الخليوي ليحيب على عارف "... نعم
شاهدت الفيديو، بالطبع لا، هل جننت يا عارف هل تعتقد أنني من
الممكن أن أفعل ذلك؟".

فأجاب عارف على الطرف الثاني من المكالمة: "من إذن يا حاتم،
وكيف يمكن لخبر كهذا أن يتفشى بهذه السهولة، إنه خبر في قمة
السرية بالنسبة للحزب وأنت تعلم جيداً أن منصب جوليا قد تم
الموافقة عليه على مريض، أما الآن وبعد أن أعلن أشرف جزءاً منه
بهذه البساطة فهذا إن دلّ على شيء دلّ على هشاشة الحزب".

قال حاتم بشروء: "هذا هو ما جعلني أفاجأً بالتهريدة التي كتبها،
لقد قالت لي جوليا إن أشرف كلمها بالأمس وأخبرها أنه سيعمل
على إنكار الصورة والخبر المتعلق بها، ولكن لم أكن أعلم أن إنكاره
للمصورة سيكون بتفجير خبر كهذا".

قال عارف كمن يفكر بصوت عالٍ: "كيف يمكن لأشرف أن
يعرف خبراً كهذا؟ وهل هو يعرف حقاً أم أنه مجرد حدس صحفي

ليكسب السبق قبل المؤتمر لأنه لم يعلن عن طبيعة المنصب وكان كلامه مبهماً؟!".

كان عارف يسير في أرجاء البيت وهو يتحدث إلى حاتم وأخذ يمرر أصابعه فوق ذقنه ساهماً حين قال: "سنرى فلا بد لكل الأمور أن تتكشف في الوقت المناسب، ولكن علينا الحذر من أشرف فهو يسعى جاهداً لإسقاط الحزب أمام الشعب، أعتقد أن معرفتنا حالياً باتت مع أشرف وليس منافسك يا حاتم".

صمت حاتم ولم يجب ثم قال: "سنرى فلكل حادثٍ حديث يا عارف، وداعاً الآن".

أقفل حاتم الهاتف ثم أخذ يبحث عن اسم جوليا ليتصل بها، تراجع قليلاً ولكنه اتصل في النهاية. كان صوت جوليا على الطرف الثاني يجيب مهدوء: "أبي صباح الخير...".

حاتم قال لها بصوت بارد: "هل شاهدت الفيديو؟".

أجابت جوليا برود: "نعم" صمتت قليلاً ثم أكملت: "أنا من أخبر أشرف بالخبر وأنا من سيحل المشكلة، لذا أرجو منك يا أبي ألا تتناقش بالأمر الآن".

أجأها حاتم برود: "كنت أعلم، لن أناقشك يا جوليا فيبدو أن مساحة النقاش بيننا غابت تفاصيلها ولكن..". صمتت برهة ثم أكملت قائلاً: "أنت لا تسيرين في المضمار وحدك جوليا، فاحذري من خطأكِ المبتدئة فلا وجود للساقطين بيننا".

قالت جوليا بصوت هادئ: "أبي...".

قاطعها حاتم قائلاً: "اعذريني، كلمة ابنتي تذوب في حنايا فمي، دوماً بسعادة لكن منذ مدة وأنا أبحث عن ابنتي فإن وجدتها أخبريني،

سأتي لاحتضنها وأقول لها ساحبيني إن جعلتك ثمناً لأكذوبة لا تساوي شيئاً فالإنسان أعلى من الرئاسة يا ابنتي".

قالت جوليا بصوت متألم ودموعها تسقط فوق وجنتيها دون أن تشعر: "أبي...". ولكن كان حاتم قد أقفل الخيط دون أن يسمع كلمتها الأخيرة.

كانت جوليا تنزل الدرجات ببطء حين وجدت كريم يرتدي ثيابه مستعداً للخروج هو أيضاً فقالت وهي تلف الشال حول عنقها: "ارتدي سترة ثقيلة فأنت لا تزال متعباً".

أجابها كريم وهو يتوجه نحو الباب ثم التفت محدقاً إليها: "لا تقلقي، أنت أيضاً انتبهي فالجو بارد".

لملمت جوليا نفسها فجأة حينما وجدت كريم يحديق إليها طويلاً وهو ساهم كمن يجول بباله أفكار متعددة وشعرت لوهلة أنها تقرأ أفكاره حتى وإن كانت صامتة فأشاحت بوجهها وقالت: "ما بك؟".

فاقترب كريم منها ووضع يده فوق عنقها محاولاً ترتيب الوشاح الذي لفته ببعثة مما جعل جوليا تقف دون حراك ولكنها لم تقاوم، للمرة الأولى لم ترغب بمقاومة دفء كريم وما أن اقتربت يده من عنقها حتى ارتعشت وابتعدت قليلاً فرتب كريم الوشاح بسرعة ثم قال: "انتبهي لنفسك أينما كانت وجهتك هذه اللحظة، فهناك قلب في انتظارك يا جوليا".

توجه كريم نحو الباب ليخرج وما أن فتحه حتى وجد السيدة ماجدة تقف أمام الباب وملاحظها لا توحى بالطمأنينة فقال كريم مرحباً: "خالتي تفضلني، أهلاً بك".

دخلت ماجدة وهي تلخع معطفها قائلة: "يبدو أنكما تستعدان للخروج".

فكان كريم سيحيب حينما قاطعته جوليا ببرود: "نعم".
عندها قالت ماجدة: "لا بأس يمكن لكريم الذهاب أما أنت فعلينا أن نتكلم قليلاً".

فقالت جوليا: "أمي أنا من يجب أن تغادر وليس كريم".
أجابتها ماجدة وهي تجلس بعد أن علقت معطفها الجلدي وجلست على الأريكة قائلة: "يمكن لك أن تقدمي لي فنجان قهوة فلا أمانع في هذا البرد من ذلك".

خرج كريم وهو يتسهم لماجدة بعد أن وجد أن المكان بات مشحوناً أكثر من اللازم وغادر مغلقاً الباب خلفه. أما جوليا فتوجهت نحو المطبخ لتُحضّر فنجان القهوة وهي تحمل حقيبتها وقالت: "حسناً سأحضر لك القهوة الآن".

فقالت ماجدة ببرود: "وهل ستحضرينها وأنت تحملين حقيبتك؟ اجلسي فأنا لم آتٍ لأعادر لحظة وصولي!".

قالت جوليا بصوت غاضب: "وهل تعتقدين أنني أملك الوقت الكافي؟ أمي لدي ما يكفيني هذا اليوم من مشاكل فلسفت بحاجة لسماع المزيد".

نهضت ماجدة، وتوجهت نحو جوليا وأدارتها نحوها بقوة ثم خلعت الحقيبة عن كتفها وقالت بغضب: "مهما كبرتِ عليكِ أن تعلمي أنني والدتك ولي حق عليكِ حتى وإن قررت إغائه".

حدقت جوليا إلى أمها وملامح الصدمة لا تفارق وجهها وقالت: "أمي ما بك؟".

فصرخت ماجدة في وجه جوليا: "أنت التي يجب أن تجيبي على هذا السؤال". صمتت ثم قالت بعد أن أخذت نفساً عميقاً: "ما الذي يحصل لك يا جوليا؟".

فقالت جوليا ببرود وهي تبعد يد أمها عن ذراعها لتتجه نحو جهاز القهوة: "ما الذي يحصل؟".

قالت ماجدة بنبرة عصبية: "تنضمين للحزب وما الذي يحصل؟ هل تعتقدين بأني لا أعلم بأنك وكريم حتى هذه اللحظة لم تلامس يدا أحدكما يدي الطرف الآخر؟!".

فأجابتها جوليا بوقاحة: "وهل تعتقدين أنه يهمني أنك تدركين ذلك؟".

فقالت ماجدة: "هل تعاقبين نفسك أم تعاقبين من حولك. بما تفعلين يا جوليا؟ هل حادثة البيخت كانت حقاً زلزالاً كما تدعين أم أنك من تبحنين عن الزلزال لتبرري تصرفاتك؟". هبت جوليا لمقاطعة والدتها فلم تعطها ماجدة مجالاً للكلام وأكملت قائلة: "ما الذي تريدن أن تثبتيه بتصرفاتك الهوجاء تلك؟ وما هو الخطأ العظيم الذي ارتكبه كريم ليلة البيخت؟".

قالت جوليا وهي تحاول أن تسيطر على صوتها الذي بدأ بالارتجاف: "آه، نسيت أنك خريجة السوربون وفي باريس كل شيء عادي".

لم تتمالك ماجدة نفسها فصنعت جوليا على وجهها وقالت: "السوربون للأسف أرقى الجامعات العالمية علّمتني الأدب والحقوق ولكنها لم تعلّمني كيف أتقن تربية ابنتي الوحيدة".

فصرخت جوليا بهستيرية: "بل لم تعلّمك الحقوق، يا خريجة الحقوق، بأنه حينما أتزوج منه، بعد أن توصلت إليه كمومس في زقاق قدر أن يكف عمّا يفعل، ويستمر بمحجية حتى يغمى علي بثوبي الساحر الممزق، أكون قد فقدت كل حقوقي!".

كانت دموع ماجدة تسع وجنتيها وهي تسمع الألم الذي يمزق روح ابنتها عبر كلماتها الثائرة فاقتربت منها قليلاً فدفعتها جوليا لتبعدها عنها ما جعل فجان القهوة يسقط في الحوض وقالت بعصبية "ابتعدي عني ولا تمارسي دور الأمومة فأنت كنت أول الجلادين يا أمي".

فغرت ماجدة فاهها ورغم رغبتها بالكلام إلا أنها شعرت بأن فيها كهف مهجور لا تستطيع النطق بأي كلمة من خلاله وكأن صوتها قد اغتيل فجأة. نظرت إلى جوليا بصمت وعيناها ممزوجتان بالألم والشجن لأنها عرفت الآن ماذا كان يقصد حاتم حينما قال: "نحن من صنعنا هذه الجوليا". حملت معطفها وارتدته وفتحت الباب ما جعل الهواء البارد يعصف فوق وجهها المحترق من كلمات ابنتها الممزقة وقالت وهي على أعتاب الباب: "ورغم كل ذلك تبقين ابنتي يا جوليا، فالخزب محيط ترين في هدوئه جاذبية تغريك ولكن عمقه هو سبب هدوء أمواجه وليس جماله، فاحذري".

خرجت ماجدة وأقفلت الباب خلفها مدركة أنها ودعت ابنتها منذ ليلة زفافها ولكنها كانت تحاول جاهدة طيلة الأشهر الماضية إقناع نفسها أنها لا تزال تلك الطفلة التي حلمت بما عروساً بثوبها الأبيض ليس إلا!

بين السطور

كان أشرف يمدق إلى الشاشة القابعة أمامه في مكتبه المطل على قلب المدينة النابض بالحياة، ويتابع تطورات الأحداث من بعيد، شعر بأن صفحة المدينة الممتدة أمامه ضئيلة كضالة الحروف المطبوعة فوق الشريط الإخباري المار أسفل الشاشة، حيث كانت الشوارع تضج بخطوات السائرين على الدروب المتناثرة تعكس مدى تشابك الأرواح في الظروف التي أخذت تمتص أعمارهم برفق دون أن يخافوا من فقدان اللذة. فهم حتى هذه اللحظة لم يكونوا يدركون أن للعمر محطة أخيرة مفاجئة قد تحدث معلنة نهاية الكون!

لا يزال يقف ويمدق طويلاً حينما سمع صوت الصفير المنطلق من كومبيوتره النقال الموضوع على سطح مكتبه الأسود الحديث والذي يتناسب مع منصبه كمدير لقناة المتحدة الإخبارية وتكنولوجيا العصر الحالي ويتناقض مع عشقه الدائم لخطوط التعتيق التي كانت واضحة في خاتمه الفضي الذي قدمته له والدته يوم إعلان تنصيبه مديراً للقناة قائلة: "الحياة يا ولدي كالحلقة المفرغة، ندور حولها وليست هي من تدور حولنا، عقارب الساعة توهمنا بأنها هي الفلك الدائر ولكن نبقى نحن الطائفين، فالطواف ليس مجرد طقس عبادة، الطواف حالة من الدوران الحي للحقيقة والتي تتمثل بأن كل ما في

الكون هو عبارة عن حالة من الطواف في حلقة مفرغة يؤول مآلها النهائي إلى بارتها، فلا تنسَ الكون وحلقته المفرغة ولا تجعله يطوقك بدورانه الوهمي، بل أنت طوقه واعلم أن طوافك النهائي سيكون، ولا بد أن يكون في لحظة ما بلا استئذان".

أدار أشرف خاتمه المعتق في إصبعه ثم توجه نحو الشاشة التي كانت ترن كل ثانية معلنة ظهور نتائج ارتفاع نسبة المشاهدات للقناة بعد التغريدة التي طرحها في صفحته الخاصة، فقد باتت القناة تلاحظ ارتفاعا نسبيا وملحوظا في نسبة المشاهدين والمتابعين لأخبار القناة وتقاريرها وخاصة تقريره الأخير في صفحات التواصل الاجتماعي. وما أن أخذ يجوب بين أفكاره حتى قاطعه رنين هاتف المكتب وقالت السكرتيرة على الطرف الثاني "إن إحصائيات نيلسن تظهر تصدرنا لنسب المشاهدة" ابتسم أشرف وقال: "هذا جيد" وما أن أكمل جملته الأخيرة حتى سمع صوت نقاش حاد في مكتب السكرتيرة جعله يقفل السماع ليتوجه نحو باب مكتبه محاولاً معرفة ما يحصل وما أن فتح الباب حتى وجد جوليا تقف أمامه بعينيها الداكنتين وبريق محترق، نيرانه التهمت نظراته قبل أن يحدق إليها.

"إن مؤشر مشاهدات قناتك يزداد يا سيد أشرف ولكن للأسف مؤشرات أخرى كثيرة تماوت لتسقط تحت حافة الصفر!" قالت جوليا بنبرة متحدية وهي تحدق إلى عيني أشرف اللتين شعرت بأهما تكادان تحترقان دماغها لا جسدها فقط!

فقال السكرتيرة بارتباك: "سيدي لقد حاولت...." قاطعها أشرف مشيراً لها بالخروج مبتسماً وقال: "لا بأس إنها صديقة وليست ضيفة، لتدخل يا رويدا".

فانصرفت رويدا بحدوء وأغلقت باب المكتب وراءها وهي تتمتم بصمت: "صديقة! وما فحوى التقرير الإخباري إذاً إذا كانت ابنة المرشح الأول للرئاسة صديقة!".

أشار أشرف جوليا بالجلوس، ولكنها رفضت مما اضطره للجلوس خلف مكتبه قائلاً: "هل ستحدث وأنت تقفين هكذا؟". قالت جوليا بعصبية وهي تضرب يدها على المكتب الزجاجي: "أنا لم آتٍ للحديث".

فاقتربت أشرف من المكتب وهو يضم يديه إلى صدره قائلاً: "ولماذا جئت إذن؟ لتبثت قصة الحب بدلاً من عضوية الحزب". كتمت جوليا مشاعر الدهشة التي كادت أن تعتلي ملامحها لوقاحة رده وقالت: "إن من تمتلك كريم التلواني في حياتها زوجاً لا تحتاج إلى حبيب آخر". فنهض أشرف من مكتبه وهو يحرك خاتمه في أصبعه ويديره ثم اقترب منها قائلاً: "ربما".

فقالت جوليا وهي تجلس على الكرسي بعد أن بدأت أنفاسها تهدأ وقالت: "دعك من زواجي الآن فهو ليس من شأنك". ثم صمتت برهة وأكملت دون أن تتيح له فرصة التعليق على كلامها "ولنناقش وصوليتك التي دفعتك لاستغلال ثقتي بك". عقدت رجليها ثم استرخت في المقعد.

فأجاب أشرف: "أنت من قرر بناء هذه الثقة لذا أنت من عليه أن يقيمها!".

فاقتربت جوليا منه والطاولة الصغيرة تفصل بينهما وقالت: "هل ستمارس التلاعب بالكلمات عليّ أنا أيضاً يا أشرف الكافوري؟".

"لماذا أنت غاضبة من الفيديو الذي تم تداوله؟ ألم أنفذ ما وعدتك به؟".

نهضت جوليا وسارت نحو النافذة المطلة على المدينة والتي بدت صغيرة جداً من مكتبه العالي وقالت وهي تحاول ضبط أعصابها: "هل حقاً نفذت ما وعدتني به؟".

فقال أشرف وهو جالس وظهره لها في الكرسي الجلدي: "أنا وعدتك بتفنييد الخبر وقد فعلت".

"لم أكن أعلم أنك ستفنده بهذا الدهاء يا سيد أشرف".
فاقترب أشرف منها وقال: "ألم تلغ الألقاب منذ قليل فلم استرجعتها الآن؟".

فقال جوليا بصوت هادئ مخيف: "لأنك لا تستحق أكثر من لقب، فهذه هي وظيفتك منذ صغرك، بريق اللقب". راقبت جوليا خلجات وجه أشرف التي توترت بعد كلمتها الأخيرة ثم أكملت "رغم الأنتيك وقيمه العالية، إلا أن ليس كل الأنتيك يستحق المزايدة فالأنتيك جماله ليس بعنق غلافه بل بعنق خدوشه".

كانت جوليا تجوب في أرجاء المكتب الفاخر الكبير ذي المساحة الواسعة والمؤلف من طاولة مستديرة للاجتماعات الصغيرة ذات ستة كراس خشبية، ومكتبة تم وضع بعض الكتب والمؤلفات فيها، ومكتب زجاجي ذي قواعد معدنية سوداء خلفه كرسي جلدي ضخم وأمامه شاشة جهاز الحاسوب النقال وبضع أوراق وأقلام جاهزة لسطر أي خبر تخطها يده في لحظات لترفع أسماء وتُسقط أخرى بجرة قلم، ثم يتم بثها على شاشة قناته. ورغم كل ذلك بقي للأنتيك أثر بسيط في مكتبه الذي يختلف تماماً عن منزله العتيق من

خلال إطار صغير معتق قديم يضم صورة له ولوالدته وضعت بجانب الهاتف لتترك لمسة روح أشرف العتيقة في المكان. أشارت بيدها وهي تجوب قائلة: "رغم كل تلك الجوائز والمناصب التي تزين مكتبك إلا أنك إعلامي غير نزيه وصولي يسعى للخبر كناشئ مبتدئ" حدقت إليه بنظرة لا تخلو من الشفقة وقالت "أحقاً يا أشرف الكافوري ما زلت تستجدي الحدث؟".

فقال أشرف بهدوء: "أنت من سعت ورائي لمعرفة تعيينك كناطق رسمي باسم الحزب لتحصلي على فرقة إعلامية تليق بدخولك لمنصب لا يعني للحزب شيئاً سوى إرضاء ابنة المرشح الأول للرئاسة".

حدقت جوليا إليه بغضب من بعيد وقالت: "هل تعتقد بأن منصبني في الحزب سطحي إلى هذه الدرجة؟ وإن كان كذلك لماذا إذن أضفته إلى تقريرك الإخباري المنقح؟!".

ضحك أشرف وقال: "لا أعتقد أن الحزب قلق بوجود ناطق رسمي مثلك يا جوليا، على العكس فوجودك ثغرة للحزب".
"وجودي يعني أنني أنا من سيطلق التصريحات من الآن فصاعداً".

فابتسم أشرف وهو يجلس على الكرسي الجلدي قبالتها: "هذا إن تركك الحزب تطلقين التصاريح دون مراجعة خطاباتك فحزب سياسي كحزب والدك معروف بأعضائه وحنكتهم السياسية لن يسمح بوجود ثغرة حتى من الرئيس نفسه تسقط الحزب".

اقتربت جوليا وجلست قبالته وقالت: "لم آت لأفتعك بقوة منصبني في الحزب، ولكن لتعلم أن حدود الثقة بيننا قد تلاشت".

فحدق أشرف إليها باستهجان وقال: "دعينا من هذه المهارات فكلانا يعلم بأن الخبر يخدمنا نحن الاثنين".

قالت جوليا باستهتار: "وكيف ذلك؟".

"التقرير ليس مجرد تنفيذ خبر بقدر ما هو ترويج إعلامي لحملة والدك العزيزة رغم تحفظاتي الكبيرة عليها، ولكن بأسلوب يثير فضول المشاهد، ما سيجعل جميع أطراف الشعب من كان مهتماً أو غير مهتم يسعى لسماع خطابك الأول".

نهض أشرف من مكتبه، وتوجه نحو شاشة الحاسوب، وأشار إلى جوليا بالاقتراب، ثم فتح صفحة تغريدته وقال مشيراً إليها: "انظري... كم تم تبادل هذه التغريدة بين المشاهدين. لقد وصلت حتى الآن إلى ما يقارب نصف مليون مشاهد والتقرير لم يمضِ على إعلانه سوى بضع ساعات".

حدقت جوليا إليه بصمت دون تعليق ثم قالت ببطء: "ولكن...".

قال أشرف بحزم: "لست غاضباً لمهاجمتك لي والتشكيك في نزاهتي، فأنت ما زلتِ تحطين أعتاب السياسة يا جوليا ولكن عليك أن تعلمي...". ثم أشار نحو قلبها وقال: "في السياسة لا مساحة لنبض هذا العضو القابع خلف ضلوعك هناك، تستطيعين المواجهة كيفما تشائين، ولكن اتركي النبضات على أعتاب بيتك حينما تنطلقين في بداية رحلتك السياسية ما دام هذا قرارك!".

صمتت جوليا قليلاً، ثم قالت وهي تنسحب من مكتب أشرف متوجهة نحو الباب: "وأنت حاول أن تجد أسئلة تليق بمستوى خطابي، فالقلب أحياناً يخط كلمات تفوق ما يُخط بين السطور".

حدق أشرف إليها وهي تتوجه نحو الباب، ووجد في خطواتها مشية فتاة متوازنة بتهور، لكنها جذابة ثم قال: "عندها عليك أن تحذري من مواجهتي في المؤتمر يا جوليا، فلا يزال في جعبتي الكثير، وعليك أن تثبتي لي يوماً أنك انضمت بإرادة الحزب لا رغماً عنهم، لربما لأسباب مجهولة لا يعرفها إلا أنت وكريم!".

اتجهت نحو الباب، ثم استدارت بسرعة وقالت: "شكراً لك، على ما بين سطور الخبر، ولكن في المرة القادمة احرص على أن تكون كل الأحداث فوق السطور، فليس كل الشعب أشرف الكافوري، وربما كل القراء جوليا الريزوني". قالت جوليا ذلك بعد أن أدركت تماماً أن الثقة لا يبنها القدر بل تبنها الأفعال.

سارت خارجة من المكتب، ليبقى أشرف تحت تأثير سحر كلماتها الأخيرة، فهو يعلم جيداً أن جوليا تحمل في حناياها لغزاً كبيراً، يشبه تماماً ذلك السحر الذي يغلفها حينما تكون حاضرة ويغزو بريق عينيها عند الكلام، فهل حقاً لا يزال يسعى وراء الخبر أم أنه بات يسعى وراء جوليا؟!

سفينة تقودها الظروف

حدق أعضاء الحزب - الذين كانوا يتحلقون حول الطاولة، وقد ارتسمت على ملامح بعضهم علامات الغضب والبعض الآخر الدهشة بينما كان الآخرون بلا ملامح تذكر - إلى شاشة التلفاز حيث كانت المذيعة تتناقش مع زميلها بطريقة ودية عبر البرنامج قائلة: "على هامش التغريدة التي كتبها السيد أشرف الكافوري في صفحة التويتر الخاصة به، أبدى الحزب الحاكم من خلال تصريحات بعض أعضائه أن مناصب الدولة لا يمكن لها أن تكون حكرًا على أبناء الأعضاء الحزبيين بعيداً عن الشعوب ما يجعل السؤال المطروح الآن، هل حقاً ابنة المرشح الأول للرئاسة ستكون عضواً في الحزب؟".

فأجاب زميلها في البرنامج: "وما الضير من تواجد عضو جديد في الحزب؟ لِمَ نسعى دوماً لتحويل الأمور؟".

فابتسمت المذيعة: "ألا تعتقد أن انضمامها من الآن يجعلنا نتكهن ما الذي يمكن أن يحصل لاحقاً؟!". ابتسمت المذيعة، ضحكت ثم أكملت: "أليس مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة، يبدو في أحزابنا مشوار الألف ميل يبدأ بالألف ميل مباشرة". تبسمت المذيعة، وأغلق العضو التلفاز قبل أن يكمل المذيعان الحوار على الشاشة. قال حكمت بنيرة هادئة: "لِمَ كل هذا القلق من أجل خير صغير تناولته

الصحف اليوم؟ وما المشكلة في أن يتم إظهار خبر مستتر عن وجود عضو جديد في الحزب؟! " سار نحو كرسيه الخاص به حول الطاولة المستديرة وجلس.

أمسك أحد أعضاء الحزب الريموت كترول الخاص بالتلفاز وأقفل الشاشة، والغضب بدأت تزداد تفاصيله على وجه البعض، وقال بنبرة عصبية: "أعتقد أن قلقنا نوع من المبالغة يا حكمت؟!".

فقاطعه أحد الأعضاء الجالسين وقال: "إن تسرب الخبر بهذه الصورة يدل على هشاشة الحزب، وفرصة استطاع الحزب الحاكم اقتناصها، لذا بات الأمر يحتاج إلى وقفة لمراجعة أسماء المنضمين للحزب ومعرفة ما يحدث خلف كواليسنا".

حقد حاتم إلى الجميع بشرود، فماذا عساه يفعل إذا كانت جوليا هي من أخبر أشرف الكافوري بالخبر؟ وهي من أحدث هذه البلبلة في وقت لا يتناسب أبداً مع الظروف الحالية للحزب، وفي ظل أحداث المقاومة التي باتت تزداد حدة يوماً بعد يوم، وأصبحت تززع موقف الحزب السياسي أمام الشعب لرفضه التام لمناهضة المقاومة، ودعمها كخط دفاع رئيسي للمنطقة ساعية للمطالبة بأبسط حقوقها كشعب حي وليس بالضرورة حراً! وفجأة قاطعه صوت ضربة أحد أعضاء الحزب على الطاولة حين قال بصوت مزقه الغضب: "ماذا تعني؟ أتشكك بأعضاء الحزب؟ هل جننت؟ نحن هنا نسير على درب واحد وإن سقط أحدنا سقطنا جميعاً، فهذه ليست سفينة يقودها ربان، بل سفينة تقودها الظروف، وإن توقف أحدنا عن التجذيف جرفنا التيار إلى حيث لا ندرى".

فقطعه عارف وقال متسائلاً: "ولم غضبت؟ هل وجه لك أي واحد منا نوعاً من أنواع الاتهام المبطن أم أن هناك ما علينا معرفته لتبرير حجم التوتر الذي بات واضحاً في كلماتك وصوتك؟!"

حدق حكمت إلى الجميع وهم يتناوشون الكلام ويتقاذفونه، بينما كان حاتم قابعاً بصمت في كرسيه فقال حكمت بصوت عالٍ أجبر الجميع على السكوت: "لعل في هدوء حاتم الجواب لسؤالك يا عارف". ثم سار باتجاه حاتم الذي استطاع أن يكتم توتره الذي كاد يمزقه من الداخل، حين وضع حكمت يديه فوق كتفيه واقترب منه فأجابه حاتم بهدوء: "ولم تعتقد أنني أحمل الجواب يا حكمت؟".

فاستدار عارف باتجاه حكمت وقال: "حكمت لا تنسى أنني رئيس الحزب، إن كان لفحوى كلامك تلميح مبطن عليك أن تقوم بإعلانه أمام الجميع" فابتسم حكمت وتوجه نحو كرسيه وقال: "وهل للنسب بينكما سبب للدفاع هذا يا رئيس حزبي الموقر؟".

فأجابه عارف بعد أن هض وجلس على رأس الطاولة كنوع من التأكيد على منصبه: "بل محاولة مني لإبعادك عن مهزلة التهديد التي تستخدمها بأسلوب لا يليق بأي عضو من أعضاء الحزب فما بالك برئيس الدولة القادم!"

جلس حكمت على الكرسي المجاور لعارف وقال: "ربما كنا بحاجة إلى الفرقة الإعلامية دوماً، ولكن تسريب الخبر يعتبر ثغرة لا يمكن التغاضي عنها في الحزب وهذا ما أؤيده أنا أيضاً مع الأعضاء، كان من الممكن تأجيل إعلان تنصيبها لوقت آخر، أما الآن فبات من الضروري عدم تكذيب الخبر للحفاظ على مصداقية الحزب، نحن جميعاً أعضاء منذ قرابة العشرين عاماً أو أكثر، وتسريب خبر كهذا لن

بمنحنا أي جديد، ولكنه سيمنح جوليا خطوة جديدة نحو طريقها السياسي المبتدئ". صمت عارف قليلاً، ثم قال بعد أن هز رأسه كمن يحاول طرد فكرة استقرت في ذهن حكمت فوراً: "ما يمكن استغلاله الآن هو طبيعة الخبر الذي يمكن أن يصبح سلاحاً ذا حدين إعلامياً، فلربما يساعد الحملة الانتخابية، ويدعمها وربما لا، فهذا أيضاً يعتمد على العضو الجديد وتصريحاته، ألا وهي جوليا، وجميعنا نعرف من هي جوليا".

ابتسم حكمت وقال: "ولمَ القلق ما دمنا جميعاً نعرف جوليا؟". فهب أحد الأعضاء واقفاً وقال بعصبية: "إذا كنت تملك جواباً لسؤال واحد وهو: من أخبر أشرف الكافوري بالخبر؟ فعليك أن تجيب فوراً يا حكمت".

صمت حكمت، وبدا جو المقر مشحوناً أكثر بكلمات العضو التي خيم بعدها الصمت على الجميع، وأصبح التوتر يظهر تدريجياً على صفحة وجه حاتم، التي بدأت خلجات وجهه تتحرك بطريقة لا إرادية، ولكنه حافظ على صمته، وما أن تملل حكمت محاولاً النهوض ليقف أمام الحزب كمن يسعى لإلقاء خطاب، حتى فتح باب مقر الحزب على مصراعيه، ومزق صوت جوليا صمت المكان المشحون حين قالت بصوت ثابت: "أنا من أخبر أشرف الكافوري بالخبر".

أطياف حزب

كان أعضاء الحزب تحت تأثير صدمة كلمات جوليا التي رنت في قلب المقر، مخلفة وراءها سكوناً مخيفاً، امتزج بصوت الباب الذي أقفلته ببطء، متجهة نحو رأس الطاولة حيث يجلس عارف، وتناولت الكرسي الذي بجانبه، وجلست دون أن تنتظر قراءة رد فعل أي عضو منهم، حتى حكمت الذي هربت الكلمات من فمه بلا عودة فجأة! فدخولها المفاجئ لم يكن في حسبانها أبداً، ولم يكن يعلم، رغم معرفته بتهورها وجرأتها، أنها ستأتي لتعلن الخبر أمام الجميع وبهذه البساطة.

حذق عارف إليها كاسراً لحظة الصمت التي غلفت المكان بنوع من الرهبة والغضب، وقال بصوت بارد: "أي خطوة جريئة تلك التي تجعلك تعلنين الخبر بكل برود واستهتار هكذا؟".

فقال جوليا وهي تبتسم وتشرّب رشفة ماء من الكأس الموضوعة أمامها على الطاولة: "لقد جئت حتى أزيل حالة الشك التي طالت جميع الأعضاء حتى يتم تشكّون في أنفسكم، فكل واحد منكم يحمل درعه أمامه، وهو مدرك تماماً أن ظهره عارٍ لمن خلفه، فأى حزب هذا الذي تتمسكون فيه؟".

فقال عارف بعصبية: "كيف تعتقدون أن الحزب يسمح لك بالإعلان عن خير كهذا دون الرجوع إليه؟".

فنهضت جوليا وقالت: "لأنني أنا من سأقول وأنتم من ستستمعون بعد اليوم يا عمي". ثم اقتربت هامسة وقالت لعارف: "ولا داعي لاستخدام أسلوب التهديد المهش لأنني سأضطر لكشف أوراقني".

فصرخ عارف وهو ينهض عن كرسيه قائلاً: "لا يمكن لأوراقك أن تهز الحزب ومصداقيته".

كان الغضب يرسم على وجوه الجميع عدا حاتم الذي كان يحدق إلى ابنته لا يدري بفخر أم بغضب، لكن شعوراً من السعادة تسلل إليه حينما سمعها تقول: "وجودي في الحزب ليس لأنني أحمل أوراقاً فقط، بل لأنكم تعلمون جيداً أن الحزب بات بحاجة إلى دماء جديدة، إن إخباري لأشرف جعل نصف الشعب إن لم يكن كله يتابع مؤتمرهم القادم، لقد بات من الضروري أن يدير الشباب عجلة الإعلام في حزبكم".

سارت قليلاً، وقبل أن تفتح باب المقر لتغادر، قالت وهي تستدير نحو حكمت: "إن كان هناك من موضوع يستحق المناقشة فأعتقد أنه عليكم أن تتساءلوا من أرسل المصور؟ وبهذا التوقيت بالذات؟". وما أن أكملت جملتها الأخيرة حتى خرجت وأقفلت باب المقر وراءها، والجميع سقط في حالة من الصمت الساكن، عدا حاتم الذي ارتسمت على شفثيه ابتسامة رغماً عنه، وحكمت الذي كان يتبع خطوات جوليا وأصدائها في ممرات الحزب، محاولاً معرفة ما كانت ترمي إليه بجملتها الأخيرة، ونظراتها التي كانت تحترق كل ذرة فيه وهي تتكلم. فهل كانت تحمل في جعبتها مزيداً من المفاجآت التي ستمزق الحزب من جديد؟!

لحظات عارية

فتح كريم الباب ليرى جوليا تقف بجانبه تخلع معطفها المبتل بالمطر وقال: "ماذا تفعلين يا جوليا؟".
"حينما أكون قد وصلت للتو فماذا سأفعل إلا أن أبدل معطفي وأعلقه".

حقد كريم إليها للمرة الأولى بنظرة لم تستطع جوليا تفسيرها، إلا أنها رأت فيها بعض الغشاوة؛ لخوف يقبع في داخله وقال: "لا تتلاعبي بالحزب يا جوليا". ثم اقترب منها أكثر واضعاً ذراعيه فوق كتفيها محاولاً معانقتها بدفء، بينما وقفت جوليا متمسرة بلا حراك. كانت تشعر برغبة في البكاء على كتفه رامية خلفها كل الأحداث الماضية والأحداث القادمة. كانت تتمنى لو أن للزمن قانوناً يخضعه للعودة إلى الخلف حاملاً معه كل الأخطاء التي ترتكبها نحن البشر بحنكة معتقدين أننا نملك ذكاء يفوق ذكاء الزمن، ولكن ما إن نخطو الخطوة الأولى حتى نوقن أننا لسنا سوى بشر!

تشابكت الأفكار في رأسها، وما أن لمست يد كريم عنقها من الخلف محاولة إزالة الوشاح حتى سرت في جسدها قشعريرة جعلتها تدفع كريم إلى الوراء: "ابتعد يا كريم، فأنا لا أستطيع حتى هذه اللحظة... فالذكريات بيننا ما زالت شائخة".

"يكفيني أنني سافرت عبرها لأشبخ يا جوليا وأنا شاب".
ارتدى معطفه من جديد، واتجه نحو الباب وقال: "احذري،
فالخزب لن يسمح لك بالتمادي أكثر من ذلك، حتى والدك مهما
أحبك ففي النهاية سيخبر بينك وبين الخزب، وفي كلا الخيارين
سيكون خاسراً، فلا تجعلني الجميع يدفعون ثمن حقد يعربد في داخلك
بطء دون أن تشعرني، عندها ستكونين أنت أول الخاسرين".

أغلق كريم الباب وخرج، ثم جلست جوليا على الأريكة أمام
المدفأة الحجرية، سارت قليلاً بخطوات مبعثرة في المنزل، ثم سكبت
لنفسها بعض القهوة الساخنة، وأخذت تحديق إلى النافذة المطلة على
حوض السباحة الذي باتت الأرض حوله ميتة تماماً بعد حلول الشتاء
القارس، فالأشجار العارية والرياح التي تهز أغصانها باتت تثير البرد
أكثر في قلب جوليا، لتجعلها توفن أن لكل حقيقة لحظة عارية
تفقدتها هالة الصدق المحاطة بها حتى وإن كانت صادقة! فلا بد للحظة
عاصفة تُسقط كل أوراق التوت التي تستر الحقائق، والآن حان وقت
هذه العاصفة أن تهب، لتعلن للجميع كيف يمكن للناطق الرسمي أن
يكون ناطقاً رسمياً باسم الخزب.

تمتت بجدوء: "نعم حان الوقت". وما أن أكملت جملتها حتى
كانت الرياح في الخارج تعصف بقوة حاملة معها كل الأوراق القديمة
المتناثرة على الأرض من الشجر العاري، معلنة حلول شتاءٍ باردٍ قاسٍ
هذا العام.

توجهت نحو مكتبها، وفردت الأوراق البيضاء أمامها محاولة
البداة بخط السطور الأولى للخطاب الأول لها في الخزب، بدأت تكتب
وما أن جرى القلم فوق أوراقها المبعثرة حتى سرت لمسات كريم فوق

عنقها المحاط بالوشاح من جديد، هزت رأسها بشدة محاولة تناسي ما حدث، إلا أن نظرة القلق في عيني كريم ولمساته الدافئة جعلتها تقف للحظات. حدثت إلى الأوراق ونظرت إلى الساعة، فوجدت أنه قد مر أكثر من ساعة وهي على هذه الحال.

كان أشرف يسير في سيارته شارداً ذهنه حينما أوقفته الإشارة الحمراء، لم يكن يسير باتجاه معين فقط يسير بعث في الشوارع بعد أن أنهى متابعة الحدث الذي فجرته تغريدته الصغيرة في صفحة تويتر الخاصة به. كان يقود سيارته حائراً بين متاهات الحزب العشيّة ونظرات جوليا التي كانت تقذفه بكل سهام السخرية والانتهازية المتلحفة بعباءة البحث عن الحقيقة. فهل بات للتعريّة مصطلحات تنطلي تحت الحقائق لتخفي بسلاسة، أم أن عقل الإنسان المحاك يأتقان رباني خاص يجعله عاجزاً عن التمييز بين حقيقة العلم وعلم الحقيقة؟! الحقيقة؟!

لم يكن يعلم أن جوليا بنظرهما جعلته يشعر ببرودة الشتاء في عظامه، رغم المعطف الجلدي الذي يرتديه، ورغم دفء سيارته الفارحة التي جعلته يتناسى الشتاء ويتناسى حتى صوت الزمامير المتعالية حوله، لتعلن له بأن الإشارة الضوئية باتت خضراء وقاربت على أن تصبح حمراء ثانية. لذا، عليه أن يحرك سيارته قبل أن تعود الأزمة من جديد، فاعتذر بيده، وسار مجدداً محاولاً ألا يرى تلك النظرات التي استطاعت أن تمزق لحظة صدق ربما كان يجيها مع نفسه لحظة ويدفنها لحظات! قاد السيارة مستمتعاً بموسيقى باخ التي كانت

تصدح حوله مع أنغام المطر المترامية فوق زجاج سيارته محاولاً كسر بعض الروتين الأنتيكي الذي اعتاد عليه صيفاً وشتاءً!

توالى الأفكار في رأسه متبعثرة بين المواضيع المختلفة، وانزلت عجلات السيارة تحت وطأة الشوارع العارقة بالمياه، لتضطدم بأحد المارة، فأوقف سيارته على عجل، ونزل مهرولاً نحوه، وما أن اقترب حتى وجد وجه جوليا الممزوج بالمطر يستدير ببطء من تحت النظارة السوداء، وما أن رفعتها حتى تراجع أشرف للوراء وقال بصوت منذهل: "جوليا....!"! بدأ الارتباك واضحاً على أشرف حينما رأى جوليا وهي تحدق إليه بعصبية محاولة النهوض عن الأرض، ثم اقترب منها مجدداً بسرعة وقال مشيراً بيده: "لا انتظري، لا تنهضي علينا التأكد أنك بخير".

حدقت إليه جوليا وقالت بنبرة ساخرة: "لا داعي لذلك".
اقترب منها وهو يحاول تفقد إصابتها فأبعدته وقالت: "كفى، أنا بخير".

فقال أشرف بصوت مرتعش رسم الدهشة على وجه جوليا التي استطاعت إخفاءها بسرعة: "جوليا علينا التأكد من ذلك فقد يكون هناك كسر أو أي إصابة أخرى".

ابتسمت جوليا بسخرية وقالت: "وهل هناك مصور ليلتقط هذه اللحظة الرومانسية تحت زخات المطر؟".

صرخ أشرف وهو يقف مبتعداً عنها: "ما بك هل جننت؟ هل تعتقدين أنني بت مريضاً مهووساً بفتاة تدعى جوليا؟".

حدق إليها وهو يسندها على كتفه حتى يساعدها على النهوض، بينما تركته محاولة السير فسقطت ثانية، عندها ركض نحوها

لتسقط بين ذراعيه قبل أن تقع على الأرض المبتلة بمياه المطر فقال بنبرة جادة: "قلت لك علينا التأكد أنك بخير".

ساعدها على الجلوس في المقعد المجاور لكرسي السائق، ثم أغلق الباب، وتوجه نحو مقعده، شغل محرك السيارة حتى عادت موسيقي باخ تجول في الأجواء فقالت جوليا بهدوء: "باخ... والمطر طرفان لا يفترقان أبداً، اختيار موفق".

ابتسم وسار ببطء متوجهاً نحو المشفى عندها أردفت قائلة: "التقينا صدفة، والآن صدمتني صدفة، يبدو أن الصدفة تلعب دوراً كبيراً في حياتك". سار أشرف دون أن يعير كلامها اهتماماً، فقالت بنبرة متوترة: "إلى أين تتوجه؟!".

فأوقف أشرف سيارته فجأة وقال: "إلى المشفى".
قالت وهي تحدق إليه بسخرية: "لن يتم توثيقنا معاً في قلب المشفى وعندها نعود لترصدنا الأخبار من جديد".

حدق فيها أشرف مذهولاً وقال: "ما هذا الذي تحيكيه في خيالك يا جوليا؟ حسناً... سأخذك إلى المنزل إذن".
فابتسمت وهي تعدل من جلستها وقالت بهدوء: "نعم ذلك أفضل".

أدار أشرف مقود السيارة مغيراً وجهته من دون أن يرفع نظره عن الطريق أمامه، بينما حدقت جوليا في الطريق أمامها مدركة أنه لا حقيقة كاملة في مبدأ البشر، وستبقى دائرة الشك هي الحقيقة الكاملة، فلربما كانت الدعاية التي أخبرها بها أشرف مجرد أكذوبة، كما هو الخبر أكذوبة، وربما كانت الدعاية صادقة والخبر مجرد أكذوبة، ولكن احتمالية الإيجاب والنفي تبقى رهينة لحامل الخبر

وصانعه سواء إن كان الصانع أشرف أم غيره، لذا تبقى مصداقية الكلام تعتمد على الشفافية التي لا تزال تحمل الغشاوة بينهما. قاطع أشرف أفكارها حينما وجدها ساهمة في الطريق: "ماذا كنت تفعلين تحت المطر هناك؟".

أجابت باستهتار وهي تحدق إلى الشوارع المتمزقة تحت سيول الأمطار المنهمرة بقوة: "في الواقع، أنا من عليها أن تسأل ماذا كنت تفعل في محيط الحي الذي أقطن فيه". ثم أكملت دون أن تترك لأشرف المجال للتعليق: "كنت أستمتع بالمطر".

صمت أشرف، وحاول اختلاس نظرة جانبية إليها فوجد ملاحظها ازدادت حدة رغم رقبتها تحت قطرات المطر التي كانت تسقط ببطء من خصلات شعرها على وجهها لتمنحها لحظة صفاء لم يرها أشرف في وجه جوليا البارد من قبل ثم أردفت قائلة: "وما إن استمتعت بتلك اللحظة حتى جاءت الصدفية السماوية المحضنة لتجعل أشرف الكافوري يصدمني بسيارته قبل مؤتمر الصحفي بيومين!".

"فعالاً إنها لصدفة رسمها القدر يأتقان". وما إن أكمل جملته الأخيرة حتى كانت السيارة تقف أمام المنزل، حيث كان يحاول كريم فتح الباب محاولاً دخول المنزل، ولكن صوت عجلات السيارة المتوقف جعله يستدير ليرى جوليا وأشرف أمامه في السيارة معاً فتارت عاصفة من الأفكار في رأسه أقوى من الهبوب القوي الذي أزاح أطراف معطفه الجلدي الأسود الطويل، وقف قليلاً محاولاً السيطرة على يديه اللتين كانتا تحملان مفتاح البيت على عجل، ثم سار باتجاه السيارة، وقال بصوت متجهم: "هل ترغبان بصورة أخرى

تخلق حدثاً جديداً كبيراً وبعثاً تتناسق مع الأحداث الحالية أم أنكما
تحملان تفسيراً أفضل؟".

صمتت جوليا قليلاً، بينما كان أشرف يراقب خلجات كريم
المتواترة باحثاً عن سطور جديدة ربما لخبر يحاول البحث عن إجابته
منذ مدة، إلا أن صوت جوليا العصبي والمغلف ببعض الهدوء
المصطنع قاطع أفكاره وهي تقول لكريم:

"هلا اقتربت وساعدتني على النهوض، لأن السيد أشرف
صدمني بسيارته؟ ويمكن لك أن تطرح المزيد من الأسئلة والتي يبدو
أنك تحمل كثيراً منها".

صمتت كريم محققاً إليها ببرود، ثم توجه نحو أشرف وقال بعد أن
فتح باب السيارة حتى يخرج الأخير منها ببطء: "وما الصدفة الغريبة
التي جعلتك تصدم زوجتي بسيارتك فجأة في حي منطقتنا؟".
فقال أشرف وهو يزيل بعض قطرات المطر عن معطفه قائلاً دون
النظر إلى عيني كريم: "الصدفة، إنك تحمل الجواب قبل السؤال يا سيد
كريم".

اقترب كريم منه وعيناه تشتعلان غضباً: "وهل تعتقد بأن برودك
هذا يفسر تلك الصدفة الغريبة؟".

فقال أشرف وهو يحدق إلى وجه كريم: "لا أعتقد أن حادث
سير يحتاج إلى تفسير أكثر من ذلك".

"ولكن عندما يكون مالك السيارة أنت، أعتقد أننا نحتاج إلى
أكثر من تفسير". فاقتربت جوليا من الاثنين وهي تعرج ببطء حتى
كادت أن تسقط، فتوجه الاثنان نحوها ليساعداها على النهوض،
فقالت وهي تزيج يد الاثنين:

"ابتعدا واجثا عن تفسير للحادثة بعيداً عن هنا". فاقترب كريم محاولاً إسنادها لتهنؤ، إلا أن ارتعاشة سرت في جسدها جعلتها تبتعد قليلاً، وجعلت نظرات أشرف تنقض عليهما باحثاً عن تفسير ما، مما جعلها ترتكز على كتف كريم ببطء، ولكن من بعيد قائلة: "عليّ الصعود إلى غرفتي فهلا ساعدتني".

اقترب منها كريم أكثر، محاولاً إسنادها جيداً، إلا أنها حاولت الإبقاء على مسافة بينهما تتيح لها الحركة دون الالتصاق بكريم، وبينما كانت ترتكز على كتفه لمحت ناتاشا داخل سيارته التي كانت مركونة في مرآب المنزل، لم تستطع تفسير ما سرى في داخلها؛ هل هو شعور بالغضب لمدى استهتار كريم بمشاعرها كزوجة ليحضر صديقتة إلى منزلها هكذا؟ وما إن لاحظت عيني أشرف تلاحقها حتى استطاعت أن تلمح الدهشة التي ارتسمت على وجهه حينما رأى ناتاشا داخل السيارة فقالت جوليا بعبث وهي تدبر ظهرها لأشرف: "سيد أشرف شكراً لإيصالني إلى المنزل واعدننا الآن فزوجي لديه بعض الارتباطات الهامة التي عليه أن يكملها مع السيدة ناتاشا لذا لا أريد تعطيله أكثر". ثم استدارت نحو كريم بوجه بارد وقالت: "استدع الطبيب فقط، ثم غادر حتى لا تتأخرا على الاجتماع".

سارت وهي ترتكز ببطء على كتف كريم بخطوات عرجاء نحو الباب، بينما بقي أشرف متسماً في مكانه للحظات، فمن هي جوليا تلك التي تستطيع ستر الحدث بكل ذكاء، رغم تفاجئها الذي استطاعت مداراته خلف خطوط وجهها المتوترة حينما رأت ناتاشا داخل سيارة كريم، يبدو أن في جعبة الأحداث الكثير من الحكايا.

ركب أشرف سيارته وغادر، بينما دخل جوليا وكريم المنزل، وما إن أغلق الباب وغادر أشرف، حتى أبعدت جوليا كريم عنها بقوة، وكادت أن تسقط، عندها اقترب كريم مسرعاً ليحملها، فأزاحته مؤثرة السقوط وقالت: "في المرة القادمة، حاول أن تبعد أنت عن بروباغندا الصحف الصفراء يا كريم". ثم سارت بخطوات عرجاء نحو الأريكة وقالت ساحرة: "أم أنك اصطدمت بناتاشا صدفة أنت الآخر أثناء سيرك في الطريق؟!".

"عليّ الذهاب ما دمت لست بحاجة إلى وصي، لقد أخبرت الطبيب أن يحضر". غادر كريم مقفلاً الباب وراءه بعصبية دون أن يستمع لتمنات جوليا خلفه.

أما خارج أسوار المنزل، وعلى مسافة بعيدة، فقد توقف أشرف الكافوري للحظات، محدقاً إلى المنظر المطل أمامه من فوق التلة العالية، حيث المدينة تزداد تقلصاً والسيارات السريعة تكاد لا تظهر حركتها إلا كهبوب رياح خفيفة في قلب نيسان الذي شارف على الاقتراب، عندها رن هاتفه النقال، ليسمع حكمت على الطرف الثاني يقول: "لم أخبرك عن مكانها لتصدمها بالسيارة".

فابتسم أشرف قائلاً ببرود: "وأنا لم أصدمها، إنها الصدفة، ولا داعي لعينيك اللتين تبدوان كالدمى البلهاء أن تلاحقنا ما دمت أنت من أخبرني أنها هناك". صمت قليلاً ثم قال: "حكمت أنت تمارس اللعبة مثلي تماماً منذ أعوام، لذا ابق كل حجر مكانه حتى لا تضطر لسماع كلمة كش ملك، فأنت تعلم جيداً أن الرقعة ملك الجميع حتى وإن كنت تدير الحزب!".

أقفل أشرف الخط دون أن يستمع لرد حكمت الذي كان بدوره يحدق إلى صورة جوليا وأشرف وهي تسقط بين ذراعيه تحت المطر بعد حادثة الاصطدام تلك والتي وصلته حالاً على بريده الإلكتروني، ثم تتم وهو ينفث حلقات متتالية من سيجاره الكوبي الضخم: "فعلاً الرقعة للجميع يا أشرف، ولكنك لا تعرف أن للرقعة محرراً واحداً حينما تُرَّص الأحجار".

منظومة التناقضات

تناولت جوليا سماعة الهاتف الذي كان يرن بجانبها بشدة وهي مطرقة برأسها بين الأوراق وخطوط القلم الذي يقبع بين يديها، وأجابت بشروود: "من؟". ثم توقفت عن الكتابة، وحدثت إلى الفراغ، وقالت بصوت متجهم: "سيد أشرف؟!". صمتت قليلاً ثم أكملت قائلة: "إن عدم الرد على الهاتف النقال لعدة مرات تعني عدم رغبة الشخص على تلقي الاتصال".

فكان صوت أشرف الضاحك عبر الطرف الثاني من المكالمة يقول: "لهذا السبب اتصلت على الهاتف الأرضي".

فقال جوليا وهي تعبت بالأوراق الملقاة أمامها: "حسناً، ما دمت قد فرضت نفسك قسرياً عليّ، أتمنى أن يكون السبب مهماً لتفعل ذلك".

أجاب أشرف بصوت لا يخلو من الابتسام: "بالطبع، الاطمئنان على إصابتك سبب كافٍ بالنسبة إليّ".

ابتسمت جوليا وقالت: "شكراً على اهتمامك.. أنا بخير". صمتت قليلاً ثم أكملت: "هلا سمحت لي الآن فلدي كثير من الأمور التي يجب عليّ إنهاؤها".

أكمل أشرف كمن لم يسمع جملتها الأخيرة: "هل أخبرك

الطبيب شيئاً بخصوص إصابتك؟". فقالت جوليا بعثت: "أستبقى
تمارس دور النزيه طويلاً يا سيد أشرف؟".

"دور الهجوم الذي تحيينه لا يليق بك يا جوليا، ولا أدري حتى
هذه اللحظة لِمَ تُورقك نزهاتي؟".

فقالت جوليا باستنكار: "تُورقني؟!".

"يبدو أن نزهاتي التي لا تناسبك هي سبب اتصالي على كل
حال".

قالت جوليا ببرود: "أشعر بنبرة غضب في صوتك، ألا يعني
ذلك أن في كلامي نوعاً من الصحة؟".

فأجاب أشرف بهدوء أبرد: "أنت لم تعرفي معنى الغضب
يا جوليا".

عندها تركت جوليا الأوراق التي بين يديها، وعدلت جلستها
على كرسي المكتب حتى أصبحت قبال النافذة أمامها وهي تحدق إلى
العشب الذي ما زال ينبت ببطء من تحت التربة الميتلة وقالت بصوت
شارد: "عرفته حتى أصبح مصدرًا للعبثية في حياتي".

قال أشرف مستفسراً: "ألهذا أصبح أسلوبك الهجومى اتجاه
الجميع أم أنه مجرد ستار يخفي خطاك التي ترفضها مبادئك محاولة عدم
السقوط في شيزوفرينيا المبادئ؟!". أكمل أشرف كلامه وجوليا
صامتة: "دوماً تحاولين البحث عن مبرر أو مسبب أو حتى مؤامرة
لتدعين أنك ضحيتها، وكأن الكون مرهون بحياتك فقط، لكنك لم
تقفى لحظة مع ذاتك، لتوجهي لها اهتماماً واحداً، هل أشرف الكافوري
وحده الانتهازي كما تعتقدين؟ أم أنك التزيهة الوحيدة على
الأرض؟!".

صمتت جوليا، بينما كان كلام أشرف يتوالى وراء بعضه بسرعة دون أن يترك لها مجالاً حتى للتفكير وقال: "إنه مجرد اتصال يا سيدة جوليا، كل ما كان يحمله مجرد اطمئنان على حالة مصاب كنت سبباً بإصابته ليس إلا". صمتت قليلاً عندما سمع أنفاس جوليا العميقة من وراء السماعية ثم قال: "يبدو أن لكلماتي أثراً أكبر من الرد، لذا اسمحي لي أن أقول لك وداعاً وحمداً على سلامتك، أراك في المؤتمر لاحقاً".

أغلق أشرف المكالمة بينما بقيت السماعية بين يدي جوليا لتشعر أنها للمرة الأولى لم تعد تدرك ما المشاعر التي تحملها في أعماقها، ولكنها تدرك جيداً أن المؤتمر بات بعد ساعات قليلة، وعليها إنهاء خطابها رغم الألم الذي بدأ يسري في قدمها المصابة. سارت ببطء نحو المطبخ، وتناولت مسكناً، ثم عادت متوجهة نحو المكتب، وقفت لحظات في الصالة باحثة عن أثر لوجود كريم، ولكن يبدو أنه لا يزال في الخارج، لم تستطع فهم السبب الذي دفعها للتفكير إذا كان مع ناتاشا الآن؟ وما إن بدأت الفكرة بتحتها حتى هزت رأسها وتوجهت نحو غرفة المكتب لتنهى الواقع الذي عليها أن تهيأه الآن بعيداً عن أي مؤثرات.

كان كريم يساعد جوليا على السير للتوجه نحو الباب الخلفي للفندق استعداداً للمؤتمر ورغم محاولاتها للسير وحدها بعيداً عنه إلا أنها عجزت عن السير بشكل سليم فاضطرت للاتكاء على ذراعه ولو من بعيد، وما أن لمحت والدها حتى توجهت نحوه ببطء تاركة ذراع كريم وقالت: "أبي، لقد وصلت قبلنا".

حدق حاتم إلى قدمها المصابة والتي كانت لا تظهر إصابتها بسبب انتعالمها حذاءً طويلاً حتى الركبة مع فستان أسود رسمي قصير يتناسب طوله مع طول الحذاء ليغطيه معطف من الجوخ الأبيض الناعم ذو الياقة السوداء المستديرة والتي أحاطت عنق جوليا بنعومة. وبقاء المعطف مفتوحاً جعل قوامها المشوق يظهر بانسيابية منحوت جوليا مظهراً رسمياً رقيقاً لم تعتد عليه جوليا نفسها، ولكنها اختارته بعناية بحثاً عن طريقة تعلن فيها حضورها في المؤتمر بما يتناسب مع وضعها الحالي. ولكن الكمين ذوا السوارين الأسودين الواسعين قليلاً منحها مساحة من الحرية في ثيابها لتستطيع تحريك ذراعيها أثناء النقاش بلا قلق من الحواشي وأطراف الأناقة النسائية التي كانت لا تهتم كثيراً لها سابقاً.

نظرت جوليا إلى عيني والدها القلقة من مشيتها المتعثرة، ثم اتكأت على ذراعه بدلاً من كريم وقالت: "أبي لا تقلق إنما مجرد إصابة طفيفة، وقد أخبرني الطبيب أنها تحتاج إلى بعض الراحة وستزول، فهلا ساعدتني للوصول إلى المنصة".

أمسك حاتم بذراع جوليا المتكئة عليه وقال: "تعال يا ابنتي... ماذا حصل ومتى حصل هذا؟ ولمَ لمَ تخبريني ووالدتك بما حدث". فقالت بصوت هادئ وهي تسير: "لقد حصل فجأة ولكن...". صمتت قليلاً، وأكملت كلماتها وهي تستدير للخلف: "لكن كريم استطاع...". ولم تكمل جملتها حين وجدت أن كريم قد غادر دون أن تشعر!

فقال حاتم: "ماذا فعل كريم؟". حدقت جوليا إلى الفراغ حولها وعيناها تبحثان بصمت عن أثر كريم وما أن كرر والدها

السؤال حتى قالت: "ها... لم يفعل شيئاً لقد جلب الطيب وساعدني في اليومين الماضيين على تجاوز الإصابة حتى أستطيع حضور المؤتمر".

فقال حاتم وهو يحدق إليها بهدوء: "وهل أنت بخير؟ هل تشعرين بتحسن؟ كان من الممكن تأجيل إعلان انضمامك للمؤتمر ما دمت مصابة".

فسارت جوليا ببطء وهي تتكئ على ذراع والدها محاولة الصعود نحو المنصة: "لا يا أبي الأمر لا يستحق كل ذلك القلق، إنه مجرد التواء بسيط في الكاحل".
"حسناً... دعيني أساعدك على الجلوس".

جلست جوليا ووالدها بجانبها، بينما كان حكمت وعارف وباقي الأعضاء في القاعة ينتظرون إنهاء التحضيرات للتوجه نحو المنصة، وما أن رأى حكمت جوليا حتى اقترب منها وقال: "ابنة أختي العزيزة كيف حالك؟ لا بد أنه يوم تاريخي يوم إعلان انضمامك إلى الحزب".

حدقت جوليا إليه وقالت ببرود: "كل حدث في الحزب بالنسبة إليك تاريخي يا خالي، لأنك تعتقد أن الحزب هو المحور الأزلي للأحداث".

ابتسم حكمت وهو يزيح كرسيه ببطء ليجلس إلى جانبها: "حزب حافظ على مصداقيته على مدار أكثر من خمسين عاماً، يستحق أن يكون المحور الأزلي للأحداث".

ابتسمت جوليا وقالت بنفس النبرة الباردة: "ولهذا انضمت إليه".

"ورغم رفضك لتدقيق خطابك الأول، إلا أن الحزب مستعد لسماع كلمتك الأولى كناطق رسمي له".

بدأت الصحافة والإعلام بالدخول بهدوء والترتيب للجلوس في الكراسي المخصصة لهم، وما أن اكتمل الجميع حتى لمحت جوليا أشرف من بعيد وهو يجلس متأهباً بهدوء كمن لا حضور له! بينما كان كريم يراقب الحدث خلسة دون بلبلة، لم يكن يعلم ما الذي دفعه للبقاء، هل هو فضوله لسماع خطاب جوليا السياسي الأول؟ أم خوفه عليها مما لا يدري، لكنه الخوف فقط؟!

نفض حكمت، وبدأ بافتتاح المؤتمر قائلاً: "أعزائي الحضور اسمحوا لنا أن نستغل هذا المؤتمر والذي تم الإعلان عنه سابقاً طارحاً مجموعة من التساؤلات في مختلف وسائل الإعلام، ولكي لا نطيل عليكم هذه التساؤلات، نعم يا سادة نعلن باسم الحزب انضمام السيدة جوليا ابنة السيد حاتم وتعيينها في منصب الناطق الإعلامي الرسمي، ولكن لهدف أسمى من ذلك الذي تمت حيافته كخدعة في وسائل الإعلام، فما وجودها إلا حالة من ضخ الدماء الجديدة التي تستطيع التواصل مع الحلقات المفقودة من المجتمع ألا وهم أتم - فئة الشباب - الذين ربما يحتاجون حنكنا المغلفة بذكاء جوليا، فرحبوا معي بجوليا الناطق الإعلامي الرسمي الجديد للحزب". وما أن أنهى حكمت كلمته حتى صفق فصقّ معه كل الموجودين في القاعة ترحيباً بجوليا التي نهضت ببطء وتوازن محاولة السير على قدمها المصابة بثبات حتى لا تظهر للعيان.

وصلت المايكروفون وقالت بصوت هادئ: "أعزائي الحضور... أشكر ترحيبكم الصادق لانضمامي كناطق رسمي للحزب، لذا اسمحوا

لي أن أوكد معنى وجود دماء جديدة تضح في قلب الحزب الصامد منذ خمسين عاماً. حينما كانت الكلمة التي تُقال من وراء القضبان تموت خلف القضبان، وتحت سياط الحاكم قبل الجلالد، ورغم أن المقر الأكبر للمحاكم في العالم بأسره دوماً يقع تحت مصطلح قصر العدل، إلا أن العدل وعلى مر السنين لم يثبت مصداقيته".

كانت باقي الكلمات المسطورة في الخطاب لا تزال تحول في عقلها "فالعدل ما هو إلا مجرد كلمة لا يمكن تطبيقها، لأنها اسم تحمله الذات الإلهية، وما أن اقترنت كلمة (ألا تعدلوا) بالبشر حتى بات العدل البشري مرهوناً بحدود العقل البشري المقيد بما يسمى قانون". لكنها عدلت عن قراءته لأنها كانت تعلم جيداً أن التحدث بلغة الدين لم يعد مناسباً مهماً كان.

صمتت جولياً قليلاً، بينما كان خطابها يحظى باهتمام الجميع حتى غرقت القاعة بالصمت المطبق والدهشة المرتسمة على وجوه الحاضرين سواء من الإعلام أو الحزب نفسه، ثم أكملت بالهدوء نفسه قائلة: "لذا، لا عدل إلا إذا استطاع البشري أن يرتقي لمرحلة الإنسانية البحتة والتي يستطيع من خلالها تنحية كافة غرائزه ورغباته وشهواته لتحقيق العدل الإنساني، وهذا ما لم يحصل منذ أكثر من خمسين عاماً ولن يحصل بعد خمسين عاماً".

ضجت القاعة بالهمسات وهدق الجميع إلى جولياً التي كانت تتحدث بكل ثقة وهدوء واستقرت نظراتها على عيني أشرف الكافوري بينما البلبلة خلفها بين أعضاء الحزب لم تجعلها تتوانى عن إكمال باقي ما خطته يدها في المكتب ذلك اليوم حينما كلمها أشرف الكافوري معلناً أنها تلعب دور الضحية وقالت:

"ولهذا كان لا بد للحزب أن يبدأ بمنظور سياسي جديد، يشمل الساحة السياسية الحالية بكافة تحدياتها، فالمرحلة الحالية مرحلة مفصلية، تعكس منظومة فكرية خالية المعالم عميقة الأثر، ومن هذا المنطلق تم ضمني كعنصر شبابي يحاكي الذهن الحالي للمجتمع، ولكن تبقى الأحداث الجارية هي المسيطر الأول والأخير على أي خطاب سياسي أو الخطة الانتخابية لأي عضو سواء أكان حزبياً أو مستقلاً. لذا، ومن هذه المنصة نعلن ضمن جدولنا الانتخابي موافقة الحزب الرسمية على الانضمام إلى فريق مفاوضات المقاومة لإيجاد الحلول المناسبة والتي تعمل على خدمة القضية الرئيسة للوطن".

ضجت القاعة بتمتمات الحاضرين وحدثهم الذي بات أعلى من مجرد همسات متبادلة، عندها خرج حكمت من القاعة بهدوء لا يخلو من الغضب المكتوم لجرأة ابنة أخته على تجاوز كافة الخطوط الحمراء للحزب، بينما أكملت جوليا قائلة: "وبهذا الإعلان نفتتح المؤتمر الصحفي لكافة الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة ونترك لكم المجال للبدء بطرح الأسئلة".

كان أشرف يحدق إلى جوليا وكافة أعضاء الحزب متفحصاً ومحاولاً فهم ما تم نسجه من أحداث شائكة في القاعة، أجبرت حكمت على المغادرة الفورية بعد إعلان الخبر. "ما الذي تفعلينه يا جوليا إن ضرب الجحر ليس كقنصه... ليس كقنصه أبداً". تتمت أشرف لنفسه وهو يحدق إلى وجه جوليا المبتسم أمام الكاميرات والميكروفونات المترابطة أمامها، بينما جالت عيناه بشكل سريع فوق وجوه أعضاء الحزب لترجم كافة التفاصيل غير المقروءة للحاضرين،

ثم استقرت نظراته فوق وجه كريم المتوتر وخلجاته المبعثرة بصمت وتسمرت عيناه على جوليا محاولة تعرية كل تفاصيل تفكيرها المبعثر، لعله يجد إجابة أو ستار حماية لزوجة لا يزال مقتنعاً أنها تفقد حلقة الوصل بينها وبين زوجها المحب كما تدعي لسبب لا يزال حتى هذه اللحظة مجهولاً بالنسبة إليه، ولكن بات أكيداً أنه غير موجود، فنظرات كريم كانت كفيلة بأن تعكس حجم المفاجأة التي ارتسمت على وجه زوج مغيب لا محب في نظره!

عندها نهض أحد الصحفيين وتوجه نحو المايكروفون الذي يتوسط مقاعد الحاضرين ليوقف ذهن أشرف عن التحليل المنمق والتفكير حين وجه سؤاله لجوليا قائلاً: "سيدة جوليا، إعلانك الانضمام إلى طاولة المفاوضات هل هو قرار حزبي أم فردي؟ وإن كان حزبياً هل تعتقدين أن هذا القرار جاء في الجدول الانتخابي من قبيل الدعاية، أم أنه قرار ستستمرين عليه إن انتخب الشعب والدك رئيساً؟".

صمتت جوليا قليلاً، بينما تسمر كريم مكانه فوجوه أعضاء الحزب كانت كفيلة بأن تمنح الصحفي الإجابة، وكفيلة بأن تمنح جوليا ذلك الشعور المتشبي الذي داعب مشاعرها بصمت وهي تقرأ وجوه الأعضاء من بعيد قبل أن تستدير نحو الصحفي مجدداً وتجيئه: "إن حزباً مخضرمًا كحزبنا لا يبحث عن الدعاية الإعلامية، إن الجدول الانتخابي هو جدول يتم دراسته وطرحه بعناية من العضو المنتخب قابل للتطوير ربما ولكن ليس للتغيير".

فقال الصحفي مؤكداً جملة الأخيرة "إذن هو قرار حزبي ستستمرين عليه إن انتخب الشعب والدك رئيساً؟".

فأجابت جوليا بهدوء: "إن العضو المرشح للرئاسة موجود في القاعة وعلى ما أعتقد يملك الإجابة".

نهض حاتم بتثاقل وجر قدميه ببطء وهو لا يدري أحقاً ابنته جوليا هي من تمارس هذا الدور، وما الذي عساه أن يقال لإنقاذ الموقف؟ توجه نحو المايكروفون بعد أن حدقت جوليا إلى عينيه الباردتين فعلمت عندها بأن من يقف على المنصة ليس والدها بل عضو الحزب المرشح، عندها تنحت عن طريقه مبتعدة لتعطيهِ المجال للرد.

صمت حاتم قليلاً، بينما دخلت القاعة مجدداً، وكانت تعابيره أكثر هدوءاً، رغم رؤيته لحاتم يقف محاولاً الرد على أسئلة بعض الحاضرين، فجلس مكانه بصمت، ليكمل تفاصيل المؤتمر الذي بات شيقاً بالنسبة إليه كغيره من الحاضرين!

نظر حاتم بهدوء أجبر الحاضرين على الصمت والتوقف حتى عن التمتمة لسماع إجابته عندما اقترب من المايكروفون قائلاً: "سيدي في الجدول الانتخابي طرح قضايا، نحاول إيجاد الحلول، ولكن لا نقدم وعوداً مفرغة حتى لا يفقد حزبنا مصداقيته، فإن كنت تتعهد بأن المقاومة هي مجرد مقاومة ثورية نقية خالية من الأجندات السياسية الممزقة، أكفل لك الوعد الكامل بذلك، ولكن نحن كحزب سياسي مستقل سنكون في خدمة كل ما يكفل الأمن للمواطن حتى وإن كانت طاولة مفاوضات لمقاومة تقف على تخوم حدودنا المشتركة معها، ففي النهاية في قلب هذه المقاومة مواطن!".

نهض صحفي آخر، وتوجه مسرعاً كمن كان خائفاً من فقدان السؤال بين الحاضرين: "إذن أنتم على طاولة المفاوضات ولكن بالرغم

من ذلك لا تبرئ المقاومة من تهمة التلاعب على مفهوم المقاومة والثورة لخدمة سياسات خارجية تحاول تشتيت الانتباه لما هو أهم؟". أجابه حاتم: "بالطبع لا، لا يمكننا توجيه أصابع الاتهام للمقاومة ما لم يثبت العكس".

فقال الصحفي: "وما الذي سيثبت العكس؟". فأجاب حاتم: "لا أعتقد أن سؤالك مهني". ثم صمت قليلاً، وحدث بهدوء إلى الحاضرين، وأكمل قائلاً: "ولكن سأجيبه؛ لأنه سؤال شعبي قد يطرق ذهن من يشاهد مؤتمرنا على الشاشة في الخارج، الذي سيثبت العكس، المقاومة يا سيدي، وحدها القادرة على أن تكون الطرف الحقيقي الوحيد في اللعبة بلا رتوش وبلا تفاصيل منمقة، وحدها القادرة على حمل الحقيقة، وإذا استطاعت حملها أتعهد أن يقف العالم بأسره معها وليس أنا".

فحسب أشرف محاولاً ترك بصمته في المؤتمر الهزلي قائلاً: "ولكن يا سيد حاتم، قدمت المقاومة منذ أعوام طويلة حقيقتها الخالية من الرتوش، ورغم ذلك، لا تزال تصنف كمقاومة إرهابية، فسؤالي هل تعتقد أن المقاومة مجرد لقب لتنظيم إرهابي يدعي حمل القضية؟!". فابتسم حاتم لأشرف وقال: "أنت الإعلام، وأعتقد أنتم من تحملون الإجابة فمن خلالكم نرى المقاومة ومن خلالكم نقرأ القضية".

ابتسم أشرف لجواب حاتم الدبلوماسي وقال: "ولكن الناطق الرسمي للحزب السيدة جوليا قالت إنه من منطلق تحقيق العدالة، تم ضخ الدماء الجديدة في الحزب المتمثلة بعنصر الشباب، فهل باتت العدالة على هذا القدر الضيق من الاستيعاب حتى يرى الحزب بأنه

يمكن تمثيل العدالة بالشباب أم لأنه كان يعلم بأن الشباب هم من سيحملون قرارات مفاجئة كقرار المفاوضات؟".

فأزاحت جوليا والدها قليلاً، وأجابت بصوت ثابت: "بل لأن الشباب يرون المستقبل بعيون المقاومين مهما كان تصنيفهم، فالمقاومة أنواع، فجسد المريض يقاوم". راقبت جوليا أشرف عن كذب الذي بدأت صفحة وجهه تتبعثر غير مدرك طبيعة الشعور الذي راوده بعد أن سمع جملتها الأخيرة ثم أكملت: "المقاومة ليست مجرد حراسة للحدود ضد العدو، وليست مجرد نقاش على ورق في مؤتمر صحفي. لذا، كان لا بد للحزب أن يرى الواقع الراهن بعيون جديدة، تحمل الرأي العام وليس الرأي السياسي فقط، لذا كان لا بد...".

وما أن بدأت جوليا بالكلام حتى انقطع التيار الكهربائي عن كافة المايكروفونات والأجهزة الصوتية في القاعة، ولكن جوليا استمرت تتكلم دون أن تدرك الخلل الحاصل في القاعة التي بدأت تضج بالأصوات العالية محاولة جعل جوليا تعيد ما كانت تقوله لأشرف الكافوري كرد على رأيها الشخصي والحزبي في المقاومة، وما أن بدأ المكان بالاحتدام والمناقشات تعلو بحدة، حتى اقتربت جوليا من المايكروفون أكثر تحاول إكمال كلامها، فضربت إصبعها بخفة فوق المايكروفون، عندها علمت بأنه لا يعمل، فتوقفت عن الكلام وقالت بصوت مرتفع: "أعيدوا الكهرباء للقاعة فوراً".

أخذت جوليا تشير للحضور بالهدوء والانتظار، وما أن بدأ المكان يصبح مشحوناً أكثر حتى أسرع كريم باتجاه المنصة محاولاً البقاء في الخلف بالقرب من جوليا من بعيد، وفي لحظة وصوله للمنصة

كانت الكهرباء تنير المكان، عندها توجه حكمت مبعداً جوليا قليلاً عن المايكروفون، وقال بعد تأكده من أن الكهرباء عادت لجميع الأجهزة الصوتية: "نعتذر عن هذا الخلل الفني الذي حصل، ولكن للأسف يبدو أن سبب هذا الخلل هو الإعلان الذي تم نقله فوراً للحزب حيث بدأت الحرب على أطراف الحدود مع المقاومة، ورغم عدم انخراط دولتنا في هذه الحرب، إلا أن وجودها ضمن الحدود المشتركة بين الدولتين يجعلنا في خضم الحدث، ولأننا حتى هذه اللحظة مجرد حزب مرشح للرئاسة، فلا نمتلك الحق في اتخاذ القرارات الرئاسية المفصلية، فقرار المفاوضات يبقى قائماً بما يتناسب مع الظرف العام للدولة، وعليه نعلن تأييدنا لقرار الدولة في مواجهة كل ما قد يقوض أمنها وأمن مواطنيها".

ما إن أكمل جملته الأخيرة حتى قال: "ونظراً للظروف الطارئة سمحوا لنا الآن إنهاء المؤتمر الصحفي بلا مزيد من الأسئلة مع احترامنا لكافة الحاضرين، نشكر جميع من حضروا". أنهى حكمت كلمته السريعة، ثم بدأ الحضور بالمغادرة واحداً تلو الآخر. كان أشرف يمدق إلى جوليا التي كانت لا تصدق تواتر الأحداث السريع من حولها، فنظرة الدهول كانت كفيلة بسطر أكثر من ألف خبر في شريط قنواته الإخباري وعلى مدار شهر، فهو بات متأكداً أنها هي والحزب حكايتان منفصلتان، وما كريم إلا حلقة وصل واهنة تجمع الطرفين بطريقة ينقصها عنصر الربط، وما أن غادر أشرف القاعة، إلا وكانت عينا جوليا قد ترجمت الكثير، بينما وقفت الأخيرة تحدق إلى الجميع من فيهم والدها، ثم أمسكت بحالها حكمت أمام الجميع من ياقته وقالت "كنت تعلم أن الحرب ستعلن لحظة خطابي أليس كذلك؟".

فقال حكمت وهو ينزل يدها ببطء: "يبدو حتى الآن لا تمتلكين الأسلوب المناسب الذي تخاطبين فيه خالك".
فاقتربت جوليا منه وقالت بعينين مشتعلتين: "أجيني على سؤال".

قال حكمت ببرود: "وهل كنا نعلم فحوى خطابك؟" ثم اقترب منها أكثر وقال بصوت عاصف: "قلت لك إياك أن تتجاوزي الخطوط الحمراء في هذا الحزب، ولا تعتقدي أن انضمامك كان كما تعتقدين حكماً قسرياً على الحزب، إنها قواعد اللعبة يا جوليا، أنت انضمت إليها وعليك أن تمارسيها ضمن قوانينها أتفهمين؟!".
فقالت جوليا: "كنت تعلم أن الحرب ستعلن لحظة خطابي، وما تلك البلبلة التي حدثت إلا من صنعك لإعلان الحدث بطريقة لا تخلق التناقض بين الخطابين".

فقال حكمت وهو يللمم أغراضه بعث: "وإن يكن المهم أنه تم إعلان الخبر بطريقة تتلاءم مع خطابك التاريخي يا ابنة أختي العزيزة".
صرخت جوليا في وجهه وهي تديره نحوها بعصبية: "أن تعلن موافقة الحزب على الحرب ضد المقاومة وأنا أعلن موافقتنا للانضمام للمفاوضات، هل تعتقد أنك حفظت ماء وجه الحزب بهذا الإعلان المقتضب للحرب". صمتت جوليا، وبدأت أنفاسها تهدأ حين قالت بصوت هدير وهي تحديق إلى حكمت مكلمة: "ربما أعلنت الحرب، ولكننا لا نزال على طاولة المفاوضات يا خالي".
"عليك أن تعلمي إن كنت هنا، فهذا لأننا نريدك هنا ليس أكثر".

"بل لأنني أنا أريد أن أكون هنا".

اقترب حاتم من جوليا بعد أن قاطعهما عارف حينما احتد الموقف وقال: "كفى، علينا التوجه إلى المقر فوراً".

نظرت جوليا إلى والدها الذي حاول أن يضع يده على كتفها، فأنزلتها بقوة وقالت: "كنت تعلم بكل هذا يا أبي! إذا كان رئيس الدولة المنتخب للدورة القادمة لا يزال يبحث عن العدل فأنا عرفت الآن لِمَ بقي الحزب صامداً خمسين عاماً؟! ثم استدارت لتسير مبتعدة، إلا أن يد حاتم أمسكتها لتديرها ثانية باتجاهه، وقال بصوت بارد: "و كنت تعلمين أنك تقدمين خمسين عاماً سياسية من عمري قرباناً للمقاومة بإعلانك غير المدروس ذلك".

ابتعدت عن والدها الذي حاول أن يقترب منها محاولاً تهدئتها، فسارت بخطوات قوية وسريعة باتجاه درجات المنصة ما جعلها تسقط من فوق الدرجات لتجد ذراعي كريم تلتقطانها قبل أن تقع أرضاً، وركض والدها نحوها إلا أن يدي كريم كانت أسرع بالتقاطها فحدقت إليه، وبدأت الصورة تختفي أمامها ببطء، ثم سقطت مغشياً عليها بين يدي كريم وحاتم الذي كاد القلق يمزقه على ابنته الوحيدة حينما رآها على هذه الحال وما أن اقترب عارف منهما حتى قال كريم بصوت هادئ:

"سأحملها إلى المنزل الآن يا عمي، وسأحضر الطبيب للطبقتان عليها فلا تقلق، وما أن تصحو حتى أجعلها تكلمك لتطمئن، تستطيعان اللحاق بالحزب من أجل الاجتماع الطارئ".

حدق حاتم إلى كريم للمرة الأولى، ليرى في عينيه حباً دفيناً تغلفه لوعة، عندها أشار إلى كريم بالذهاب من الخلف بعد أن كلم السائق ليحضر سريعاً، محاولاً إبعادهما عن فضول الصحفيين وتساؤلهم

وعندما اطمئن حاتم على دخول ابنته السيارة مع كريم توجه وعارف نحو مقر الحزب لمصادقة قرار الحرب على المقاومة بينما بقيت جملة ابنته الأخيرة ترن في أذنه "إذا كان رئيس الدولة المنتخب للدورة القادمة لا يزال يبحث عن العدل فأنا عرفت الآن لِمَ بقي الحزب صامداً خمسين عاماً!".

بين الحقيقة والسراب

كانت جوليا نائمة في سريرها متألّمة بعد أن قام الطبيب بمعابنتها وأخبر كريم أن قدمها بحاجة إلى عناية وقلّة حركة حتى تشفى تماماً فالإصابة شديدة ويبدو أن جوليا لم تعتنِ بها جيداً.

لاحظ كريم الذي كان يجلس يراقبها من بعيد وهي غافية بأنه وللمرة الأولى يلمح جوليا بملامح جديدة، ملامح باتت أكثر صلابة وبرودة وحدة، يعتليها غضب لا يفارق حاجبها المعقودين حتى وهي نائمة.

رن هاتف كريم الخلوي، وكان صوت ماجدة على الطرف الثاني، وهي تسأل بلهفة: "كيف جوليا يا كريم؟ أخبرني حاتم بما حدث".

فأجابها كريم بهدوء: "لا تقلقي يا خالتي جوليا بخير".
قالت ماجدة بصوت مرتبك: "المشكلة أنني في المطار، عليّ السفر فالجمعية لديها اجتماع هام، ولا بد من حضوره، لذا كلمني حاتم لإلغاء الرحلة، ولكن حتى هذه اللحظة لم أستطع".
قال كريم مطمئناً: "لا داعي لإلغاء السفر، فجوليا بخير، وسأبقى إلى جوارها فلا تقلقي".

هدأت ماجدة وقالت: "عزيزي كريم، أنت متأكد أنني أستطيع السفر؟".

ابتسم كريم حتى شعرت ماجدة أن صوت ابتسامته قد وصلها وقال: "لقد أخبرني الطبيب أن إصابتها بسيطة، وليست بحاجة إلا لبعض الراحة".

فقلت ماجدة بصوت شارد: "يبدو أننا جميعاً بحاجة إلى الراحة".

فقال كريم: "أنت محقة".

تنهدت ماجدة وقالت: "في خضم ما يحدث ربما كنت أنا أقل المتضررين يا عزيزي".

ابتسم كريم بسخرية: "لا أحد يعلم من هم المتفعون في النهاية يا خالتي ولكنني بالتأكيد لست منهم".

قالت ماجدة بصوت العالم بفحوى الأمور: "ورغم كل ذلك، أرى حب جوليا في كل خطواتك يا عزيزي لذا أنا مطمئنة، مهما كانت الظروف فلا بد للزمن أن يقول كلمته".

قال كريم بنبرة متسائلة: "هل أصبحت يائساً حتى أنتظر الزمن؟".

فقلت ماجدة بنبرة متلعثمة "لا.. لا أقصد ولكن..".

قاطعها كريم مبتسماً: "أتمنى أن تبقى الأمور في نصابها آنذاك".

فقلت ماجدة بنبرة قلقة: "ماذا تعني؟".

ابتسم كريم قائلاً: "أعني أن النداء الأخير لطاثيرك أسمعته من خلال هاتفني، عليك المغادرة وإلا فاتك الاجتماع، لا تقلقي جوليا بخير وإن استيقظت سأجعلها تطمئنك".

فقلت ماجدة وهي تهم بالمغادرة متوجهة نحو الطائرة: "حسناً، يا كريم شكراً لك". صمتت قليلاً ثم قالت: "اعتنِ بنفسك أيضاً يا عزيزي".
فقال كريم بنبرة مؤكدة: "أكيد، لا تقلقي وأنت أيضاً اعتني بنفسك، رحلة موفقة".

أقفلت ماجدة الخط ثم أسرعته نحو البوابة المتوجهة نحو ممر الطائرة وكلمات كريم الأخيرة لا تزال تطرق أذنيها بقوة شاعرة بأن الملل قد علا قلب كريم زوج ابنتها في معركة الحب الخاسرة هذه من البداية، وأن غضب ابنتها الممزق والمتناثر حول الجميع استطاع أن يطلق الرصاصة الأخيرة على قلبه المشتعل. جلست ماجدة في مقعدها وعقلها الشارد يخلق بين الغيوم المحيطة بالطائرة بحثاً عن إجابة ستبقى عالقة دوماً بين كريم وجوليا!

كان حاتم يجلس بين أعضاء الحزب بذهن شارذ غير قادر على أن ينسى رنين جملة ابنته الأخيرة، لقد أسقطت ابنته ورقة التوت الأخيرة بجملتها تلك لتعريه أمام ذاكرته الثورية الماضية حينما كانوا يلقبونه بكاسترو الجامعة، فقد كان شاباً ثائراً يسعى نحو الحرية حينما كانت المقاومة لغة محكية وليست أجندة سياسية، ورغم علمه التام أن المقاومة هي الحقيقة الصحيحة في كل زمن، إلا أن عمله الطويل في الحزب جعله يتقن فن السياسة، فينمق الكلام تارةً، ويرسم المفاهيم تارةً أخرى، وتبقى الحقيقة بين طيات جدران المقرات ترسم للشعوب كما يرغب اللاعبون الكبار!

قاطعه صوت حكمت وهو يقول: "ما رأيك أنت في كلامنا يا حاتم؟".

قال حاتم معتذراً: "عفواً، لم أسمع جيداً ما كنت تقول".

فقال حكمت وهو يقترب منه: "يا رئيس الدولة القادم في الوقت الحالي نحن نحيا فترة مفصلية لذا عليك أن تكون متيقظاً لكل ظرف أو حدث".

فقال حاتم بصوت تشوبه العصبية وهو يشير بيده نحو حكمت "وأنت عليك أن تراقب نفسك قبل أن أضطر لمراقبتك فأنت تتحدث مع رئيس الدولة المنتظر".

فوجئ حكمت برد فعل حاتم الانفعالي الذي بدوره جعل الصمت يدب في الحزب وأعضائه لتعلو حدة التوتر في نفوس الجميع والتي كانت واضحة على وجوههم، ربما استطاع الحزب التهرب من إعلان جوليا للمفاوضات، ولكنهم ما زالوا متورطين فيه رغم دبلوماسية حاتم التي أوضحت أنه أحق الأعضاء بالترشح للرئاسة.

اقترب عارف من حكمت وحاتم محاولاً تخفيف وطأة الحوار بينهما، وقال وهو يزيح الكرسي إلى جانب حاتم: "حاتم الآن علينا التركيز جيداً، فالأحداث توالى بشكل سريع، لذا سنسعى جاهدين للوصول إلى قبة الرئاسة ليس من أجل الحزب فقط...". صمت عارف ثم اقترب من حاتم، وتمتم قائلاً: "بل من أجل تضحيات خُطت بأرواح نحبها".

نظر حاتم إلى عارف الذي ارتسم على وجهه معنى كل حرف همس به له، فهو يعلم مثله تماماً أن في هذا السباق السياسي

اللاهث، كان ولداهما هما حصانا السباق المرأهن عليه ولم تُحصد النتيجة بعد.

كان كريم يحاول أن يقترب من جوليا ليمسح جبينها المبلل بالعرق من شدة الألم، إلا أن حاجزاً دفعه للابتعاد، فنظرات جوليا الباردة التي كانت ترمقه بها طيلة الأيام الماضية لا تزال تغلفه، وجفاء الأيام وتناثرات أحداثها جعلت نفسه مرهقة، ولكنه رغم كل ذلك، كان متأكداً أنه لن يقوى على رؤيتها متألمة دون أن يقترب!

اقترب مرة أخرى عندها، بدأت عينا جوليا تتحركان ببطء لترياه بصورة غير واضحة، وما إن فتحت عينيها بالكامل حتى رأته أمامها يحدق إليها بنظرات حاوية، وقال بصوت قلق: "هل أنت بخير؟".

حاولت أن تستوي في فراشها متألمة ليقرب منها كريم سريعاً، ويحملها بين ذراعيه محاولاً مساعدتها على الجلوس وقال: "لقد طلب مني الطبيب ألا تتحركي إلا للضرورة فحال سافك سيئة يا جوليا".

"حسناً...".

"هل ترغيبين بشرب بعض الماء؟".

فأومأت رأسها بنعم، تناول كريم إبريق الماء، وصب لها كأساً، ثم ناولها إياه، وقال وهو يرجع الإبريق مكانه: "لقد أخبرني الطبيب أنك بحاجة للراحة لبضعة أيام. لذا، عليك ألا تجهدني نفسك، وتلازمي الفراش حتى لا تتطور حالتك".

قالت جوليا بصوت شاردا لا يخلو من الألم: "حسناً، سأبقى في الفراش، وإذا كنت ترغب بالمغادرة تستطيع طلب ممرضة لتعتني بي".

قال كريم بصوت هادئ: "كما تشائين، إن أردت ذلك أحضرت لك ممرضة".

فحدقت جوليا إلى كريم باحثة عن تعابير اعتادت أن تراها دوماً في عينيه لحظات ضعفها ولكنها لم تجدها؟! لم تكن تعلم لِمَ تبحث؟ وعمّ تبحث؟ ولكنها كانت تعلم جيداً أنها بحاجة إلى لحظة صدق تحويها ولم تكن تعلم لِمَ كانت تراها في كريم كلما ضاعت منها في تفاصيل الدنيا رغم أنه الكذبة الأولى في حياتها!

نهض كريم ليخرج من الغرفة حتى يترك جوليا ترتاح وليطلب لها ممرضة كما طلبت وما أن اقترب من الباب حتى سمع صوت جوليا يقول بنبرة مشروخة "ما الحقيقة يا كريم؟!".

وقف كريم طويلاً وهو يدير ظهره فقد كان يتألم لضياح جوليا بين غيابات القصص المحاكة والأعياب الحزب الطويلة فهو يعلم جيداً أن للحزب قواعده الخاصة به. لذا، لم يفكر يوماً أن يخطو خطى والده أو حتى يتبعها، وقبل أن يستمر في تفكيره كان صوت جوليا يتسلل إلى أذنيه مجدداً وهو يمتزج بالدموع التي كان أنينها واضحاً بكلماتها: "لِمَ اللعبة منذ الأزل وهي على الوتيرة نفسها؟ لِمَ يصنعون الأكاذيب حقيقة ونحن نصدقها؟ ولم تحظفنا أطراف الأفعوانة لتعلو بنا وتهبط فتحملنا نشوة المتعة اللحظية، فننسى أن للحقيقة وجهاً آخر؟ لِمَ يا كريم؟ أخبرني".

لم يستطع كريم أن يستدير نحوها، ولكنه أجابها وهو يحدق إلى الممر الطويل أمامه: "إذا كنت أنا وأنت حقيقة فلا تعريف للحقيقة يا جوليا". صمت كريم قليلاً، ثم أكمل قائلاً: "لا تفكري كثيراً، عليك أن ترتاحي الآن".

قالت بصوت منهك: "يبدو أنك تعتقد أنني أبحث عن دور الضحية كما قال أشرف".

عندها قال كريم بنبرة غاضبة وهو يستدير نحوها: "كفى... هل قال لك أشرف إنك تمارسين دور الضحية؟!". ثم أكمل بحنق: "أتعلمين أنك تثيرين شفقتي، إذا كان أشرف الكافوري اكتشف دورك الهزيل من بضع نظرات مختلصة، أفلا تعتقدين أنه بات بالياً أمام من يحيا معك تحت سقف واحد؟".

اقترب كريم من جوليا وصوته يعصف ببرود في وجهها وفي عينيه نظرة لم ترها يوماً: "إذا كنت تمزقين نفسك بين الحاضر والماضي بحجة ليلة اليخت، فكفي عن إلقاء اللوم عليها، وقفي أمام جوليا لتعلمي حقيقتك عارية بلا تفاصيل، فأنت من تريدين ذلك لا ليلة اليخت يا جوليا؟!". ثم اقترب منها أكثر وهي تزحف في فراشها مبتعدة، فسقط قميصها الحريري عن كتفها كاشفاً آثار ضربة بسبب حادث السيارة: "ابتعد...". فقال كريم وهو يقترب أكثر: "ولمَ ابتعد إذا كنت كل يوم أدفع ثمن ليلة".

قالت جوليا وهي ترتعد ونبرة الخوف تعتلي صوتها: "كريم ابتعد، إياك أن تقترب".

كانت جوليا تحدق مذعورة إليه وهي تقول متألماً: "ابتعد يا كريم". امتدت يد كريم نحو شعرها المنسدل والمشعث، وأزاح

شعرها قليلاً وهي لا تزال ترتعد، ثم مرر أصابعه بهدوء فوق كتفها المصاب وقال: "أتشعرين بالألم هنا؟". فحدقت إليه بصمت أجوف، ثم نهضت بقوة، وأخذت تضربه بيديها فوق كتفه العريض صارخة: "ابتعد عني، قلت لك ابتعد". أمسك يديها ثم احتضنها بقوة قائلاً: "لن أبتعد إلا حينما أقرر أنا الابتعاد، والآن اهدأي". كانت جوليا تضربه إلا أن يديه القويتين كانتا كفيلتين أن تثبتا يديها وكل جسدها المنهك بين أحضان كتفه القوي ليمسك برأسها رغماً عنها ويدفنه في صدره هامساً: "أحبك... نعم أحبك فلتهدأي الآن".

وما كادت شفتاه تقتربان من جبينها حتى شعر بالحرارة العالية التي كانت تجتاح جسدها فحدق إليها وقال وهو يمسكها بين ذراعيه بقوة خوفاً من تسلل اللحظة: "لا تخافي فأنا ما عدت أجد القنص يا جوليا". تنهد قليلاً ثم أكمل قائلاً: "عليك أن ترتاحي قليلاً، يبدو أنك مصابة بالحمى".

رفعت جوليا رأسها وعيناها الذابلتان تحدقان إليه بألم، فبالرغم من السراب الذي يفصل بينهما، كان هناك حقيقة واحدة تجمعهما في هذه اللحظة لم تعرف ما هي، ولم تدرك ما مسماهما، ولكنها حقيقة بكل تأكيد عندها تمتت قائلة: "نعم إنها حقيقة". وما أكملت جوليا جملتها حتى سقطت مغشياً عليها بين ذراعي كريم المترنح حائراً بين الحقيقة والسراب!

غفوة الذئاب

استيقظت جوليا ببطء وهي تشعر بآلام في مختلف أنحاء جسدها المرهق، وما أن استدارت حتى وجدت كريم مستلقياً على الكرسي بإفهامك ورأسه محي إلى الخلف قليلاً فعلى ما يبدو أنه أمضى ليلته بين السهر والنوم المتقطع التي كانت آثاره واضحة على عينيه الغائرتين واللتين تحلقت حولهما هالات سوداء، جعلت جوليا تدرك بأنهما لم تمض ليلة أو اثنتان وهي على هذه الحال.

نهضت من سريرها بحركة بطيئة، واقتربت منه بهدوء لتحاول إيقاظه، ولكنها وقفت للحظات فجسده الرياضي كان متهاوياً فوق الكرسي بإفهامك واضح، وباتت متأكدة أن كريم لم يحضر ممرضة بل آثر أن يرهاها بنفسه، حاولت أن تقترب لتمسح شعره المشعث بلمسة خفيفة من يدها إلا أن يدها المرتعشة تسمرت مكانها.

"لم حتى هذه اللحظة لا أستطيع؟!". اقتربت من كريم أكثر، إلا أنها تراجعته خطوة حينما تحرك كريم في كرسية قليلاً ما جعله يشعر بألم في جسده نتيجة نومه غير المريح على الكرسي الخشبي بجانب جوليا ففتح عينيه ليجدها تقف أمامه، عدل جلسته سريعاً وحدث إليها قائلاً بصوت متناقل: "ما بك هل أنت بخير؟ ماذا تفعلين هنا؟ عليك أن تبقي في الفراش فساقك ما زالت متعبة".

كانت جوليا تنظر إليه نظرات غير واضحة، إلا أن شعورا غريبا من الدفء سرى داخلها حين سمعته يتكلم عن ساقها رغم تعبه الواضح نتيجة للسهر الطويل، مشت قليلاً لتريح المقعد، وتجلس قبالتها، فنهض كريم مسرعاً وتوجه نحو المقعد ليزيجه لها لتجلس ثم مد ذراعه لتتكئ عليه محاولاً مساعدتها في الجلوس، حدثت إليه قليلاً، مدت يدها ببطء، فلاحظ كريم ارتعاشة خفيفة في كف يدها، فقال لها بهدوء بعد أن ابتعد عنها قليلاً: "هل تستطيعين الجلوس وحدك؟ حاولي فلربما ساقك تحسنت". هزت رأسها وقالت: "أعتقد ذلك فحينما نهضت عن السرير لم أشعر بألم شديد". توجه كريم نحو الحمام، ثم عاد نحو مقعده بعد أن غسل وجهه وبلل أطراف شعره ممرراً أصابعه من خلاله ليحاول تسويته وقال وهو يجلس ثانية: "حسناً ذلك جيد أعتقد أن ساقك باتت تتحسن". وما أن أكمل جملته حتى كانت جوليا تحاول الجلوس ممددة ساقها نحو الأمام، فشعرت ببعض الألم فقال كريم: "لقد أحررتني الطيب أن الراحة كانت مفيدة لحالتك مما جعلها تتعافى بشكل أسرع".

هزت جوليا رأسها بشروء: "نعم".

لقد كانت هذه هي المرة الأولى منذ زواجها بكريم تجلس معه جلسة ودية خالية من المشاحنة أو التوتر وللمرة الأولى يجلسان فقط لتبادل الحديث أمام نافذة التراس الكبيرة أمامهما والتي كانت الشمس فيها تعلن بوادى الربيع الذي بدأ يزهر في الأنحاء لتعود أرض الحديقة الخارجية تكتسي بخضرتها المزهرة وألوانه المتناثرة هنا وهناك.

"أترغبين بتناول الإفطار فأنت لم تأكلي منذ مدة".

"منذ متى وأنا على هذه الحال؟".

فأجابها كريم وهو يفتح باب التراس: "منذ أسبوع تقريباً".
نهضت ببطء، وتوجهت نحو التراس حيث كان يقف، وبخطوات
شبه متعثرة خرجت إلى التراس فاستدار كريم مستعداً ليساعدها في
حال سقوطها إلا أنها استطاعت أن تصل إلى المقعد الموجود على
التراس وقالت وهي تجلس: "ألم تحضر الممرضة؟".

فأجابها كريم بعد أن استدار والشمس بدأت تلقي بأشعتها
بعد أيام باردة مضت: "لا، لأن الممرضة التي أعرفها كانت في
رحلة بسبب إجازتها السنوية. لذا، لم أرغب بأن أجرب واحدة
جديدة وأنت في هذه الحالة". صمت قليلاً ثم أكمل قائلاً: "ولكن
كان والدك يحضر للاطمئنان عليك كل يوم ووالدتك كانت تتصل
في اليوم عدة مرات فهي قد اضطرت للسفر يوم سقوطك في المؤتمر
بسبب اجتماع طارئ في الجمعية ورحلتها تستغرق عشرة أيام على
الأقل". ثم أردف قائلاً: "كانت ستلغي الرحلة، ولكنني أخبرتها
أنه لا حاجة لذلك فأنا سأرعاك". فقالت جوليا: "ولم فعلت
ذلك؟".

استدار كريم نحوها وسألها: "فعلت ماذا؟".
فأجابته جوليا وهي تنظر إليه: "لم فضلت أن ترعاني وحدك؟".
فنظر إليها كريم وبات الإرهاق واضحاً في عينيه ولم يجبهها
فأكملت قائلة: "كان من الممكن أن تحضر أي ممرضة وليس
بالضروري ممرضتكم الخاصة". صمتت ثم أكملت: "وكان من
الممكن أن تجعلني أقيم في المشفى حتى تتحسن حالتي".
فابتسم كريم وقال: "حتى لا تصبحي طعماً سائغاً للإعلام".
فاقترب كريم منها وقال بصوت هادئ: "إنك يا عزيزتي بتّ الناطق

الرسمي للحزب، ولا يمكن أن يكون أول ظهور لك بعد المؤتمر، وأنت على فراش المرض، وللسبب نفسه لم أحضر ممرضة جديدة لا أثق بها". فقالت جوليا متسائلة وهو يسير متوجهاً للدخل: "من أجل الإعلام؟!".

وقف كريم قليلاً، ثم استدار نحوها وقال: "بل لأجلك". صمت قليلاً ثم قال: "سأذهب لأحضر الإفطار عليك أن تتناول الدواء". لم تجب جوليا برد، ولكنها أومأت وصمتت وما أن غادر كريم حتى رن هاتفها الخليوي فتناولته مجيبة: "أبي.. كيف حالك؟".

أجابها حاتم بلهفة: "يا عزيزتي لقد تحسنت أخيراً". فقالت بهدوء: "نعم.. أنا بخير".

فسألها حاتم: "هل ساقك تؤلمك؟".

فأجابت جوليا وهي تدلك ساقها بشرود: "قليلاً..". ثم أكملت قائلة: "أعتقد أن الطبيب سيحضر اليوم ليفحصها، ولكنني أشعر بالتحسن".

سرت الراحة في نبرة حاتم وقال: "ذلك جيد".

فسألته جوليت: "ألم تصل والدتي من رحلتها بعد؟".

فأجابها حاتم بحذر: "لا، ولكنها ستصل خلال اليومين القادمين". صمت قليلاً ثم أكملت قائلاً: "لقد حاولت جاهدة أن...". فقاطعتها جوليا قائلة: "نعم.. نعم أخبرني كريم بذلك لا بأس". شعر حاتم بصوت ابنته كالقادم من بعيد، فقد كان يغلفه برود لم يعتد عليه، ولكن كان في قلب ذلك البرود حنين، كان يميزه حاتم جيداً: فقال "جوليا يا ابنتي...". ولكن جوليا لم تجعله يكمل جملة وقالت:

"أبي... وحدك تعلم أين نصاب الأمور الحقيقي، لذا لا داعي للكلام". فوجئ من رد ابنته، ولكنه تأكد بأن جوليا بدأت تتعافى فعلاً!

فقال حاتم منهياً الحديث: "حسناً يا ابنتي أراك لاحقاً، اعتني بنفسك".

"نعم لا تقلق... وداعاً". أغلقت جوليا الهاتف، ونهضت ببطء نحو الداخل متجهة إلى الحمام، غسلت وجهها ورقبتها، وبللت شعرها محاولة أن تبتث بعض الحيوية في وجهها الباهت، ثم تناولت بيجامة حريرية بلون عاجي وارتدتها وعادت تسير بخطاها المتعثرة نحو التراس، فوجدت الصحف ملقاة على الأريكة تناولتها أثناء سيرها، وجلست على الكرسي في الخارج.

بدأت جوليا تقلب الصفحات بعث، وما أن قرأت العناوين الرئيسية حتى بدأت نظراتها تلتهم الصحيفة غضباً، فأحد الأخبار سطرت خطوطه تحت العنوان التالي "اختفاء الناطق الرسمي باسم الحزب المرشح للرئاسة عن الساحة السياسية".

ثم تناولت جوليا الصحيفة الثانية لتقرأ عنواناً آخر: "الناطق الرسمي للحزب دماء شباب جديدة أم رأي شبابي مخالف؟! وتناولت الصحف واحدة تلو الأخرى لتجد أن الصحافة بدأت تنهش غياها لتمزقها وتمزق الحزب.

وضع كريم الإفطار أمامها، وأزال الصحف الملقاة على الطاولة بينما كانت صحيفة في يدها تقلبها وقالت بصوت شارد: "علي مغادرة المنزل والقيام بجدول الأعمال الذي كان منسقاً لي بعد المؤتمر".

قال كريم بنبرة هادئة: "الطبيب سيأتي بعد قليل عندها تستطيعين سؤاله عن الأمر".

"لن أنتظر قرار الطبيب عليّ المغادرة الآن". صمتت قليلاً، ثم أكملت كمن يحدث نفسه: "إن ظهوري بساقي المصابة سيخرس جميع الأفلام الوصلية والتي تسعى لاقتناص اللحظات".

قال كريم: "جوليا...". فقاطعتها قائلة: "عليّ أن أخرج". فأجابها كريم: "أخرجي... واعلمي ان منصبك الآن بحاجة لدراسة كافة القرارات".

فقلت جوليا بنبرة ساخرة: "وهل باتت العقلانية حليفك يا كريم؟".

فاقترب منها وعضلات وجهه تنقبض بشكل واضح، فأشاحت بوجهها عنه خجلاً من نفسها التي ما زالت تحاول إتهام كريم باللوم كلما أتاحت لها الفرصة، وما أن بدأت تفكر حتى قاطعها صوت كريم قائلاً: "بت تتقنين كل الكلام يا جوليا إلا الشكر". فقلت بغصة جملتها مبتورة: "شكراً...".

فقال كريم وهو يستدير نحو الخارج "لست ممن يتوسلون الثناء". صمتت قليلاً، ثم أكملت كلامه وخطواته باتت أبعد "وأعتقد أنك بت قادرة على الحركة، لذا سأكون بالأسفل منتظراً قدوم الطبيب".

كادت جوليا أن تناديه، ولكن فرّت الكلمات منها هاربة، فصمتت وسمعت خطواته السريعة وهي تنزل الدرج نحو الأسفل. وما أن اختفى صوت خطوات كريم، حتى علا صوت هاتفها ليرن قبل أن ترن الكلمات في ذهنها المبعثر، تناولت الهاتف وقالت: "سيد أشرف... أهلاً".

ابتسم أشرف على الطرف الثاني للمكالمة وقال: "جوليا! من الجيد أني أسمع صوتك مجدداً". صمت قليلاً ثم أردف قائلاً: "لقد اعتقدت أنني سأفقد حوارك المشحون بالاستفزاز دائماً". أجابت جوليا ببرود: "بل أنا التي تعتقد أن غيابي كان حاضراً لدى الجميع وخاصة قناتك".

فضحك أشرف وقال: "ألم أقل لك أنني افتقدت حوارك المشحون بالاستفزاز؟!".

"شكراً لك، فحادثة السير التي كنت سببها جعلتني أصبح حديثاً سائغاً للإعلاميين والصحف الرخيصة".

"إذن لا بد أنك قرأت الصحف الماضية".

"وهل هناك صحف حاضرة لم أدر عن فحواها؟".

"ربما.. ولا أربغ أن أكون من ينقل فحواها".

"ماذا تعني؟".

"لا أعني شيئاً..".

عندها قالت جوليا بنبرة بدأت تكسوها بالهدوء "لقد كنت سبباً في غيابي عن قلب الحدث لمدة أسبوع. لذا، أعتقد أنه من النبيل الإعلامي أن تطلعني على الوضع الراهن".

قال أشرف بنبرة متهكمة: "نعم، صحيح وكنت سبباً أيضاً بأن يضعك السيد كريم في إقامة جبرية لا تسمح لأحد بالوصول إليك".

"وله الحق في ذلك".

"إذن دعيه يفتح البوابة للإعلاميين حتى لا تتواري عن الأنظار أكثر معتقدين أنك هاربة من دورك الجديد". صمت قليلاً ثم أكمل

قائلاً: "رفض كريم استقبال مذياعي قناتي مردداً أن الطبيب لم يسمح لك بذلك حتى تتعافي تماماً".

صمتت جوليا قليلاً، وكان أشرف يراقب حتى أنفاسها محاولاً ترجمة ما يجول في فكرها من خواطر، ولكن برود جوليا على الطرف الثاني من المكالمة جعله يصمت هو الآخر، ثم قالت بعد برهة: "لقد كنت مصابة بالحمى".

عمّ الصمت ثم قال أشرف ونبرة قلق باتت تشوب صوته حاول إخفاءها إلا أن جوليا استطاعت رصدها بسرعة: "أكنت مريضة إلى هذا الحد يا جوليا؟".

فابتسمت جوليا كصياد أسقط فريسته وقالت: "بالطبع كنت مريضة جداً يا سيد أشرف، واليوم هو اليوم الأول الذي أستعيد فيه وعيي وأستيقظ لأجدك على الطرف الثاني من هاتفي تتهكم على إصابة أنت المسؤول الأول والأخير عنها".

تلعثم أشرف وقال: "أنا... لقد ظننت".

ارتسمت الابتسامة أكثر على وجه جوليا وقالت: "ظننت ماذا؟ أنني سأواري نفسي خلف ستار الخوف من المواجهة بعد إعلان الحرب! أنا جوليا الريزوني يا سيد أشرف ابنة رئيس الدولة القادم والناطق الرسمي باسم الحزب".

"وأعتقد أن الحزب أتقن الاختيار هذه المرة". صمتت قليلاً ثم قال: "أعتذر لم أكن أعلم أن إصابتك كانت بالغة إلى هذا الحد، واسمحي لي بأن أحضر للاطمئنان عليك".

فقالت جوليا وهي تنهي الحديث: "لا بأس أهلاً بك... وداعاً".
أجاب أشرف بشرود: "وداعاً".

أغلقت جوليا الهاتف، وتوجهت نحو الدرج محاولة النزول إلى الطابق السفلي، ولكن ساقها كانت تؤلمها إلا أن حوارها مع أشرف كان يدور في رأسها كالدوامة.

"إذاً لا بد أنك قرأت الصحف الماضية".

حاولت جوليا الاستناد إلى حافة السلم، والنزول ببطء متوجهة نحو الأسفل، وعندما سمع كريم محاولاتها المتعثرة، نهض راضياً نحو الدرجات وقال بقلق: "ماذا تفعلين؟".

فأجابت جوليا وهي تدير وجهها عن كريم: "أحاول النزول إلى الأسفل".

فأمسكها كريم من ذراعها وقال: "ألا تعتقدين أنني أرى ذلك؟". ثم أكمل قائلاً: "ولكن لِمَ؟ ما زالت ساقك متعبة عليك ألاّ تجهدتها".

فقالت جوليا بعصبية: "هل منعت الصحفيين والإعلاميين من مقابلي وأنا مصابة؟".

فأجابها كريم بسؤال فاجأ جوليا: "هل تحدثت مع أشرف الكافوري؟".

حاولت جوليا التهرب من سؤاله بأن كررت قائلة: "لم تجبني، هل منعت الصحفيين والإعلاميين من مقابلي وأنا مصابة؟".

فقال كريم: "إذاً لا بد أنك تكلمت مع أشرف الكافوري".

كانت جوليا تنزل الدرجات ببطء وهي تتكلم بجدة وعصبية: "لِمَ تتخذ قراراً كهذا نيابة عني؟ انظر ما الذي حصل بسبب قرارك".

كان كريم يحاول مساعدتها نزول الدرجات حينما قال لها بتوتر: "أعتقد أنني لست بحاجة لتبرير ما حصل".

فتوقفت قليلاً ثم قالت وهي تشيح بوجهها عنه: "حتى وإن كنت مصابة بالحمى كان عليّ أن أرى أي واحد فيهم حتى لا أصبح حديثاً سهلاً تتناوشه الصحافة".

فقال كريم بسخرية: "وتجيبين عليهم بملوسات الحمى!".
قالت جوليا وهي تحاول الوصول إلى الأسفل: "بالطبع بدلاً من العناوين العريضة التي كانت تغزو صفحات الصحف طيلة الأسبوع الماضي".

فقال كريم بعث: "إن انخفاض نسبة التأييد لحملة حزبك الشرسة لم تكن ستنقذها الحمى". استدارت جوليا نحوه بعينين مشدوهتين: "ماذا تقول؟ انخفضت نسبة التأييد لوالدي في الحملة!".

حاولت جوليا النزول بسرعة عبر الدرجات المتبقية ما جعل كاحلها يلتوي ألماً، فصرخت وكادت أن تسقط ليركض كريم مسرعاً على الدرجات محاولاً التقاطها قبل أن تسقط أرضاً، إلا أنه لم يستطع ذلك فسقطت عليه مسقطاً إياه معها.

كانت جوليا تتألم إلا أن ساقها كانت فوق ساق كريم مما جعل سقوطها أقل ضرراً، كانت نظراته تنساب فوق جسدها المتعب تجوب فوق تفاصيله المخفية تحت القميص الحريري وأنفاسها الدافئة تبعث الروح في نفسه المنهكة من جديد، وشعرها الذي انسدل فوق كتفه وعنقه العريض كان يداعب بقايا لشعور ما زال يقبع في داخله، مد كفه ولملم شعرها المتناثر فوقه، حاولت جوليا التهرب من عينيه اللتين تسترقان كل تفصيل في جسدها حتى ولو من خلف الثياب. شعرت بالتوتر يعتربها، ولكن شعوراً بالراحة انساب في نفسها ويدي كريم القويتين تمسكان بها خوفاً عليها من السقوط.

نظرت إلى عينيه اللتين كانتا تحملان بريقا يجبو بين الحين والآخر خوفاً مما قد تحمله كلماتها التي ستنتطقها فيما بعد، عندها أرخت ذراعيها وألقت برأسها فوق صدره العريض. مرر كريم أصابعه بين خصلات شعرها محاولاً محو كل ما علق في ذاكرتها من ألم، ثم هض ببطء، وهو يحملها بين ذراعيه ليضعها على الأريكة. جثا أمامها ناظراً إلى عينيها بشكل مباشر، حاولت جوليا التملص من نظراته التي بدأت توقظ ما لا تستطيع إدراكه، فوقفت على قدميها محاولة النهوض وحدها، إلا أنه أمسك ذراعيها وقال بنبرة حازمة لا تخلو من الدفء: "طالما أنت في هذه الحالة فأنا من يقرر كيف تتحركين في المنزل".

حدقت جوليا إليه يائسة، لأنها تعلم أنها لن تستطيع الحراك إلا بمساعدته، وجلست على الأريكة. اقترب منها وهو يفحص قدمها التي سقطت عليها محاولاً تحريكها ببطء ما جعلها تتألم "هل تشعرين بألم أكثر من قبل؟" فقالت جوليا بشرود: "لا أدري..". وضع كريم ساقها فوق الوسادة الصغيرة وقال: "سيصل الطبيب بعد قليل، هو سيخبرنا إن كنت بخير" حدقت جوليا إليه وهو يتعد عنها متوجهاً نحو الكرسي الذي يقبع قبالتها وجلس عليه لتقول له: "هل حقاً انخفضت نسبة التأييد في حملة والدي؟" فأجابها كريم وهو ينهض متوجهاً نحو الصحف الملقاة على رخام المطبخ، ثم ناولها إياها قائلاً: "لقد شعر الشعب بعدم مصداقية حزبكم اتجاه قضية المقاومة، هذا ما ذكرته الصحف".

قالت جوليا بنبرة متألمة: "ولكنني أعلنت موافقتنا على المفاوضات".

فقال كريم: "نعم، لكن الشعب ينظر إلى الأمر كمسرحية هزلية يمارسها الحزب عليهم من خلال ابنة الرئيس وبسبب غيابك تأكدت الصورة لهم". صمت كريم ثم أكمل قائلاً: "وأعتقد إن تحسنت وبدأت بتطبيق جدول أعمالك المتفق عليه مع الحزب وبعد إجراء مجموعة من اللقاءات الصحفية والإعلامية لتوضيح سبب غيابك قد تتحسن الصورة".

فقال جوليا بحزم: "يجب أن تتحسن الصورة".

حدق كريم إليها ليجد فيها هم الذئب في براري الزمن القاحلة، تلتهم نفسها قبل التهام الفرائس، ثم استدار نحو الباب الزجاجي الكبير أمامه وقال: "احذري يا جوليا فالتيار يشدك وأنت لا تجيدين العموم". وما أن أكمل جملته حتى رن جرس الباب ليفتح كريم ويجد الطيب أمامه.

عين على الحدث

كان هشام جالساً خلف الشاشات محاولاً توجيه رجال الكاميرا استعداداً لبث الحلقة الأسبوعية للبرنامج في موعدها المحدد كالمعتاد حين أقبلت الفتاة نحوه وناولته الهاتف قائلة: "السيد أشرف على الهاتف".

تناول هشام الهاتف وقال: "سيد أشرف نعم إننا سنكون على الهواء خلال دقائق... ماذا؟ لا بالطبع لا أستطيع فأنا لست مخرج تقارير الجبهة". صمت قليلاً ثم تلعثم قائلاً: "نعم، ولكن... يا سيد أشرف، حسناً حسناً سأفعل". أقفل هشام الهاتف وهو يتمتم قائلاً: "غط الأحداث الموجودة في الشارع الرئيسي الآن وفوراً أنا في طريقي إليكم". ثم عاد لينادي المساعدة وقال: "اجمع الطاقم فوراً". فنادت الفتاة على الجميع وأخبرتهم أن عليهم الحضور فوراً في اجتماع طارئ مع المخرج. وقف الجميع أمامه وقال هشام: "من من الطاقم متواجد في الجبهة الآن؟".

فأجاب أحد الشباب: "سمير ورفعت" قالت فتاة أخرى: "ولمياء في الشارع العام لأن هناك مظاهرة حاشدة ضد الأحزاب المرشحة". فقال هشام بسرعة: "كلمي لمياء فوراً، وأخبريها أنها ستكون على الهواء خلال دقائق لتغطية الحدث".

صمت الفتاة بدهشة، ولكن صوت هشام المنفعل جعلها تستعيد تركيزها حين قال: "هل سمعت ما قلت؟! كلمي لمياء فوراً". فقالت الفتاة وهي تتناول هاتفها: "نعم... حسناً سأكلمها الآن". وغادرت المكان بينما أكمل هشام كلامه قائلاً: "أما أنتم فعليكم تقسيم العمل الآن، سنقوم بإجراء بث مباشر بين الشارع وجبهة الحرب، سنعمل على تغطية الحدثين معاً وفوراً". صمت هشام قليلاً، ثم أردف مكملاً: "فلنبداً الآن، بلغوا الشباب في الجبهة أننا سنقوم بتغطية الحدث معهم بشكل مباشر خلال دقائق، ولكن نحتاج أيضاً إلى تغطية الأحداث القائمة في الأرجاء من مظاهرات وآراء الحشود في الميادين والساحات في مختلف الدول المجاورة".

غادر الجميع، وكان استديو المحطة يضحج بالحركة السريعة محاولاً استيعاب التغييرات السريعة والدقيقة التي تمت في اللحظات الأخيرة، فكان بعض الشباب يهاتفون المراسلين في الجبهة، والباقون يجهزون وسائل التواصل معهم عبر القمر الصناعي لبث الأحداث. في تلك الأثناء، عندما سيطرت حالة الانشغال التامة على المكان، بدأ الاستعداد لبث أحداث المظاهرة الرئيسية التي كانت تحدث في قلب العاصمة، كما بدأ يظهر في الكاميرات الموجودة في الميدان مجموعة من المتظاهرين الذين يحملون شعارات ضد الحرب ومع المقاومة وضد الانتخابات الرئاسية التي تتسابق مع الزمن في الوقت الحالي، وما أن نادى منتجة البرنامج بالعد التنازلي حتى اتخذ الجميع أماكنهم محولين الاستعداد للبث المباشر، ثم علا صوت الفتاة وهي تقول: "خمس ثوانٍ للبث المباشر".

بدأت المذيعة افتتاحية الحلقة قائلة: "أهلاً بكم أعزائي المشاهدين مع هذه الحلقة الجديدة من برنامجنا الأسبوعي - عين على الحدث -" صمتت قليلاً، ثم أكملت: "وبناء على الظروف الراهنة التي تعصف بالبلاد قرر برنامجنا نقل الخبر من قلب الحدث، وبشكل مباشر من خلال تغطية خاصة تشمل كل من الشارع العام في الدولة، والذي يستعد لماراثون الانتخابات والحرب القائمة على الحدود المجاورة والتي تلعب دوراً هاماً وأساسياً في آراء الشارع العام، حيث دفعت الشعب للخروج في تظاهرة سلمية مؤيدة للمقاومة ودورها السياسي الفعال، وبين آراء المتظاهرين وإجراءات الحزبين لكسب الانتخابات تتأرجح كفتا الميزان حتى هذه اللحظة رغم رجاحتها لصالح الحزب الحاكم وفقاً للإحصاءات الأولية، إلا أن حزب التآلف الوطني يسعى للفوز في هذه الانتخابات بقوة من خلال عرض جدول انتخابي مميز وختم ذلك بخطوة جريئة من خلال إضافة السيدة جوليا ابنة المرشح الأول للرئاسة كعضو جديد في الحزب وناطق إعلامي رسمي باسمه، فهل كانت هذه الخطوات كفيلة بترجيح كفة الميزان لصالح حزب التآلف الوطني، أم خيرة الحزب الحاكم بالفوز المستمر وعبر السنين الطويلة كافية لفوزه؟ وهل الشعب سيصب صوته في كفة الميزان التي تميل إلى جانب الثورة؟ هذا ما سنستطيع معرفته من خلال حلقتنا المباشرة لهذا اليوم، أتمنى لكم متابعة مميزة معنا".

صمتت المذيعة، ثم أشار هشام بوضع الشريط الإعلاني بشكل سريع، وبعدها قاموا بالاتصال للتأكيد على المراسلين بالتواجد في أماكنهم استعداداً للبث المباشر.

كان وجود أشرف في المكان، قد جعل جميع العاملين بمن فيهم هشام على استعداد لأي حدث أو تعديل مفاجئ، تناول أشرف المايكروفون وقال للمذيع: "عليك التركيز على الحدث الرئيسي والذي هو المظاهرة، ثم قومي بربط الحدث مع الجبهة من خلال مجموعة من الأسئلة ستعمل المراسلة على طرحها على المتظاهرين". ثم أكمل موجهاً حديثه لهشام قائلاً: "حولني إلى المراسلين عبر القمر الصناعي".

هز هشام رأسه ثم قال: "ولكن علينا توخي الحذر تبقى دقائق للبت".

تحدث أشرف عبر القناة للمراسلين الثلاثة موجهاً مجموعة من التعليمات التي ستعمل على تنسيق الأحداث بالطريقة التي يراها أشرف تخدم الموقف والبرنامج معاً، وقال موجهاً كلامه للمساء مراسلة القناة في الميدان العام حيث المظاهرة: "عليك التركيز على الرأي العام وربطه بالمقاومة ومعرفة علاقته المباشرة بجوليا الريزوني واختفائها عن الساحة في الآونة الأخيرة، عليك جس نبض الشعب وثقتهم بحزب التآلف".

صمت ثم وجه كلامه للمراسلين في الجبهة قائلاً: "أما أنتم في قبلة الحدث الرئيسية. لذا، عليكم التركيز على قضية المقاومة ومعرفة من هم القائمون على تطوير الخلاف نحو الحرب، وهل هناك ضحايا لسياسة الحزبين، هل هذا واضح؟". ثم أكمل أشرف للجميع قبل الاستعداد للبت المباشر: "أنا لا أطلب منكم سوى نقل الحقائق بالصورة التي يريد أن يراها الشعب". فقال هشام مقاطعاً: "الصورة التي يريد أن يراها الشعب أم التي يراها الشعب؟".

ابتسم أشرف وقال: "إن استمرت بذكائك هذا قد تقف هنا يوماً ما". عندها صرخت منتجة البرنامج مقاطعة الجميع: "خمس ثوانٍ للبث". فقال هشام وهو يحدق إلى أشرف قائلاً: "نحن على الهواء".

كانت جوليا تحدق إلى شاشة التلفاز بصمت وحذر، وقدمها المصابة ممتدة أمامها وبجانبها كوب من القهوة تحاول شربه، إلا أن أعصابها المتوترة جعلتها تنسى وجوده، تناولت جهاز التحكم عن بعد، ورفعت الصوت عندما عاد البث: "في الشارع العام تقف تظاهرة سلمية كبيرة تحمل شعارات جميعها مؤيدة للمقاومة الشعبية القائمة على الحدود المتاخمة للبلاد، والدعوة لشجب الحرب والسعي لإنهائها على شعب بات أكثر من نصفه مشتتاً ما بين النزوح والتواري تحت أسقف البيوت الآيلة للسقوط، نتوجه الآن لمجموعة من المتظاهرين".

توجهت المراسلة إلى المتظاهرين وقامت بطرح السؤال، بينما كانت جوليا تستمع بإنصات شديد كأن السؤال موجه إليها: "ما هي مطالبكم الرئيسية في هذه المظاهرة؟".

أجاب أحد المتظاهرين: "نحن مجرد مظاهرة سلمية ترفع صوت الشعب إلى المسؤولين، فالحرب المجاورة هي حرب ظالمة على الشعب والمقاومة، وعلى دولتنا اتخاذ إجراء يتناسب مع مكانتها السياسية والقيادية وموقعها كدولة مجاورة لهم".

فتساءلت المراسلة لمياء: "ولكن ألا تعتقد أن دورنا كدولة مجاورة غير كافٍ، فهذه حرب بين المقاومة والقيادة في الدولة، ولا تمت لدولتنا من قريب أو بعيد".

عندها وقف أمامها متظاهر آخر قائلاً بانفعال: "لو كانت المقاومة تستحق أن تُشن حرب ضدها، فما ذنب الشعب والهاريين من الحرب والنازحين؟ أليس هذا أيضاً كفيلاً بأن يسبب البلبله على الصعيد الاقتصادي لدينا؟ أم أن أحزابنا ستعمل على قذف النازحين بعيداً عن الخريطة وتركهم على الحدود دون السماح لهم بدخول المنطقة والعيش بأمان مبتعدين عن آليات الحرب المدمرة التي لا تميز بين طفل وامرأة؟".

فقلت لمياء: "ولكن الأحزاب وافقت على الدخول في المفاوضات".

اقترب أحد المتظاهرين منها وقال: "أي مفاوضات هذه؟ تلك التي زعم حزب التآلف موافقته على الانضمام إليها بناء على الناطق الرسمي الجديد، ثم عاد لينكرها بصورة دبلوماسية سخيفة لا تليق بعقول الشعب الواعي للعبة السياسة". ابتسم الرجل بطريقة ساخرة، وأكمل قائلاً وهو ينظر إلى الكاميرا: "على الساسة أن يعلموا أن أوراقهم باتت محترقة، وأن طاولة اللعب لم تعد للكبار فقط، فالشعب لا يزال حتى هذه اللحظة هو الحكم، لذا أعتقد أن مصداقية الحزب الحاكم على مدار الأعوام الطويلة كفيلة بأن تجعلنا نصب ثقتنا في كفته لأنه حتى وإن كان ضد المقاومة لم يسخر من عقولنا كحزب التآلف". كانت جوليا تحديق إلى الشاشة متمسرة تسمع تصريحات المتظاهرين، ثم تناولت جهاز التحكم عن بعد، ورفعت صوت التلفاز حتى تستمع لباقي المتظاهرين بشكل أوضح.

اقتربت المراسلة لمياء من أحد المتظاهرين الذي كان يحاول أن يصل من بين الجموع وقال: "يا سيدي إن كان حزب التآلف صادقاً

في انضمامه للمفاوضات فأين هو الناطق الرسمي باسم الحزب؟ دم الشباب الذي ضُخَّ في عروق الحزب كما ادعوا، أين هي السيدة جوليا والتي حاولت أن ترسم هالة حول نفسها بإحساسها الحي بالشعوب ووقوفها دعماً للمقاومة؟ أم أن ابنة المرشح للرئاسة هي مجرد صورة لمحاولة تلميع الحزب".

اقترب أحد المتظاهرين من لمياء وقال: "يجب علينا ألا نظلم حزب التآلف أعتقد أنهم يقدمون جدولاً انتخابياً منظماً، ولكن يبدو أننا شعوب اعتادت على الوتيرة نفسها، وباتت تحشى التجديد لجهلها ما قد يخبئه صندوق المفاجآت، فلربما لو فاز حزب التآلف عدنا نادمين بكلمة لو أننا انتخبنا الحزب الحاكم". فاستغلت لمياء كلام المتظاهر وتوجهت بالسؤال إليه: "وهل تعتقد أن الحزب الحاكم أحق بالرئاسة من حزب التآلف؟ نظراً للخبرة الطويلة والمواقف السياسية التي كانت مرضية للشعب عبر السنين الماضية؟".

فقال أحد المتظاهرين مقاطعاً صديقه: "أي مواقف سياسية مرضية تلك التي قدمها الحزب الحاكم، يا آنسة نحن نرغب بمن يحمل أصواتنا على عاتقه، ويسعى لتمثيلنا على أرض الواقع، لا مجرد جداول انتخابية تغري أصواتنا للانتخاب، وما أن ينتهي السباق حتى تصبح مطالبنا حبراً على ورق".

اقتربت لمياء من المتظاهر وسألته: "وما هي مطالبك للأحزاب؟ إذا أردنا أن نقول إنك أحد الأصوات الناطقة باسم الشعب". فتوجه المتظاهر للكاميرا قائلاً: "أتمنى من حزب التآلف أن يثبت مصداقيته من خلال التفاوض على الحرب". فقالت لمياء متسائلة: "وما هي مطالبك للحزب الحاكم؟".

فقال متظاهر آخر: "أعتقد أن الحزب الحاكم أثبت مصداقيته على مدار سنوات طويلة، وحن لحزب التآلف أن يثبت لنا العكس إن أراد منا التصويت لصالحه". فأكملت لمياء أسئلتها: "وهل ستصوتون لحزب التآلف الوطني خاصة وأن الاقتراع لم يتبق له سوى أيام معدودة؟".

قال أحد المتظاهرين: "بل سنصوت للمصداقية" توجهت لمياء للكاميرا وقالت: "هذه كانت آراء المتظاهرين في الشارع العام يا نادين، ومطالبهم بشأن الحرب الدائرة في الجوار". فقالت نادين من الأستوديو: "أشكرك يا لمياء، وسنعاود التواصل معك بكل تأكيد، ولكن علينا الانتقال إلى جبهة الحرب الآن للاطلاع على الأوضاع الراهنة هناك". صمتت نادين قليلاً ثم أكملت: "معنا رفعت من الجانب الشمالي للجبهة، وسمير من وسط المدينة، أرجو منكم أن تطلعانا على الوضع الحالي بالنسبة إلى الحرب القائمة والتي كان قرار شتتها مفاجئاً للجميع رغم التمهيدات المسبقة لها".

أجاب سمير بعد أن حاول أن يستمع لباقي الكلام عبر القمر الصناعي، وهز رأسه ليبلغ الجميع أنه يسمع حوارهم، أما عينا جوليا فكانتا لا تزالان تشبثان بالتلفاز بعد أن استفزتها أقوال المتظاهرين تحاولان البحث عن إجابة تحل تساؤلات المتظاهرين اتجاه حزبهم.

"نعم نادين أسمعك، في الواقع إن الوضع هنا أكثر سوءاً من حد الوصف، فالدمار والقصف وضرب النيران من كل ناحية دون السماح للمدنيين بالخروج أو حتى مغادرة منازلهم بحثاً عن مكان آمن يلوذون فيه، فعجلة الحرب هذه لا تفرق بين مدني أو مقاوم فهي ترص الجميع تحت الخانة نفسها ألا وهي العدو، وفي الواقع كان هناك

مشاهد لم نستطع بثها لما فيها من صور قد تؤذي مشاعر المشاهدين". فقالت نادين بتأثر: "وهل مشاعر المشاهدين أكثر أهمية من أرواح الضحايا يا رفعت إذا كان هناك ما قد يقرب صورة الحدث أكثر فأرجو نقله إلينا ونحن سننوه للمشاهدين بذلك قبل العرض". فقال رفعت: "حسناً، سنقوم بنقل بعض المشاهد لاحقاً لضحايا الحرب وأغلبهم من النساء والأطفال والمدنيين العزل".

فقالت نادين: "وفي الوضع الحالي ما هي الأجندات السياسية المطروحة من قبل القيادة العليا؟".

فأجاب رفعت بصوت عالٍ نتيجة لتعالي أصوات تبادل إطلاق النار من بعيد: "في الواقع، إن القيادة العليا وضعت مجموعة من الملفات على طاولة المفاوضات، إلا أن التوصل للحل النهائي لإيقاف الحرب لا يزال معلقاً بسبب عدم التوصل لحلول جذرية على الخلافات الرئيسية مع المقاومة، والتي رفضت بدورها حضور هذه المفاوضات والتي أتمتها بالمفاوضات السورية، ودعت جميع مسانديها إلى مباركة المقاومة سعياً لحرية يراها كامل الشعب أنما حق أساسي لهم وليس مكتسباً".

فقالت نادين: "وماذا كان دور حزب التآلف الوطني في هذه المفاوضات؟ هل حقاً تم الانضمام إلى طاولة المفاوضات كما صرحت الناطق الرسمي السيدة جوليا الريزوني بذلك؟". فأجاب رفعت: "في الواقع لم نسمع بمشاركة حزب التآلف في المفاوضات، ولم يتوجه أي ممثل عن الحزب ليدخل ضمن حوار المفاوضات القائم حالياً بين القيادة العليا وجميع الأطراف السياسية المشاركة الساعية لإيقاف الحرب و...". ثم قاطع صوت إطلاق النار القريب رفعت عن الكلام

وقال بصوت عالٍ وكلمات متلاحقة: "هناك تبادل كثيف لإطلاق النار على الجبهة هنا وبات يقترب أكثر كما تسمعون، كما نرى أيضاً في السماء طائرات محلقة تتوجه لقصف المنازل دون تحذير مسبق للمدنيين".

انقطع الصوت فجأة ورفعت ما زال يتكلم فقالت نادين: "رفعت هل تسمعي؟ لقد انقطع الصوت، هل تسمعي؟".

عاد الصوت ثانية، وكان رفعت يقول بصوت لاهث وهو يجري مع المصور الذي كان يلتقط الصور بشكل سريع ومتعثر: "نعم، نعم، أسمعك لقد كان هناك تبادل إطلاق نار قريب جداً ما جعلنا في مرمى النار كما ترين، ولذلك اضطررنا للمغادرة بشكل سريع حتى تبقى أعيننا على الحدث دائماً، إن القيادة العليا تشن قصفاً قاسياً حالياً على مختلف المناطق بما فيها منطقتنا التي نقف فيها الآن".

توقف رفعت قليلاً، ثم قال بصوت مرتفع وهو ينظر خلفه مشيراً للمصور بأن يوجه عدسته هناك وأخذ يقول وهو يستدير باتجاه إطلاق النار: "أترين يا نادين هناك إطلاق نار كثيف على الجهة المقابلة، ويبدو أنه قد حصل اشتباك مباشر بين مجموعة من المقاومة الذين كانوا يعدون الكمائن لجنود القيادة". ثم أشار رفعت إلى الأعلى: "وها هي الطائرات تحلق وتقترب من المنطقة وعلى ما يبدو أنها ستقوم بقصف...".

توقف رفعت عن الكلام فجأة ثم قال: "إن القصف سيكون مباشراً هنا، علينا المغادرة هيا بنا بسرعة" ركض رفعت والمصور وباقي الطاقم، ثم انقطعت الصورة فقالت نادين بارتباك: "يبدو أن الاتصال قد انقطع مع الأستاذ رفعت في الجبهة، وسنقوم بالتواصل

معه لاحقاً للاطمئنان على جميع الطاقم، أتمنى للجميع أن تحفظهم السلامة وأن يكونوا بخير". صمتت قليلاً ثم قالت: "فاصل إعلاني ونواصل تغطيتنا المباشرة للأحداث من برنامجنا" عين على الحدث".

أفقلت جوليا التلفاز، وتناولت الهاتف متصلة بأشرف الذي أجاهها بنبرة متحمسة: "جوليا يبدو أنك أفضل حالاً من قبل وإلا لما اتصلت بي".

"ويبدو أن معدلات المشاهدة في قنواتك بدأت تزداد بعد هذه التغطية المميزة للأحداث".

"هذا هو دورنا الإعلامي".

"وهل دورك الإعلامي يقتصر على حزب التآلف الوطني يا سيد أشرف؟ فعلى ما يبدو أن الأحداث مرهونة بجزبنا فقط!".

"بل حزبكم الذي ما زال يخطو باستحياء في الساحة السياسية رغم تصريحاتك النارية في المؤتمر الصحفي السابق أم أنني أخطأت التعبير؟".

فقلت جوليا وهي تحاول إنهاء المكالمة: "بل أخطأت التقدير يا أشرف". صمتت ببرود ثم هدر صوتها بفحيح أثار أشرف وهي تقول: "تابع الأحداث عن قرب فقنواتك على ما يبدو ستحتاج لمصادقية في الأيام المقبلة".

أغلقت السماعرة دون أن تنتظر الرد منه، أما أشرف فبقي على سماعرة الهاتف للحظات، ثم أغلق الخط وتوجه نحو النافذة الكبيرة أمامه يحدق إلى المدينة المتلاشبية في زحامها وتخبط أحداثها، لتبقى جوليا في الجهة المقابلة تقبع في منزلها تعده بحدث ربما يكون هو السبب في شعور القلق الذي تسرب لنفسه دون أن يجد مبرراً له سوى أنها

جوليا، لربما مجرد ورود اسمها بجانب حدث الآن قد يثير قلقه! ولكنه بات متأكداً أنه عليه أن يجذر، فصوتها لا يزال يمر في حناياه مثيراً ذلك الإحساس في نفسه من جديد، فهل سبب الإحساس أنها جوليا أم لأنها مجرد الناطق الرسمي باسم الحزب الذي يسعى جاهداً ليجد فرصته بين ثغراته الواهنة والتي باتت واضحة أمامه؟! هز رأسه محاولاً طرد الأفكار من ذهنه المثقل بالأحداث واتجه نحو مكتبه وتناول سماعة الهاتف مكملاً كافة الإجراءات لتغطية باقي الأحداث مع فريق عمله في القناة.

كانت جوليا تذرع البيت جيئةً وذهاباً وهي تتكلم عبر هاتفها الخليوي محاولة تغطية الثغرات التي عرّأها أشرف الكافوري بقناته من خلال التغطية المباشرة للمظاهرات، وما أن أغلقت الهاتف بعد المكالمات المتعددة حتى عادت تحديقاً إلى شاشة التلفاز الصامتة وأخذت تراقب حشود الجماهير المتظاهرة والتي تحمل الشعارات وتعلوا أصواتها بالهتاف المكتوم نتيجة لوضع جوليا سماعات التلفاز على حالة الصامت، وبعد شروق مطول توجهت بشكل سريع نحو غرفتها رغم إصابتها التي جعلتها تسير بخطوات متعثرة فوق الدرجات.

فتحت الخزانة وتناولت بنظراً من الجينز وقميصاً كتانياً أبيض، ثم ارتدت حذاء رياضياً عملياً، عرفت شعرها للوراء، وارتدت قبعة رياضية، توجهت للأسفل بعد أن ارتدت نظارتها الشمسية وسارت بجذر فوق الدرجات، تناولت سترتها بشكل سريع وخرجت باتجاه

السيارة، ثم انطلقت مسرعة إلى حيث كانت تعتقد أنه الجواب الشافي
لتساؤلات الجميع عن غيابها وموقف الحزب والحل الوحيد لاستعادة
أصوات الناخبين. فلقد كانت جوليا تقود سيارتها مسرعة نحو
التظاهرة في الميدان العام!

لبؤة في العراء

كان كريم يسير في الطريق ببطء بسبب الأزمة التي سببتها المظاهرة الموجودة في الميدان العام للدولة حينما كان يقلب قنوات المذياع وما أن سمع المذيعة تقول: "السيدة جوليا الريزوني وصلت الميدان الآن ويبدو أنها تعاني من إصابة في قدمها سببت لها السير بشكل متعثر وواضح أثناء توجيهها للمتظاهرين" حتى أصابه الذهول فكلمات المذيعة جعلته عاجزاً عن التركيز، فكاد أن يرتكب حادثاً مع السيارة المقابلة له رغم توقف السير، توقف فجأة ضارباً المكابح ومعطياً إشارة لمن خلفه بوجود أزمة حادة أمامه ثم ضرب عجلة القيادة قائلاً: "جوليا أيتها المتهورة ماذا تفعلين؟!". وما كاد أن يكمل جملة حتى كان والده يتصل به فأجاب ليسمع صوت والده على الطرف الثاني للمكالمة: "أين أنت يا كريم كيف حدث هذا؟!".

فقال كريم متلعثماً: "لا أدري يا أبي لقد كنت خارج المنزل وسمعت الخبر مثلك تماماً".

فقال عارف بحنق: "لقد جئت هذه الفتاة! عليك أن تحذر زوجتك يا كريم فإنها تحوم في أرض من هب!".

فقال كريم بقلق: "أبي... ولم يكمل جملة لأن عارف كان قد أغلق الخط".

في تلك الأثناء، دخلت حكمت بعصية إلى المقر حيث كان كل من عارف وحاتم يجلسان ويراقبان الحدث عن طريق شاشة التلفاز، فنزل جوليا إلى الميدان جعل جميع القنوات تحتشد أمامها مغطية هذه الخطوة الجريئة التي لم يتخذها أي سياسي يتولى منصباً واضحاً في الأحزاب.

قال حكمت دون أن ينظر إلى الشاشة: "يبدو أن جوليا لم تدرك بعد ما معنى أن تكون عضواً في الحزب يا حاتم؟!".

لم يجب حاتم حكمت، وبقي يحدق إلى شاشة التلفاز حيث كانت جوليا تجري بعض اللقاءات الصحفية لبعض القنوات الأجنبية وقد تحلق حولها مجموعة كبيرة من المتظاهرين حينما اقتربت منها لمياء وقالت: "سيده جوليا هل لك أن تشرحي لنا سبب تخلفك عن ساحة الأحداث في الآونة الأخيرة؟".

ابتسمت جوليا التي كانت تضع نظارة شمسية كبيرة، وأشارت إلى ساقها المصابة وقالت: "أعتقد يا عزيزتي أن خطواتي المتعثرة كفيلة بالإجابة على سؤالك ولكن حتى أوضح للجميع، لقد كنت مصابة في ساقتي يوم المؤتمر ووقوفي الطويل في المؤتمر جعل حالتي الصحية تزداد سوءاً مما اضطرني للمكوث في المنزل الفترة الماضية". فأكملت لمياء سؤالها قائلة: "وما معنى نزولك للميدان اليوم كونك ابنة المرشح الأول للرئاسة والعضو الأحداث في حزب التآلف الوطني؟".

ابتسمت جوليا قائلة: "معنى تواجدي هنا اليوم أنني فرد من أفراد الشعب يا عزيزتي، أنا هنا جوليا فقط، بلا ألقاب، ولا أحزاب، أنا أمثل صوتي المتضامن مع الشعب لوقف الحرب على المقاومة الشعبية

والتي ما زلت أعتقد أنها ورقة التوت الأخيرة التي تحفظنا من تعريفة
أنظمتنا السياسية الممزقة داخلياً".

فعدت لمياء تتساءل: "وهل هذا تصريح رسمي؟". فقالت جوليا
وهي تبسّم مجدداً: "عزيزتي ألا يحق للسياسي أن يجيا دوره كفرد في
المجتمع أم أنه دائماً يقع تحت دائرة الشك والتحليل السياسي الشائك؟
هل يصعب عليك توجيه السؤال لي كفرد من أفراد المجتمع يقف بين
الحاضرين ليعبر عن رأيه؟ أم أنك ستستمرين بطرح الأسئلة عليّ
كعضو في حزب التآلف؟".

صمتت جوليا قليلاً، ثم أردفت قائلة: "لو كنت حاضرة بصفة
رسمية لما حضرت بسيارتي الخاصة وسيراً على الأقدام بعد أن علقت
في أزمة السير المواجهة للميدان!".

صمتت لمياء، ثم توجه مذيع آخر وقال: "إذا كان هذا رأيك
كفرد فهل الدخول في المفاوضات كان أيضاً رأيك كفرد؟".
ابتسمت جوليا وقالت: "في اللحظة الحالية دعني أمارس حقي العام
كفرد من أفراد الشعب ليس إلا، ودع الجواب على سؤالك
للأحداث القادمة فحزب التآلف حزب قائم منذ خمسين عاماً لن
يسرّه عضو حديث العهد فيه". ثم أشارت للصحفيين بيدها وغادرت
قائلة: "أرجوكم اسمحوا لي".

كان حاتم يحدق إلى الشاشة حين وقف حكمت أمامه قائلاً
بعصية: "هل تعتقد ابنتك بأنها أنقذت الموقف بعباراتها المنمقة؟ أم أنها
تحاول العيش في أكذوبة فرد من أفراد الشعب؟ جوليا باتت تسير في
مسار خارج المضمار يا حاتم ولن يصبح الحزب في حالة قابلة للترنح
من أجل مهاترات فتاة طائشة".

صمت حكمت، ثم أكمل وهو يحدق إلى عارف: "لذا، بات علينا دراسة بعض القرارات السياسية المتخذة في الحزب والتي باتت تمس مصداقية الحزب فوصول جوليا إلى منصب الناطق الرسمي واتباعها بقرار تعيين عارف كرئيس للوزراء في حالة فوزك يعتبر...".

قاطعته عارف قائلاً: "إن ترشيحي لرئاسة الوزراء ليس مجرد قرار تم اتخاذه عيباً... لا داعي لتذكيرك بذلك". صمت عارف قليلاً ثم أكمل قائلاً: "ضع مشاعرك الغاضبة لخطوات جوليا المباغتة ودعنا نراقب فما يبدو أنها تسعى لرفع أصوات الناخبين للحزب وسد ثغرة غيابها بذكاء، انظر..". ثم أشار إلى التلفاز حيث كانت جوليا تقف بين المتظاهرين والجميع حولها يحاول أن يتحدث معها وكان الود واضحاً على وجه المتجمهرين حولها، أما حاتم فكان لا يزال محققاً إلى شاشة التلفاز الصامتة، لا يدرك طبيعة الشعور الذي تسلل إلى قلبه فجوليا ابنته، غابت تفاصيلها في حنايا السياسة حتى ظهرت له بصورة لم يكن يدرك أنها موجودة، لم يكن يعلم أنها تحمل حاتم بتفاصيله الثورية في قلبها دون أن تدرك. دغدغ الشعور قلبه لكنه كان مغلفاً بالخوف، فهو أكثر الناس دراية إلى أي درب كانت جوليا تسير فهل بات تحذيرها واجباً عليه كأب أم أن دعمها بات الموقف الأكثر سيطرة كعضو سياسي في الحزب!؟

* * *

في خضم الأحداث المتوالية في الساحة كان أشرف يراقب جوليا عن كئيب عبر شاشة التلفاز بعد أن طلب من مراسلته لمياء وبشكل شخصي أن تتوجه نحوها بأسئلة معينة طلب منها تدوينها ليرى بما

ستجيب، وفي تلك الأثناء كان هاشتاغ #جوليا_في_الميدان بدأ يكتسح مواقع التواصل الاجتماعي، فباتت صورها وحتى عباراتها يتم تبادلها بين الحشود على الهواتف النقالة وحتى شاشات الكمبيوتر في مختلف الأرجاء ما جعل قسم التواصل الاجتماعي في القناة يتابع الخبر، بينما كانت إجابات جوليا الدبلوماسية والذكية تجعل أشرف يدرك أن حزب التآلف قد دخل منحى جديداً بضم جوليا إلى صفوفه حتى وإن كانت خطوة عابرة اتخذها الحزب تحت تأثيرات لا يزال هو يجهلها!

لقد كانت جوليا تقف بين المتظاهرين بقوة وتعلن عن آرائها بلا أي تحفظات أو قلق بشأن اللعبة السياسية وعناصرها الذين يققون متأهين خلف الشاشات استعداداً للحظة الانقضاء، فجوليا كانت تعتقد بأن الساحة حرة ولم تكن تعلم أن للسياسة قواعدها التي لا تختزل ولا حتى مع الزمن فتمتم أشرف قائلاً: "ماذا تفعلين يا جوليا؟ لا يمكن لك محاربة الزمن وجرف التيار نحوك وحدك، يد واحدة لا تصفق!".

صمت أشرف وهو يحدق إليها عبر الشاشة بقوامها الرشيق وشعرها المعقوف ونظارتها التي أخفت جزءاً كبيراً من ملامحها، لكنها لم تخف حماسها الذي شاب صوتها كعنفوان شاب يضم نفسه للتيار شاءت الظروف أم أبت، لكن كان في قلب أشرف خوف قد بدأ يتسلل لم يعرف سببه.

في تلك الأثناء، كان كريم الوحيد بعيداً عن المشهد يتابع الأحداث عبر أثير المدياع الذي جعله يتسمر فوق مقعد السيارة بلا حراك، فجوليا قد تحطت الحافة الوحيدة التي كانت تفصل بينها

وبين وقائع الأمور، جوليا باتت لبؤة عارية بلا غطاء، جسدها يقف تحت القنص بلا عرين، زئيرها يغلف الأجواء بصمت حذر، حتى بات اسمها يثير جلبة أي مكان تخطوه، ولكن إلى متى؟ هل سيبقى الحزب يتغاضى عن خطواتها العابثة بلا تفكير أم أنه سيتخذ فيها إجراءً مناسباً بعد أن يحرقها ككرت رابح في جولة الانتخابات هذه؟

كان كريم يعلم أن البقاء للحزب لا لأحد ولا حتى حاتم إن أصبح رئيس الدولة لذا على جوليا توخي الحذر. تواردت الأفكار بسرعة إلى ذهنه حينما داس على المكابح بشكل مفاجئ ولف عجلة القيادة متوجهاً ثانية باتجاه الميدان محاولاً أن يجد مكاناً يركن سيارته فيه.

ترجّل متوجهاً نحو الجموع حيث كانت جوليا تقبع بين الحاضرين تؤيد هذا وتشجب ذاك وتحاول التواصل مع المتظاهرين، سار كريم بخطى سريعة تتخاطبه جموع الشباب والفتيات المتحلقين في الشارع حيث الشعارات تعلو وأصوات الجماهير تنادي مطالبة بالحرية ووقف الحرب، أما كريم فكان يسير بالاتجاه المعاكس لهم بحثاً عن جوليا. لم يستطع أن يجدها فالمئات - إن لم يكن الآلاف - قد تحلّقوا في المكان حاملين كل ما تيسر لهم من شعارات شاجبة ومنعددة بالحرب، جالت عيناه بنظرات سريعة بين هذا وذاك باحثاً عنها عله يجدها وحين لم يجدها، علم بأن في قلبه حباً لجوليا لن يتوقف، يوقظه أي خوف قد يهددها ولو من بعيد!

توقف للحظات، حاول أن يبحث عنها في الأرجاء حينما بدأت الحشود بالسير متوجهة إلى الميدان بشكل أكبر، بينما بدأت مجموعات

شرطة مكافحة الشغب تقف استعداداً لأي حدث طارئ قد يحدث أثناء المسيرة دون أن تصطدم بالمتظاهرين تاركة لهم الحق بممارسة النظاهر السلمي، ولكن ما أن ملح كريم جموع الشرطة حتى بات الخوف يتسلل إلى صدره محاولاً إيجاد جوليا بين المتظاهرين وإخراجها من المكان.

حاول الاتصال بما عبر الهاتف الخليوي، إلا أن أصوات المتظاهرين كانت كفيلة بأن تمنعها من سماع رنين هاتفها وهو يعلم جيداً أن جوليا لا تجذب فكرة الاهتزازات الناجمة عن الهاتف فتبقيه دوماً مقفلاً. عاد يسير باتجاه معاكس للحشود محاولاً مراقبة الصحفيين ووسائل الإعلام فإن كان هناك تجمع لهم لا بد لجوليا أن تكون في الأثناء، ومن بعيد ملح الصحفيين يتحلقون حول مجموعة من المتظاهرين ولكن لم تكن جوليا بينهم.

توجه كريم نحوهم بعد أن وضع على عينيه النظارة الشمسية محاولاً تغطية ملامحه حتى لا يتعرف إليه أحد، وبينما هو في طريقه يبحث عن جوليا أوقف أحد الشباب وسأله "قالوا إن السيدة جوليا في المظاهرة هل هذا صحيح؟" فقال الشاب بحماس "نعم بالطبع إنها هناك في الزاوية البعيدة بجانب الحديقة العامة" صمت الشاب قليلاً ثم قال مكماً "لقد كانت رائعة، تحمل قلباً جريئاً غير آبه بالمحيطين، إنني أحترم حزب التآلف لضمها إليه" فابتسم كريم على عجل وقال مسائراً: "نعم أنت محق".

كان كريم وحده الذي يعرف بأن في قلب جوليا ما هو أكبر من الجرأة والتهور في اتخاذ القرارات فهي باتت تحمل قلباً أعلنت قتله لحظة انضمامها للحزب!

سار كريم بالاتجاه الذي وصفه له الشاب بخطوات سريعة وواسعة، وما أن اقترب من المكان حتى بدأت مجموعة من الشباب تنادي بإيقاف المظاهرة وتوجيه خطاب للعامه.

بدأت أجواء المظاهرة تصبح مشحونة حينما بدأ اشتباك بالكلام بين الشرطة والمتظاهرين، وما أن جال كريم بالمكان ولمح جوليا من بعيد حتى سار بشكل أسرع متوجهاً نحوها تحسباً لأي لحظة طارئة قد تحدث ضمن دقائق معدودة، فقد كان الشعب غاضباً من الموقف الضعيف للدولة ضد الحرب وعدم اتخاذهم لقرار بخصوصها حتى هذه اللحظة. وقفت جوليا تحرق من بعيد ولاحظت بعض الأجواء المشحونة بين المتظاهرين والشرطة.

حاولت السير إلا أن قدمها كانت منهكة من كثرة الوقوف لذا آثرت التريث قليلاً قبل أن تكمل سيرها نحو سيارتها لتغادر المكان، ولكن بدأت الحشود بالتجمع والوقوف تحسباً لأي اشتباك قد يحدث بينهم وبين الشرطة ما جعل الطريق شبه مسدود أمامها وما أن أدارت وجهها حتى وجدت كريم يقف أمامها بنظارتها التي أخفت ملامحه عن الجميع إلا عنها، فشدها من ذراعها جانباً وأخذها بعيداً عن الصحافة التي كانت تترصد خطواتها فبادرته جوليا بالسؤال والمفاجأة علت وجهها قائلة: "كريم ماذا تفعل هنا؟". فقال كريم منفعلاً: "أحاول محو آثار خطوات زوجتي المجنونة".

اقتربت جوليا منه للمرة الأولى حتى بدأت أنفاسها تلامس وجهه المشحون بالتوتر وقالت: "ربما منحنتي بعض وقتك واهتمامك وأنا مصابة، أما الآن فأنا أمنحك الراحة من هذا الدور، فشكراً لك".

اقترب كريم منها أكثر حتى لامست أنفاسه المتعالية وجنتها فشعرت جوليا بجرارتها وقال: "عليك أن تعودى معى فوراً". ثم اقترب أكثر وقال بنبرة تهديد خفيفة: "هذا إن شئت ألا يكتب عنك خبر جديد وأنت تغادرين المظاهرة عنوة وكأن الحزب بات غير راض عن تصرفاتك".

حدقت جوليا إليه بغضب لترى في عينيه نظرة علمت جوليا من خلالها أن كريم لم يكن يمازحها بل هو على استعداد تام للإقدام على هذه الخطوة بلا تفكير! فقالت له: "ومن أخبرك..". وما كادت أن تنطق حتى علا الصراخ في المكان وبدأت الفوضى تعم المظاهرة والشارع العام وحتى الميدان فبدأت الشرطة بفض الجموع نتيجة لبعض الاشتباكات التي حصلت بين المتظاهرين وشرطة مكافحة الشغب وسمع كل من جوليا وكريم صوت أحد المتظاهرين وهو يقول: "نحن شعب لا شغب!".

كان لكلمات هذا المتظاهر المختصرة وقع كالقنبلة على المتظاهرين الذين أسرعوا خطاهم وعلت هتافاتهم وبدأوا يتشابكون مع الشرطة عندها قال كريم: "هيا عليك المغادرة الآن بسرعة". بدأت الصحافة تتوجه نحو الحشود المترامية في الشارع العام والميدان حيث ازداد الاشتباك حدة.

سار كريم باتجاه جوليا مسرعاً وقال غاضباً: "سيارتي في الجهة المقابلة...". فقالت جوليا وهي تشعر بأن الميدان بات يشتعل غضباً وحال ساقها لا يساعدها على اتخاذ أي خطوة في هذه الظروف: "لا بأس سيارتي هنا". عندها قال كريم وهو يسير مسرعاً: "جيد، سنغادر بسيارتك إذن... هيا بنا لنسرع".

قالت جوليا وهي تناول كريم المفاتيح: "حسناً، ها هي المفاتيح". كانت جوليا تحاول السير بخطوات سريعة متوجهة نحو السيارة ما سبب لها الألم في ساقها المرهقة فلم تستطع السير أكثر عندها توقف كريم ليحذر إليها قائلاً: "ألا تستطيعين السير؟".

قالت جوليا بصوت منهك: "في الواقع، لا أستطيع، لقد سرت لفترات طويلة عليها". بدأ المكان يزداد ضجيجاً وحدة، عندها حملها كريم بين ذراعيه دون أن يترك لها مجالاً للنقاش ثم توجه للسيارة مسرعاً. فتح باب السيارة بشكل سريع ووضع جوليا على الكرسي وما أن ركبا السيارة حتى كانت الفوضى تعم الميدان والشارع العام.

كان كريم يكلم حاتم بعد أن وصل هو وجوليا إلى المنزل: "نعم يا عمي جوليا هنا، لا تقلق، إنها بخير تفضل هي معك الآن". تناول كريم الهاتف لجوليا ثم صعد متجها نحو الغرفة بينما كانت جوليا تكلم والدها بصوت منهك: "نعم أبي... لا لا تقلق، أنا بخير، لا لقد غادرنا قبل أن تحصل الاشتباكات".

صمتت جوليا قليلاً ثم قالت: "أبي لا بد أن تفوز بهذه الانتخابات، ولا تقلق سترتفع نسبة المؤيدين مجدداً، أنا من تسببت بانخفاضها وأنا من سيعيدها أعدك". فأجابها حاتم على الطرف الآخر من المكالمة بصوت لا يخلو من حنانه المعتاد: "جوليا يا ابنتي... بت أخشى عليك من نفسك".

قالت جوليا بصوت هادئ: "ولم تخشى عليّ يا والدي؟ ألم تكن خطواتي موفقة هذا اليوم؟". فقال حاتم: "وإن كانت موفقة أنت تخلفين خارج السرب يا جوليا، وفي الترحال إن غادر أحدنا السرب فقد الدرب يا ابنتي". فابتسمت جوليا وقالت بنبرة مطمئنة: "لا تقلق

يا أبي حتى وإن كنت بلا سرب فنجاحك هو دربي، عندها لا حاجة للسرب ولا حتى للدرب". صمتت قليلاً ثم أكملت: "أبي اهدأ الآن واذهب لتستريح وأنا أيضاً سأحاول أن أخلد للنوم، فلقد كان اليوم حافلاً". فقال حاتم: "حسناً يا صغيرتي اعتن بنفسك جيداً". صمتت قليلاً ثم قال: "جوليا لقد أخبرتني والدتك أنها ستصل بعد ثلاثة أيام". هزت جوليا رأسها وقالت: "حسناً، هذا جيد". فأجابها حاتم: "وداعاً".

وضعت جوليا الهاتف على الطاولة الصغيرة بجانبها، وتناولت جهاز التحكم عن بعد، حيث كان خبر نزولها للمظاهرة يشمل كافة القنوات الإعلامية. كانت جوليا تحدق إلى التلفاز شاردة حينما رن هاتفها الخليوي وردت قائلة بنبرة متشبية: "سيد أشرف كيف حالك؟".

فأجابها أشرف بصوته المعهود: "أهلاً جوليا، ظننت أنني لن أسمع صوتك بعد الأحداث الأخيرة في الميدان". فقالت جوليا متحاذقة: "ظننت أم تمنيت؟".

فقال أشرف معاتباً: "ولماذا تعتقدين أنني قد أتمنى ذلك يا جوليا؟ بالطبع لن أتمنى غيابك فغيابك سيسعربي بفراغ في ساحتي الإعلامية". غزاها شعور متناقض بين السعادة والحنق عندما كلمها أشرف الكافوري، فقد كانت كلماته تنساب نحوها لتخلق داخلها ذلك الشعور الدائم في إثبات الذات. حاولت نشر الأفكار من رأسها حين قالت: "ولكن يبدو أنني استطعت أن أشعل ساحتك الإعلامية ببعض التساؤلات التي بات على قناتك أن تجيب بها على الجمهور".

ضحك أشرف قائلاً: "نحن يا عزيزتي سلطة رابعة، غير مكلفين بالتبرير أو الإجابة". ثم همس بنبرة غريبة قائلاً: "ألم أقل لك يا جوليا إنك تحطين خطوات الحابي في أرض السياسة؟".
فأجابته جوليا بابتسامة استطاع أشرف أن يشعر بها من بعيد:
"لا يوجد أحد لم يبدأ خطوات سيره الأولى حيوياً يا سيد أشرف".
ابتسم أشرف وقال: "ربما".
ابتسمت جوليا وقالت: "أنت من عليه الآن مراقبة خطواته،
فالتعثر فوق القمة قد يؤدي للسقوط، لذا احذر".
ضحك أشرف وقال: "شكراً لك على التحذير... وحمداً على
السلامة".

أغلقت جوليا الهاتف وفي داخلها شعور يدغدغها بالنصر للمرة الأولى، ثم فوجئت بكريم خلفها وقالت: "لم أشعر بخطواتك".
"بالطبع قد كنت منهمكة بالتباهي أمام أشرف الكافوري بانتصارك اليوم".

"وأعتقد بعد ما فعله، لي الحق في ذلك".
"احذري يا جوليا، فلربما كنت تترجمين تصرفات أشرف بطريقة مبالغ فيها، مما يدفعك لاتخاذ خطوات... قد تضطرك لدفع الثمن لاحقاً".

ابتسمت جوليا متهمكة وقالت وهي تدير ظهرها مبتعدة عنه:
"شكراً على تحذيرك".

قبض كريم على ذراعها ما أجبرها على الوقوف وخاصة أن قدمها كانت تؤلمها وقال لها بنبرة باردة: "عفوا على شكر لم تقدميه بعد". ثم جذبها نحوه بشدة وقال وهو يلف ذراعه حول خصرها

قائلاً: "ألا تعتقد أن الشكر صفة أخلاقية تمتع بها سقراط في عصره؟".

فقلت جوليا وهي تحاول ألا تنظر إلى عيني كريم الذي كانت أنفاسه تختلط برائحة العطر الفواحة من جسده بعد أن أخذ حماماً ساخناً جعل شعره المبتل يضيء بريقاً خاصاً على وجهه العاجي المتعب فأجابته وهي تشيح نظرها عنه: "في عصره". اقترب كريم أكثر وقال همساً: "وهل بات للشكر عصر يا جوليا؟" صمت قليلاً ثم أردف مكماً: "هل تعتقد أني احتاج إلى شكرك؟".

فقلت جوليا: "ربما كنت تحتاج لما هو أكثر". فحدق إليها كريم بعينين متقدتين غضباً وحباً وقال: "وهل ستقدمين لي ما هو أكثر؟".

شعرت جوليا أن المسافة بينهما باتت معدومة حينما اقترب كريم منها أكثر، لم ترغب بالمقاومة فقد كانت متعبة، ولكن ما أن عربدت يدها فوق شعرها المعقوف لتفكه وينساب برقة فوق كتفيها رغم تبعثره حتى قالت بنبرة متوترة: "كريم...".

قال كريم بنبرة هادئة وهو يحدق إليها دون أن يرفع عينيه عنها: "للحظة خلت الموت قد يخطفك، فجريت بلا توقف في الميدان بحثاً عنك". كانت نظراته ترمقها بدفء وتحبوب في حنايا تفاصيلها بصمت عندما أحاطتها ذراعيه برقة أكثر محاولاً دفن كل ما راوده من خوف اعتلى نفسه في لحظات الميدان فوجدها حتى هذه اللحظة غير مدركة أن العمر قد يُسرق في ثوان، وأنها لا تزال تعذب العمر بالزمن وتتركه يتلوى دون أن تعلم أن للموت كلمة قد تجعلنا نستعيد ترتيب الأحداث... مهما توالى.

تنهد وهو يحتضنها ويضع رأسه فوق كتفها، بدأت يده تداعب خصلات شعرها وجابت أصابعه فيها بينما وقفت جوليا مستسلمة لدفع عنق جعلها تشعر بالخوف الذي اعتلى نفس كريم حينما تبعها هناك في الميدان. وما أن اقترب من شفيتها حتى سقطا في حنايا قبيلتهما الأولى بعد حادثة اليخت التي مزقتهما، قبلة حملتهما إلى ضفاف حب خجل تقاذفته الظروف المتواترة ولكنه لا يزال يحاول النهوض عبر نبضاتهما التي تبخر فوق جسديهما في هذه اللحظات. قبلة دامت لبضع دقائق معدودة أنستهما العمر كاملا بكل تفاصيله الممزقة. قبلة جعلت كريم يدرك أنه لا يزال له في قلب جوليا وطن لم يغييه المنفى وأرض لا بد لها أن تستفيق ليمر مذاق اللحظات فينسب بين شفاههما حاملا كليهما في شذى صمت مشتعل يوقظ القلب باستحياء ويجعل جوليا تقف حائرة بين الرفض والقبول لتعلم أنهما انتصرت في معركة الحزب لتسقط صريعة في معركة الحب.

طاولة المفاوضات

كانت جوليا تجلس إلى جانب حوض السباحة شاردة الذهن مرتدية سترة ربيعية خفيفة بلون عاجي وشعرها المنسدل يتحرك بحرية بنسمات هواء كانت تداعب المكان.

كانت كلمات كريم ترن في أذنيها بصوته الدافئ، مررت أناملها فوق شفيتها شعرت بارتعاشة خفيفة في أنحاء جسدها حينما تذكرت قبلة كريم لها وعناقه المتألم، شعرت بأن في قلب كريم مساحة شاسعة من الحب لم يتخللها الجفاف الذي جال أرضها، ورغم القسوة إلا أنه استطاع أن يروي أرضه بالمشاعر بعيداً عن الألم والحقد، في نظراته كانت تتشابك الأحاسيس، لتسقط هي أسيرة شبك حب خفية حاولت مطوّلاً التغاضي عن وجودها والتنحي عنها بعيداً، حتى لا تملكها لحظة ضعف كنتك التي عاشتها الليلة الماضية. ولكنها كانت تعلم أن الأنتى في داخلها لا تزال تنادي رغم كل الظروف التي مرت به فالرغبة حقيقة إنسانية لا يمكن للبشر تجاهلها مهما اختلفت معاييرها بين النفوس، فهل موافقتها على قبلة كريم لها ضعف أم أنها حاجة باتت تطرق أبواب نفسها في خضم الأحداث؟ أم أن رؤية كريم هائماً بما شعور يدفع إحساس النشوة داخلها تماماً كنشوة نقاشها المستفز مع أشرف الكافوري؟!!

رن هاتفها الخلوي وأجابت: "نعم... أنا جاهزة، حسناً خلال ساعتين سأكون هناك وداعاً". أغلقت جوليا المكالمة، ثم نهضت وهي تجر حقيبة صغيرة نحو سيارتها وانطلقت مسرعة تاركة خلفها كافة الأفكار عليها تغرق في بركة السباحة بدلاً من طفوها على سطح ذهنها المشوش.

* * *

كان جميع أعضاء الحزب يجلسون في غرفة الاجتماع المغلقة حينما فُتح الباب بشكل مفاجئ وكانت جوليا تتف والذهول عالا وجوه الحاضرين: "عفواً للمقاطعة، ولكن لم أعلم أن الحزب يجري اجتماعاته دون دعوة كافة الأعضاء".

نهضت حكمت قائلاً بطريقة تهكمية: "تفضلي يا عزيزتي، لقد سقطت سهواً دعوتك للاجتماع".

فقال جوليا متجاهلة حكمت وكلماته المتهكمة: "في الواقع لا وقت لدي، عليّ المغادرة ولكن جئت لأطلعكم على الخبر حتى لا تضطروا لمشاهدته على الشاشة الصغيرة".

ثم اقتربت من الطاولة التي كانت تضم كافة أعضاء الحزب. بمن فيهم والدها الذي علتة الدهشة لدخول ابنته المبالغت وكلماتها غير المطمئنة وهدق إليها وهي تقول: "طائرتي ستقلع خلال سويعات قليلة لذا جئت لأخبركم أنني سأكون الممثل الرئيسي للحزب في الوفد السياسي المتوجه إلى طاولة المفاوضات، وأعتقد أن ذلك لا يتنافى مع منصبتي كناطق إعلامي رسمي باسم الحزب".

كانت الكلمات تسقط في المكان كانهيار ثلجي حطم رؤوس الحاضرين، وأجبر حكمت على الجلوس فوق كرسيه الجلدي ليصمت لحظات ثم قال بصوت مخيف: "جوليا... إن الحزب للكل وليس للواحد، لا يمكنك اتخاذ خطوات مفاجئة دون العودة للحزب وخصوصاً قبل النتائج الرئاسية بأيام معدودة".

فابتسمت جوليا وهي تدير ظهرها متجاهلة ما قاله حكمت: "الحزب الحاكم هو المسيطر في كافة الجولات الانتخابية الأخيرة وهو الذي نال الرئاسة في كافة الأعوام السابقة، لذا إذا أردتم الفوز عليكم أن تتركوا القرار للشباب لا للخبرة".

نهض حاتم من مقعده وقال: "لكن يا جوليا بين الشباب والخبرة خيط رفيع يجعل الخبير أعلم بخفايا الأمور". كان حاتم يعلم بأن روح الشباب التي تتقد في ابنته جعلتها تنسى أن المعتكك السياسي لا يمكن له أن يكون منفرداً، وأن جميع الكراسي المترصعة هنا، ما هي إلا امتداد لسلسلة طويلة تربطها مجموعة من الحلقات المفرغة والتي تمتد بين الخارج والداخل، ما لا تعرفه جوليا هو أن التيار ليس ملكها ولا حتى حواف التيار ملكهم، فللميدان حدود ترسمها الظروف لا هم، فما الخبرة التي اكتسبها إلا وقد سبقتها خطوات شباب تعثرت ثم نهضت لتحمل في قلبها فيما بعد خبيراً.

استدارت جوليا متوجهة إلى الخارج وقالت وهي لا تزال تعطي ظهرها للجميع: "ربما ما تقوله صحيح ولكن مصداقية لحظة أهم من خمسين عاماً من الكذب المستتر بالدبلوماسية" ثم غادرت غير آبهة بردود الباقيين.

كانت جوليا تغير ثيابها في غرفة الفندق عندما رن هاتف غرفتها لتجد صوت والدتها على الطرف الثاني يقول: "جوليا... لقد سمعت الأخبار للتو، كيف نزلت إلى الميدان وأنت على هذه الحال؟!".
فقال جوليا ببرود: "ظننت أنك بعد غياب عشرة أيام حافلة ستصلين للاطمئنان لا للمعاقبة يا أمي".

فقال ماجدة بعصية: "وأنا ظننت أن وصولك لمنصب الناطق الرسمي سيسبب رغبة السيطرة في داخلك ويجعلك تتوقفين عن خطواتك الطائشة". صمتت أمها ثم أكملت متألمة "لم أكن أعلم أن شراة المناصب ستتنفس فيك وتلغي مبادئك الفلسفية التي ربيت عليها منذ نعومة أظفارك".

فأجابتها جوليا بتهمك وهي تجلس على حافة السرير: "كلنا نملك حيزاً من الرغبة الشرهة يا أمي والتي تتفاقم مع الأيام، فمننا من يسعى خلف الشهرة الاجتماعية، ومننا من يسعى لتحقيق هدف يراه سامياً".
"دعك من الكلام المنمق هذا، فكلتانا نعرف جيداً أنه لم يعد سامياً".

أجابتها جوليا: "ربما".

فقال ماجدة بنبرة متألمة يشوبها الخوف: "جوليا يا ابنتي، إنك تمارسين لعبة من نار، فاحذري حتى لا تحترقي".
"عندها سأكون أحرقت الجميع يا أمي ولن أحترق وحدي".
"ولم يا ابنتي؟ لم كل هذا العناء؟!".

أجابت جوليا بشرود: "لأنني بت داخل الشباك يا أمي، وأعتقد أن من حق الشعب أن يمتلك صوتاً صادقاً عليه يحدث التغيير، فمن يدري؟".

تنهدت ماجدة وقالت: "رغم كل الفوارق بيننا في التفكير، إلا أنني فخورة بك يا جوليا، فلقد تأكدت تماماً أنك لا يمكن لك إلا أن تحملي قلب حاتم، رغم الظروف والأحداث لا يمكن لابنة حاتم الريزوي أن تحيد عن الطريق!".

صمتت جوليا وهي تستمع لكلمات أمها التي بعثت شعوراً بالسعادة في داخلها فكانت هذه المرة الأولى التي تشعر بأن والدتها غير معارضة لتصرفاتها فقالت بنبرة تائهة: "أمي..".

فقاطعتها ماجدة قائلة: "كنت وأنت طفلة أقول كم يصعب عليّ توجيهك، ولكن لم أكن أعلم أنك حينما تكبرين ستنتهي سلطتي بشكل كامل، كل ما أتمناه أن تتوخي الحذر يا ابنتي". أغلقت ماجدة الهاتف والقلق يسيطر عليها لنزول ابنتها إلى الميدان، ولكنها لم تكن تعلم أن ابنتها تقف على أرض الحرب هناك!

تناولت جوليا بعض الثياب التي سترتديها في جلسة الاجتماع الأولى اليوم مع القيادة العليا محاولة التوصل لمفاوضات، ربما تساعد على دفع عجلة الحرب نحو السلام والهدنة.

أخذت حماماً دافئاً مزيلةً تعب الرحلة ورتبت شعرها بشكل يليق مع بدلتها السوداء الرسمية المؤلفة من بنطال أسود، وقميص أبيض، وسترة رسمية بأزرار فضية، وحذاء ذي كعب عال جلدي أبيض اللون، حذقت إلى نفسها في المرأة ثم اتجهت نظراًها إلى خاتم زواجها الذي كان ملقى أمامها، امتدت يدها ببطء نحوه وأخذت تحركه يميناً ويساراً، جال كريم في خاطرها وشعرت بأن شعوراً خفياً يعربد فوق نفسها كلما تذكرت تلك الليلة، تملكها شعور بالندم لأنها لم تخبر

كريم برحلتها، حاولت ألا تفكر فهي بحاجة للهدوء والتركيز حتى تكون على أتم الاستعداد للمفاوضات.

تناولت خاتمها بسرعة ووضعت في إصبعها، ثم وضعت نظارتها السوداء فوق شعرها المنساب على كتفيها متوجهة بشكل سريع نحو الباب الذي كان يقرع ببطء وقالت بصوت عال: "نعم، إنني قادمة لحظة واحدة" فتحت الباب بشكل سريع ولكنها لم تستطع إلا أن تتسمر مكانها حينما وجدت أشرف الكافوري يقف على عتبة باب غرفتها محققاً إليها بابتسامته المعهودة وهو يقول: "هل أنت جاهزة للمغادرة يا جوليا؟".

مخلوق لا يتقن الحب

كان عارف يجلس قبالة حكمت بعد أن غادر الأعضاء المقر. بمن فيهم حاتم الذي لم يكن قادراً على مواكبة تصرفات ابنته. بادر حكمت عارف قائلاً، وحالة من التوتر كانت ظاهرة على وجهه: "لقد فاقت تصرفات جوليا كافة المحاذير المطلوبة، الوقت لا يسمح بأي مغامرة خاصة أن يوم الاقتراع بات قريباً جداً".

فقال عارف وهو يشعل سيجاره محمداً إلى حكمت: "علينا أن نهدأ يا حكمت فلربما جوليا تتصرف بخطوات شباب غير مدروسة لكنها تسعى لرفع الحزب".

ابتسم حكمت قائلاً: "جوليا لا تريد الفوز بالانتخابات فقط من أجل والدها هي باتت تريد لجوليا أن تنتصر". صمت قليلاً وقد بدأ يعلم أن قدمي جوليا غرقتا في أرض السلطة وما عادت قادرة على السير بخطوات حرة.

صمت عارف وقال بجدوء: "وما المانع في ذلك إن كانت ترفع نسبة التأييد للحزب".

ضحك حكمت وقال: "أعتقد هذا؟". صمت قليلاً ثم أردف مبتسماً: "لو كانت جوليا هي المحرك للأحداث الآن فذلك لأننا ما زلنا نسمح لها بذلك".

"ولمَ تريد إيقافها؟"

سار حكمت متحهاً نحو الباب وقال وهو يدير ظهره لعارف:
"لا شيء يا عارف مجرد تفكير بصوت عالٍ فلا تشغل بالك
بالموضوع".

كانت خطوات حكمت في الممر الطويل ما زالت تفرع في أذني
عارف وهو يحرق إليه من بعيد مدركاً تماماً أنه لا يمكن لحكمت أن
يفكر بصوت عالٍ هكذا دون قرار مسبق قام باتخاذها!

* * *

كانت جوليا صامتة حينما حدثت إلى أشرف الكافوري
الواقف على عتبة غرفة الفندق قائلة بنبرة متلعثمة: "ماذا تفعل
هنا؟".

ابتسم أشرف قائلاً: "ألا تعلمين أنني الوفد الإعلامي الأول الذي
سيقوم بتغطية المفاوضات؟".

كان الدهول هو المسيطر الأول على جوليا، حتى أصبحت
عاجزة عن الكلام فقالت بعد استيعاب الحدث: "وظيفتك كوفد
إعلامي لا تتطلب منك أن تصطحبني إلى مقر المفاوضات".

فقال أشرف وهو يقترب منها مبتسماً: "ألم أقل لك أنني لا
أتخيل ساحتي الإعلامية دون مناوشاتك هذه يا جوليا". فقالت جوليا
ببرود وهي تبعده عن طريقها قائلة: "وربما ساحتك الشخصية أيضاً
يا سيد أشرف". ضحك أشرف قائلاً: "في الواقع لقد عرضت على
وفدك المرافق أن يسمحوا لي بمرافقتك في الطريق إلى مقر المفاوضات،
فوافقوا على ذلك بعد الاستئذان من الحزب".

فهزت جوليا رأسها قائلة بتهكم: "الحزب! هكذا إذاً، كان عليّ أن أعلم أنك ستقتنص الفرصة حينما تلوح لك". أغلقت باب غرفتها وهي تخرج منها وقالت: "ولكن لا يهم، ما الضرر من وجودك يا سيد أشرف؟ بل أعتقد أن وجودك سيضفي بعض الإثارة على الخبر".

ابتسم أشرف وقال: "وربما يضيفي الإثارة على الحدث أيضاً". ثم مدّ ذراعه لها وقال: "تفضلي...". فأزاحت جوليا أشرف عن طريقها وقالت: "حسناً... هيا بنا". سارت جوليا في الممر الطويل للفندق وبجوارها أشرف الكافوري غير قادرة على ترجمة طبيعة المشاعر التي راودتها بين السعادة والذهول، فرؤية أشرف على باب غرفتها قد أضفى على رحلتها لمحة من المتعة، ووجوده يعني أنه سيبقى دائماً يسعي لاقتناص الخبر من قلب الحدث كما هي متأكدة تماماً. لم تفكر طويلاً بل توجهت نحو السيارة التي كانت بانتظارها هي وأشرف لينطلقا نحو مقر المفاوضات.

جلست جوليا على الطاولة البيضوية التي ضمت كافة الأطراف المشاركة في المفاوضات لمحاولة للممة الحدث وإيجاد حل مبدئي للقضية، إلا أن المناوشات المتتالية بين المندوب الممثل عن المقاومة ومندوب الدولة جعلت من الحوار طريقاً مغلقاً، وبعد ساعات مطولة من النقاشات والمحاولات المستميتة بين جميع الأطراف، تم إعلان الموافقة على هدنة وقف إطلاق النار لمدة أربعة أيام بين الطرفين وذلك للسماح للحالات الطارئة والإنسانية على إيجاد الطريق للمستشفيات أو ركام المنازل، بحثاً عن بقايا الأقارب، أو حتى فئات الطعام، لسد جوع الهارين من عجلة الحرب الدائرة.

جلس أشرف الكافوري يراقب الخبر حينما خرج المفوض العام من غرفة المفاوضات وقال معلناً: "سيكون هناك هدنة بين الطرفين واتفاق وقف إطلاق النار لمدة أربعة أيام، سيتم من خلالها السماح لجميع المصايين والنازحين اللجوء لمناطق أكثر أمنًا والحصول على بعض القوات الذي يمكنهم من سد حاجتهم للأيام المقبلة".

أقبل أحد المراسلين التابعين لأشرف الكافوري وباغت المفوض بسؤال على ما يبدو أثار حنقه كما هو واضح من معالم وجهه القاطبة: "وهل ستتركون للنازحين مكاناً أكثر أمناً من بيوتهم؟".

فأجاب المفوض بنبرة متوترة: "لسنا نحن من نفرض الأمن، بل طبيعة الأحداث؛ فالجرمون الذين يعلنون الحرب تحت مسمى المقاومة هم من يجب أن يُطرح عليهم السؤال".

"لكن أنتم تضربون المقاومة في بيتها لا على أرض حرب أو معركة، فأين المفر من آلة الحرب للمدنيين؟".

"نحن لم نعلن الحرب، ما تدعوها المقاومة هي من اصطنعت الحرب لغايات خاصة".

"بل للحاجات خاصة... فالشعب لا يمتلك أبسط الحقوق حتى في ابتياع حاجياته من السوق المحلية، فهل هذه تدعى غايات خاصة في نظرك؟".

عندها تلغثم المفوض قائلاً: "نحن لسنا هنا في صدد مناقشة الحرب، نحن هنا لإعلان خبر الهدنة لذا انتهت الأسئلة اسمحووا لي". وغادر المكان تاركاً خلفه كافة المراسلين الذين يحاولون تغطية الحدث بلا أجوبة، بينما في تلك الأثناء كان أشرف الكافوري يراقب الحدث من بعيد اقترب منه مراسله فقال له أشرف: "كنت قنصاً يا عمر،

لقد كانت أسئلتك قاسية حتى جعلته ينهي المؤتمر قبل أن يبدأ، أحسنت، عليك تغطية كافة التفاصيل ورغم الهدنة فلتبقِ على أهبة الاستعداد، فلا أحد يعلم ما قد تحبئه الظروف".

ابتسم عمر لأشرف قائلاً: "نعم، بالتأكيد". ثم غادر المكان ومساعدته يحمل الكاميرا الخاصة به استعداداً لأي خطوة قادمة، في تلك الأثناء، كانت جوليا قد ملمت أوراقها وغادرت غرفة المفاوضات على عجل متجهة نحو السيارة، لتجد أشرف بجانبها فقالت من خلف النظارة السوداء الكبيرة، بعد أن عرفت شعرها للوراء للتخفيف من وطأة الحرارة التي كانت تشعر بها في غرفة المفاوضات نتيجة للنقاش الحاد بين جميع الأطراف "وهل بات وجودك في سيارتي بشكل دائم أحد أخبارك يا سيد أشرف؟". فابتسم أشرف قائلاً: "بل أولوياتي".

حدقت إليه جوليا من خلف النظارة حتى كاد أن يشعر بها وقالت: "لا يحق لك تصنيف أولويات أكون أنا موضوعها".

ابتسم أشرف وقال: "لا يمكن للهدنة ألا تتم ما دمت موجودة، هنيئاً لك إعلان الهدنة لقد استطعت أن تكسبي الجولة الأولى، ولكنها رحلة تحتاج إلى نفس طويل، فهل أنت قادرة على المتابعة؟".

حدقت جوليا إلى المدينة المتهالكة أمامها: "إذا كان كل ما أحتاجه مجرد صبر ونفس، قد يمنح أرواحاً معنى الحياة يوماً، عندها سأفعل حتى لو اضطررت لشراء النفس كما تسميه".

فابتسم أشرف قائلاً: "على ما يبدو أنك متعبة، لذا اسمحي لي يا سيدتي أن ادعوك لتناول العشاء احتفالاً بنجاحك الأولي في المفاوضات".

ابتسمت جوليا لدعوة العشاء ثم حدقت إلى النافذة لترى بقايا الحرب في الوجوه والأشلاء والركام، وشعرت بأن أشرف هو الشخص الوحيد الذي تستطيع الوثوق به في أرض لا تحمل في قلبها سوى الغدر والحذر.

كان المكان يخلو من كل شيء، عدا حقيقة أن الإنسان سيبقى مخلوقاً ينهش نفسه كمن يقتات على بقايا نفسه. مخلوق لا يعرف كيف له أن يدرك معنى الإنسانية رغم أنه الإنسان الوحيد على الأرض! ورغم كل ذلك، كان الحب يلوح بين البقايا، حينما احتضنت أم طفلها الرضيع محاولة إغماض عينيه عن الدنيا حتى لا يرى الواقع، رغم أنها تدرك أنه لا يعلم ما الواقع، وتأكدت بأن الحب موجود رغم الظروف، حينما لمحت زوجة اتكأ زوجها المصاب على كتفها لتسير به نحو لا مكان لكنه آمن!

أدارت جوليا رأسها وقالت بصوت هادئ لسائق السيارة:
"أوقف السيارة...".

توقف السائق فجأة. فتحت جوليا الباب وترجلت بينما كان أشرف يحاول اللحاق بها وهي تغادر، فأوقفته قائلة "ربما كنت متعبة وبجاجة لدعوة عشاء، لكن هناك من نحن بحاجة أن نراهم لنعلم أن للحياة وجوهاً أخرى".

أقفلت باب السيارة وتركتها تنطلق حاملة أشرف الكافوري، لتكمل هي طريقها بين ركام الحرب، وركام أفكارها المبعثرة بين الماضي والحاضر، بين الأمس في ليلة اليخت، واليوم حيث رائحة الموت تعبق في المكان معلنة أنه ربما يكون للحياة وجود رغم اليأس.

سارت جوليا بخطوات هادئة - بعد مرور ساعة من إعلان الهدنة - فوق الأرصفة والطرق حيث المنازل المنهارة، والتي ماتت تحت بقاياها أحلام قاطنيها، هذا إذا لم تمت أرواحهم من قبل، كانت تسير بصمت وهدوء لا يتخلله سوى أصوات سيارات الإسعاف التي كانت تجول الطرق بحثاً عن أحياء تحت الأنقاض، أو حتى أموات ربما يمكن لهم أن يُدفنوا بطريقة كريمة عوضاً عن تحلل جثثهم تحت وطأة الحرب. كانت حركة الناس من حولها مشتتة محاولين البحث عن مفقوديههم أو بضع لقيمات يسدون بها جوع أطفالهم قبل أن يعلن العدو رأياً آخر! فهناك أم التقت بابنتها بعد بحث طويل، وهنا رجل عجوز يحمله ابنه بعد أن وجدوه بين الركاب ما زال يتنفس. أما الأطفال فرغم الحذر المعربد في المكان ترتسم فوق شفاههم ابتسامة بريئة لا تدرك سوى معنيين للحرب، الضحك لحظة الأمان، والبكاء لحظة الخوف. لم يحاولوا حتى فهم سبب خوفهم أو حتى سبب ضحكهم، ولكنهم يعلمون أن الطائرة لا تعني رحلة يمكن لهم أن يلوحوا لها من بعيد بل هي اختباء في الزوايا حتى يتشبثوا بالحياة، وأنه إذا كانت والدهم محتفية لربما خرجت لتجلب الطعام ولكنها ربما لن تعود لأنها خرجت وصوت الطائرة ما زال عالياً ولم يخب!

"لِمَ نعتقد نحن البشر أن الكون مجرد فكرة عابرة نستطيع أن نحياها بلا تفكير؟ لِمَ يعتقد الإنسان أننا إذا اخترقنا السماء وصولاً إلى القمر بتنا ندرك نواميس الكون، وما نحن من الكون إلا بضع ذرات قد لا تساوي حجم ذرة رمال؟ لِمَ نعتقد بأن الموت بيدنا، والقوة بيدنا، والقدرة بيدنا، بينما نملأ كتلك التي تسير بين حنايا الأرض باحثة عن حياة قد تعي من الدنيا ما لا نعي!". كانت جوليا تتمتم

بصوت خافت حينما قاطعها صوت من خلفها قائلاً: "لأننا لا نحاول أن نحمل عاطفة الحب في قلوبنا وإن عبرت فوق أرواحنا تناسيناها، أو قاومناها بحثاً عن واقع آخر لتتملك الوجود بطريقتنا، لا بفطرتنا". وما أن استدارت حتى وجدت أشرف فحدقت إليه قائلة: "أشرف ماذا تفعل هنا؟".

فقال أشرف: "لا يمكن لي تركك وحدك هنا".

توقفت جوليا فجأة ثم قالت شاردة: "لِمَ يستهويننا الألم يا أشرف؟ انظر حولنا... أموات، وأنقاض وأرواح كانت تحمل أحلاماً وألقاباً وأنفاساً، عائلات لم تشأ من الحياة سوى القبول، ولكننا لم نستطع نحن البشر تقبلهم فبات رفضهم بالموت أسهل الحلول، ونحن هنا لا نزال نتصارع حول الألقاب والسلطة والأرض من حولنا ترينا حقيقة واحدة". حدقت إليه بصمت ليلمح أشرف في عينيها ألماً يعتصرها، لا يدري هل هو بسبب الحرب أم تراكمات ما قبل الحرب: "نحن خلقنا للحب يا أشرف لكننا أثبتنا أننا مخلوق لا يتقن الحب".

لم يستطع أشرف أن يرفع عينيه عنها، فكانت عينا جوليا الهائمتان بهدوء بين ألم المكان وألم يمزقها تثيران في نفسه نفحة هي أقرب لنفحات الأنتيك الذي يعبق أجواءه، عندها اقترب منها بهدوء وقال: "دعينا نغادر المكان، الليل سيحل قريباً".

"وإن حل يا أشرف فالجميع لا يزال فيه تائهون، ألا ترى؟".

أشارت جوليا إلى المكان المتهاوي حولها وأكملت: "ربما ولكن أنت عليك أن تبقي موجودة لا من أجلك بل من أجلهم وهذا ما أثبتته اليوم".

ابتسمت جوليا والعتمة بدأت تبسط ذراعيها فوق المكان المغلف بالخوف فوق أنفاس العالقين بين الركاب والمختبئين مما قد تحمله تلك العتمة من مفاجآت عندها علمت أن عتمة الليل التي كانت تثير ألماً مستتراً في عينيها دوماً بوجود القمر لا تستحق أن تحمل تلك الشياطين، لتلسعها كلما اقتربت. حتى لو كانت ذكراها ستبقى عويلاً ينخر ذاكرتها الهشة مهما حاولت النسيان. فالذاكرة الآن باتت تحمل من الصور ما قد لا يحويه الزمن. عندها سألت أشرف وهي شاردة: "هل يحمل الليل في طياته ذكرى عندك؟".

اقترب أشرف منها وأكمل بصوت خالٍ من تلك الأنا التي تعتليه دوماً: "ومن منا لا يحمل ذكرى في قلبه يا جوليا؟".
"وأى نوع من الذكرى تحمل ذكرى حب أم موت؟".

فأجاب أشرف بصوت قادم من بعيد: "الاثنين...". ثم صمت وصمته كان يحمل ألف سؤال في قلب جوليا، فلم تكن تعلم أن أشرف الكافوري يحمل قلباً لربما تذوق طعم الحب يوماً ولكن أي نوع من الحب ذلك الذي يحمله فقالت بشكل مبالغ: "وهل تجول تلك الذكريات في زمنك القديم؟!".

اقترب أشرف منها حتى كادت ترى ملامحه المتوترة رغم عتمة الليل المسيطرة على المكان، وبدأت تشعر بنفسه المتقطع: "بل تجول في زمني الحالي".

فقالت جوليا بنبرة مرتجفة "لا تقترب..".
فأجابها أشرف "ما بك! هل تعتقدين أنني قد أوذيك يا جوليا".
فمدت جوليا كفها نحو أشرف الذي كاد يرى أصابعها في الظلام مما جعله يتناول هاتفه النقال ويضيئه ليرى نظرة خوف زحفت

فوق جسده بسرعة وقال بصوت حانق: "جوليا هل...".
فقاطعتة جوليا قائلة بصوت مرتجف: "لا تقترب يا أشرف، فأنا
أدوس على لغم أرضي".

سياط الليل

كان حاتم يجلس على تراس منزله يشرب فنجاناً من القهوة حينما أقبلت نحوه ماجدة متسائلة: "أتشرب القهوة في هذا الوقت المتأخر من الليل يا حاتم؟".

فأجابها حاتم بصوت شارد: "لا رغبة لي بالنوم يا ماجدة". صمت قليلاً ثم أكمل: "إذا شعرت بالنعاس لا بأس اخلدي للنوم، وأنا سأتبعك لاحقاً".

فاقتربت ماجدة منه من خلف كرسيه، وضعت يديها على كتفيه المتصلبتين من شدة التوتر والتعب، وأخذت تدلك له عضلاتهما بخفة علّه يقلل من تفكيره وقالت بصوت دافئ بات قليلاً ما يصدر عن ماجدة في الآونة الأخيرة: "حاتم، أعلم أنك تمر في فترة صعبة من حياتك المهنية، ويحيطها التوتر الدائم، ولكن عليك أن تهوّن على نفسك يا عزيزي، فالطريق طويل والوصول للرئاسة سيجعلك تغرق في بحر من المسؤوليات الجديدة التي لم تعتد عليها كما اعتدت سابقاً في الحزب".

فقال حاتم شارداً: "ألا تعتقدين أننا أخطأنا حينما قررنا أن تكون جوليا ابنتنا الوحيدة؟".

توقفت يدا ماجدة فجأة وقالت بصوت مندهش: "ماذا؟! ثم

تركت مكانها وأزاحت الكرسي المقابل لحاتم وأكملت كلامها: "هل هذا ما تفكر به وجعلك تشرب القهوة في هذا الوقت المتأخر على غير عاداتك؟ لقد ظننتك قلقاً بشأن الانتخابات والتغيرات المتلاحقة في أحداثها".

فقال حاتم بالنبرة نفسها وهو يرتشف رشفة أخرى من القهوة بهدوء: "ربما كانت جوليا بحاجة لأخ أو أخت يساعدانها على اتخاذ بعض القرارات المصيرية في حياتها، المشورة الأخوية تكون أكثر قرباً من المشورة الأبوية عادة".

"ربما، ولكن نحن بالنسبة إلى جوليا صديقان لا والدان فقط".
أكمل حاتم بالنبرة الهادئة نفسها: "ولكن، باتت جوليا تتقلب ألف مرة في اللحظة الواحدة في الآونة الأخيرة".

صمتت ماجدة قليلاً ثم قالت: "هذا صحيح، ولكن كلنا مررنا في فترة عمرية رغبنا فيها بفك كل القيود لنعلم أننا نملك حق القرار".

"ولكن ليس في قلب معترك سياسي، وانتخابات رئاسية".
قالت ماجدة مبتسمة: "ولكن لكل زمن متطلباته يا عزيزي".
قال حاتم بنبرة قلقة: "ليس من الضروري أن تصطدم جوليا بالواقع السياسي حتى تعلم متطلبات زمنها".

فقالت ماجدة بنبرة مُطمئنة: "ولكنها ابنة المرشح الأول لرئاسة الدولة يا عزيزي، فلا بد أن تكون متطلبات زمنها مرهونة بواقعها الاجتماعي الذي تحياه".

قال حاتم بعد أن وضع فنجان القهوة على الطاولة وأكمل:
"ماجدة هل حقاً تعرفين جوليا جيداً؟!"

قالت ماجدة بنبرة متوترة: "وهل تعتقد أنني لا أعرف ابنتي التي مكثت على تربيتهما سني عمري؟".

فقال حاتم غير أبه لنبرتها المتوترة: "لم تجيبي؟ هل تعرفين جوليا جيداً؟".

قالت ماجدة: "بالطبع أعرفها، إنها ابنتي يا حاتم، ولكن يبدو أن الانتخابات جعلتك أنت الذي بات ينسى من هي جوليا، وحتى والدة جوليا". ثم نهضت لتغادر الطاولة فأمسك حاتم بذراعها وهو يحدق إلى الفراغ أمامه. "هل تعرفين أين ابنتك جوليا الآن؟". فقالت ماجدة بنبرة غاضبة بعد أن أفلتت ذراعها بقوة من يد حاتم وقالت وهي تسير نحو الداخل: "اسأل كريم ربما يجيبك". فنهض حاتم وقال وهو يستدير نحوها: "إنها في أرض الحرب، ذهبت للتفاوض من أجل هدنة ونجحت في الحصول عليها لمدة أربعة أيام".

توقفت ماجدة فجأة عن الحراك، وقالت بصوت خال من التفاصيل: "ماذا تقول؟".

فقال حاتم بنبرة لا مبالية: "لو أنك سمعت أخبار اليوم لعلمت أن ابنتك تقف بين الموت والحياة على خط النار في الحرب".

فأجابت ماجدة: "ماذا تعني؟ لقد تحدثت معها قبل ساعات!".
فقال حاتم: "إننا أبعد ما نكون عن ابنتنا يا ماجدة". صمت حاتم ثم غادرت ماجدة المكان دون أن تنتظر أن تسمع باقي الكلام من حاتم.

تناولت هاتفها وهي تتجه نحو غرفتها، وما أن رأت اسم جوليا حتى ضغطت على زر الاتصال وبدأ الهاتف بالرنين.

كان أشرف يمدق إلى جوليا بوجه جليدي خاو، وضوء الهاتف النقال هو بصيص الأمل الوحيد بينهما في تلك اللحظة فقال بصوت مرتعد: "هل تدوسين على اللغم مباشرة؟".

هزت جوليا رأسها بنعم دون أن تنبس ببنت شفة، فأدار أشرف الضوء حول قدميه ليتأكد أين تقع قدماه وحاول تفحص المنطقة المحيطة به بعد أن تيقن تماماً أنه لا يدوس على شيء، قام بتناول هاتفه الخلوي وحاول الاتصال ثم قال بنبرة عصبية متوترة: "اللعنة، لا يوجد تغطية هنا".

صمت قليلاً، وأخذ يفكر، ثم قال بعد أن استعاد رباطة جأشه: "جوليا... انظري إليّ" حدقت إليه جوليا بعينين متسمرتين عاجزة عن الكلام، وأكمل كلامه "انظري إليّ يا جوليا، ولا تنظري إلى أي شيء آخر واستمعي جيداً لما أقول، لا تخافي ولكن استمعي فقط". فهزت جوليا رأسها بنعم، عندها أكمل أشرف قائلاً بنبرة عملية "إنك تقفين في حقل من الألغام، ولكنك في بداية حدود الحقل".

صمت أشرف قليلاً ثم قال: "أما أنا فأقف في منطقة خالية من الألغام تماماً، مما يعني أن تحركي سيصبح سهلاً". صمتت جوليا محدقة إلى أشرف محاولة فهم ما يحاول أن يصل إليه فقال مكماً: "إن الطريقة الوحيدة للتخلص من اللغم هي كالاتي، حاولي التوقف عن الحراك تماماً مهما حصل أو حدث حتى وإن شعرت بثعبان يزحف فوق قدميك، أنفهمين ما أقول يا جوليا؟".

فهزت جوليا رأسها وقالت بنبرة لا تخلو من الارتعاش "نعم...". حدق إليها أشرف من بين عتمة المكان على ضوء الهاتف النقال لترى جوليا في عيني أشرف نظرة لم ترها من قبل، نظرة جعلتها تعلم

أن أشرف يمتلك من التحدي ما جعله أشرف الكافوري الآن فأكمل شارحاً لجوليا ما سيفعل قائلاً: "إن الطريقة الوحيدة للتخلص من اللغم هي الضغط على زناد اللغم وأن استطعنا فعل ذلك، عندها تتحركين بسرعة بطريق واحد وهي خط مستقيم باتجاهي حيث أفق لأنها ستكون الطريق الوحيدة الخالية من الألغام".

فقلت جوليا بصوت متهالك وهي تحديق إليه بنظرة شبه يائسة: "وكيف سنضغط على زناد اللغم يا أشرف؟".

فقال أشرف وهو يحديق إليها بنظرة ثابتة: "سأحاول أن أصنع ثقلاً يساوي جزءاً أو بعض الجزء من الثقل الموجود على الزناد الآن وبالتالي سيضغط على زناد اللغم بدلاً منك، وعندها تصبحين قادرة على الحراك والهروب".

فقلت جوليا بنبرة متوترة: "وكيف سأتحرك لتضع الثقل؟".

فقال أشرف بنبرة لا تخلو من التوتر: "سأذهب وأحاول جمع بعض الصخور يا جوليا وإن وجدت بقايا شظايا لصواريخ أو قذائف أيضاً سأجلبها لأنها ثقيلة وقد تفي بالعرض ولكن عليك التحلي بالصبر وعدم الحراك أرجوك".

فقلت جوليا بنبرة يائسة: "ولكن...".

اقترب أشرف منها مسافة جعلتها ترى عينيه بوضوح رغم الظلام، فكانت نظرتة تحمل من الحب والخوف قدر ما كانت تحمل جوليا في داخلها، وقال لها بنبرة حانية: "لا تقلقي يا جوليا سأعود لأنقذك، لن تموتي على أرض أنت سعييت فيها للسلام".

حدقت إليه جوليا لتسقط دموعها رغماً عنها وقالت بصوت مرتجف ومتسائل: "ستعود؟".

فقال أشرف مبتسماً ابتساماً مُطمئنة: "نعم، سأعود".
تمت جوليا وهي تحدق إلى خطواته الحذرة والتي أخذت تبعد
عنها تدريجياً "سأثق هذه المرة أنك ستفي بوعدك يا أشرف فأتمنى ألا
أخسر الرهان... نعم ستعود".
سار أشرف مبتعداً عنها حتى غاص في عتمة الليل الحالك ولم
تعد جوليا تراه وما أن اختفى حتى رن هاتفها الخليوي في جيبها مما
جعلها ترتعد لتفقد توازنها فصرخت منادية بصوت مستغيث يائس:
"أشرف...".

شظايا وقلب معلّق

كانت ماجدة تنتظر أن تجيب جوليا على الهاتف حينما بدأت الأفكار تنساب بسرعة في ذهنها منذ أن كانت جوليا طفلة صغيرة وحتى هذه اللحظة، فلقد كانت ابنتها منذ نعومة أظفارها، كلماها تسبق خطاها. نطقت أولى حروفها مبكراً، ولكنها مشيت أولى خطواتها متأخرة، وكانت تتعثر دوماً لكنها تتقن الدفاع عن نفسها جيداً، وفي مراهقتها أبحرت بين الكتب والتاريخ حتى عشقت ديكارت ونيتشه وبات سقراط رفيق لحظاتها، وما أن وصلت الجامعة حتى قررت الانضمام لكلية الفلسفة. لقد كانت دوماً جوليا وماجدة لا تتفقان في الرأي، بعكس حاتم الذي كانت تراه جوليا سقراط في هيئة والدها وكانت فعلاً تمثل القول الشائع: "كل فتاة بأبيها معجبة". ولم تنسَ ماجدة ذلك الجدل الذي دار بينهما ليلة انضمامها إلى الجامعة: "ولكن يا جوليا لم يعد للفلسفة أهمية في عصرنا الحالي. هل ستكملين الدراسات العليا إذا انضمت لكلية الفلسفة؟".

فأجابتها جوليا ببرود: "لا داعي للتفكير في الدراسات العليا قبل الحصول على درجة البكالوريوس يا أمي".

فقلت ماجدة بصوت لا يخلو من النصيحة: "يا عزيزتي، بحكم

الخبرة والعمر أنصحك أن تلتحقي بكلية قد تفيدك في النطاق العملي للحياة".

فقال جوليا وهي تحديق إلى والدتها: "كل ما أرغب فيه هو التعرف إلى سقراط بشكل أكبر، أفكاره ومبادئه التي أعلنت ثباتها على مرور مئات السنين".

فقال ماجدة: "تستطيعين التعرف إلى سقراط من خلال الاطلاع يا جوليا".

صمتت جوليا ثم هامت قليلاً وقالت بصوت شارد: "أرغب في رؤية الكون من منطلق آخر يا أمي".

ابتسمت ماجدة وهي ترى في عيني ابنتها فتاة تربط أحلامها بالواقع غير مدركة أنه لا يمكن للواقع أن ينهض بمجرد حلم.

قاطعتهما صوت حاتم قائلاً من بعيد: "أمك محقة يا جوليا" ثم سار مقترباً من ماجدة ووضع يديه فوق كتفيها بعد أن قبلها على جبينها وقالت ماجدة بصوت دافئ: "لقد وصلت يا عزيزي".

هز رأسه بنعم، ثم حدق إلى جوليا التي كانت على أعتاب الثامنة عشرة من عمرها وقلبها ينبض بالحياة ورغبتها وحب المعرفة وقال لها: "لذا أعتقد أنه عليك أن تقرري إلى أين ستتوجهين مستقبلاً ثم تتخذين الخيار".

فنهضت جوليا مبتسمة واحتضنت والدها الذي كان قد وصل لتوه من السفر وقالت: "ربما سأختار السياسة مثلك يا والدي".

حدق حاتم إلى ابنته ببعض الدهشة ثم ابتسم قائلاً: "السياسة!".
قالت جوليا وهي تحديق إليه بعينين لامعتين: "ولم لا؟ أألسنت سياسياً مخضرمًا؟".

ابتسم حاتم وقال: "إذن لم تخطئي في اختيار الفلسفة يا ابنتي".
حدقت ماجدة إلى الفراغ أمامها شاردة، تتذكر التفاصيل
كأنها البارحة، كانت تنتظر أن تجيب جوليا على اتصالها، ولم تكن
تعلم أن الاتصال كان منتهيا إلا حينما رن الهاتف وهي تضعه على
أذنها، فأجابت دون أن تقرأ اسم المتصل وقالت بلهفة: "جوليا
ابنتي...".

أجابها حكمت على الطرف الثاني من الهاتف: "ماجدة.. هل
أنت بخير؟".

قالت ماجدة بصوت خاوٍ "حكمت هذا أنت".
"هل أنت بخير؟".

"لا لست بخير... أين ابنتي يا حكمت؟".

"ألم تعلمي أنها نزلت إلى أرض الحرب".

قالت ماجدة بانفعال: "لا لم أكن أعلم وقد كلمتها ولم تخبرني
بذلك".

"لقد ابتعدت كثيراً يا ماجدة حتى باتت ابنتك في مرسى وأنت
في مرسى آخر".

"وأنت على أي مرسى تقف يا أخي؟".

"أنا أفق عند مرساي يا ماجدة ولا أنوي الإبحار إلا
بطريقي".

فقالت ماجدة بصوت حائق: "احذر يا حكمت، فأنا لن أسمع
لابنتي أن تغرق عند شيطانكم، أتفهم؟".

فقال حكمت بهدوء: "ولماذا توجهين اللوم نحوي؟ أنت
وحاتم من ربي جوليا بين أزقة الحي اللاتيني في باريس". صمت

حكمت قليلاً، ثم نفث بعض الدخان من سيجاره وقال بالنبرة الهادئة نفسها: "ماجدة يا عزيزتي، جوليا لا تمارس السياسة بل تمارس التمرد على كل ما تحياه من ماضٍ وحاضر وفكر، فاحذري".

فقال ماجدة بصوت يائس: "حكمت أخي....". صمتت حكمت قليلاً، فلقد كانت هذه المرة الأولى منذ مدة طويلة يسمع تلك النبرة الدافئة من صوت شقيقته ماجدة التي كان يشعر بدفء أحضان والدته كلما عانقها رغم البعد الكبير بينهما بحكم الزمن والظروف ثم قال بنبرة حانية نسي أنه يمتلكها يوماً: "ماجدة يا عزيزتي ما بك؟".

أجهشت ماجدة بالبكاء، وقالت من بين دموعها المتناثرة فوق وجنتيها الباردتين: "إنها ابنتي يا حكمت... ابنتي الوحيدة". صمتت وبقي صوت بكائها يرسل نفحاته الحارقة في أذن حكمت ثم أكملت قائلة: "ابنتي الوحيدة بين الركام ورحى الحرب، لا أريد منها إلا أن تعود إلى أحضاني، أحاول الاتصال بها ولكنها لا تجيب أرجوك افعل شيئاً".

صمتت حكمت قليلاً حينما شعر بالهيار شقيقته المفاجئ على ابنتها وقال بنبرة مطمئنة: "ماجدة، جوليا برفقة وفد كامل فلا تقلقي يا عزيزتي".

فقال ماجدة بقلب منقبض ودموع منهمة: "الحرب لا تعرف الوفد، فأرجوك كل ما أريده أن تكون ابنتي في أحضاني ولا شيء آخر، أرجوك يا حكمت حاول أن تتصل بها أو بأي أحد من الوفد عله يطمئني".

قال حكمت بهدوء قبل أن ينهي الاتصال: "حسناً، لا تقلقي سأتصل وما أن يصلني أي خبر حتى أطمئنك، فاهدأي".
أجابت ماجدة وهي تحاول مسح دموعها: "لا تنسى أن تتصل بي حين يصلك الخبر".

أقبل حكمت السماعة وفي قلبه شعور لم يتملكه منذ مدة طويلة، لقد كانت ماجدة هي كل ما تبقى له من عائلته بعد وفاة والدته ووالده، وكانت دوماً بالرغم من جديتها، تحمل في قلبها دفء الليالي القديمة، حيث لم تكن السلطة تعني لها أكثر من تعريف في كتاب التاريخ!

لم يكن يعلم أن تعريف السلطة ذاك سيصبح نهج حياته الطويلة، وسيجعل خطاه تتعد عن ماجدة ومعتقداتها الاجتماعية، فلقد كانت جمعياتها الخيرية وحفلاتها دوماً هي المحور الرئيسي، بعد أن تركت مهنة التدريس في جامعة السوربون وجاءت وحاتم ليستقرا هنا، حيث انضم حاتم للحزب، واستطاع أن يثبت حنكته السياسية بخطى أسرع من حكمت بكثير، ما جعله دوماً يسبقه في هذا المضمار اللاهث، والذي لا ينتهي بسبب سراب العطاشى الذي يتبعونه في حرارة اللحظات الحاسمة من الزمن، وكل واحد منهم يعلم أن الثانية في عمر الزمن تعني الكثير في مجالهم السياسي، فالثانية تعني ترؤس حزب أو تولي وزارة، بينما في حياة الكثيرين غيرهم لا تعني سوى عداد نوم ضمن ليلة هائلة! لذا كان عليه دوماً أن يكتسب حنكة سياسية أكبر من تلك التي يمتلكها حاتم، حتى يبقى هو المحرك الرئيسي للحزب ولو من خلف الستار، فحاتم صورة مثالية للسياسي الدبلوماسي الذي يقف على المنصة مستقطباً كافة الآراء السياسية المؤيدة والمناهضة

للحزب، بينما هو يعرف كيف للدفة أن تُقاد، فرمما قائد السفينة يطلق الأحكام، ولكن يبقى لمن يقود الدفة اتخاذ القرار، وذلك ما سعى له دوماً.

لم يعن له يوماً منصب رئيس الدولة. لذا، عليه أن يبحث عن جوليا، ويحاول جيداً استغلال كل خطوة هائجة أو مدروسة تتخذها لصالح الحزب والانتخابات الحالية، بات عليه أن يسير وفق خطاها حتى يصل إلى فئة لم يكن من الممكن الوصول إليها دون جوليا، وكان هذا الاعتراف الوحيد الذي لن يبوح به يوماً حتى بينه وبين نفسه، لذا على جوليا أن تكون بخير.

حقد قليلاً من زجاج نافذة منزله المطل على الوادي أمامه وقال بهمس: "ومن بين كل تلك الخطوات السياسية الشائكة تبقى دمعتك هي الحكم يا شقيقتي ماجدة". ثم تناول هاتفه النقال، ورن على رئيس الطاقم الأمني المرافق لجوليا، منتظراً منهم رداً بشأن ابنة شقيقته الوحيدة عله يستطيع طمأنتها.

* * *

كانت جوليا تقف بحذر شديد فوق اللغم الأرضي، ووجهها يعلوه الشحوب، بعد أن صمت رنين هاتفها، والذي جعلها تفقد توازنها للحظات، ولكنها حاولت السيطرة على نفسها أكثر، لم تستطع تناول الهاتف من جيبها أو إغلاقه. لذا، كل ما استطاعت فعله تجاهل الهاتف ورنينه من خلال تلاحق اللحظات والصور كشريط ممزق لا يرغب بعرض نفسه، فلاحت كل الوجوه أمامها؛ كريم، عارف، حكمت، ريمون، والدتها ووالدها وما أن لاحت صورة

والدها حتى سقطت دمعة باردة على وجنتها وقالت بصوت مبحوح:
"أبي.. سامحي".

تذكرت جوليا ذلك اليوم عندما أقبل والدها نحوها بعد أن بات
الحزب يعتبر تصرفاتها مصدر قلق بالنسبة إليه وقال لها بنبرة حانية:
"يا ابنتي لن أفرض عليك قراري، ولكن في السلك السياسي عليك أن
تعلمي أنه لا قرار لك وحدك، فلا تضطريني لاتخاذ قرارات تخالف
علاقتي بك".

فقالت جوليا ببرود: "قرار قد يجعلك تُحاصر بين الأبوة
والسياسة يا أبي؟". صمتت جوليا ثم أكملت قائلة: "وعندها
ستختار السياسة كما قررت أنا اختيار السياسة عندما تزوجت
كريم".

فقال حاتم بنبرة هادئة: "إنه ليس اختياراً يا جوليا بل إجبار.
لذا، تعقّلي في خطواتك، أنا لست ضدك يا ابنتي، على العكس أنا
فخور بجنكتك السياسية التي فاجأتني في كثير من المواقف، ولكن
عليك أن تعلمي أنه لا قرار بلا مرجع، ولا مرجع بلا خطط
مسبقة".

فقالت جوليا ببرود: "نعم ولكن...".
قاطعها حاتم وهو يتجه نحوها حيث تقف عند النافذة الكبيرة:
"لا وجود للقرارات الفردية، وإن وُجدت عندها سيتم استبدالك من
قائمة الموجودين يا ابنتي".

فقالت جوليا بشروء: "لا يهمني أن أكون في القائمة".
فقال حاتم بنبرة حانية وهو يحدق إلى ابنته: "ولكنك بت في
القائمة، لذا عليك أن تكلمي الطريق الذي اخترته، ولكن بحذر".

فاستدارت جوليا نحو والدها وقالت: "وهل استفدت من الحذر يا أبي؟ أم أنك خلعت ثوب الثائر الذي كان في مجلس الطلبة في الجامعة على أعتاب باب الحزب حينما انضمت إليه، ومنذ ذلك الحين بت هائماً لا تائراً!".

قال حاتم بعصية: "جوليا!".

قالت جوليا وهي تغادر المكان: "لكل سياسة زمن يا أبي... فدعني أحيا زمي".

حدقت جوليا إلى الظلام الدامس أمامها وهمست ببرود: "... وها أنا أحيا زمي يا أبي".

مرّ الوقت بطيئاً حتى شعرت أن الفجر يكاد أن يبرز رغماً أن الليل ما زال في أوله، وأشرف ابتلعته العتمة ولم يعد له أثر، بدأ الشك يتسلل إلى نفسها عندما أدركت أنه ما كان عليها أن تثق بأشرف الذي أصبح خارج دائرة الخطر، فلماذا سيعود بعد أن استطاع النجاة بنفسه؟ كم كانت ساذجة حينما صدقته، ولكن ماذا كان عساها أن تفعل، لا خيار أمامها سوى أن تصدقه، حتى وإن كان لا وجود للثقة بينهما، لم يعد هناك ضرورة للثقة في حياتها، فحتى كريم بدأت معه حياتها بثقة مية، ما زالت تحاول النهوض من تحت رماد قبلته الأولى في منزلهم ذلك اليوم.

لقد حاولت إزاحة عناء الحقد الذي اعتلى نفسها بعد ليلة الليخت طيلة الأيام الماضية لتحيا بحب كريم الذي كان يغلفها كل ليلة ولو بنظرات عينيه البعيدة. لقد حاولت أن تلقي بنفسها في أحضانها، رافعة ثقل الليالي في نفسها لتصبح خارج هذا المراثون المتهالك بين السياسة والسلطة وجنون السيطرة الذي بات يعربرد فوق أرواح

الجميع بما فيها روحها، ولكنها رغم كل ذلك لم تستطع أن تحيا لحظات حب عاصفة تاركة للأنتى في داخلها أن تحيا الحب كما قال لها ريمون مرة "أجمل ما في الأنتى أنها لا تفهم ما تريد، فنتبه فيها بحثاً عما تريد، لنجد أنفسنا في حناياها، ولكن لا نجدها، ثم تستمر رحلة البحث عنها ولا نجد في نهاية العمر سوى كلمة واحدة تسكنها هي الحب".

صمتت جوليا، وتمتت لنفسها وهي لا تزال تقف على اللغم:
"الحب يا ريمون.. ليتني عرفت ما هو الحب يا ريمون".

في تاريخ روما القديمة كان هناك تعريف لمصطلح الحب، فبين الحب والرغبة ضاعت حقيقته، وبين يوليوس قيصر ومارك أنتوني لم تكن كليوباترا تبتلع الحب بل اشترأت عنقها بحثاً عن إمبراطورية مفقودة وعرش غلغته بالحب بحثاً عن التاج، فمنذ الأزل ونحن لا نعرف الحب، منذ الأزل ونحن نتيه هائمين بحثاً عنه، لا نجد منه سوى بضع شظايا وقلب معلق بين ماضٍ متألم وحاضر لا يحمل الثقة.
"كيف استطعت أن تختصره بكلمة أنتى يا ريمون؟!". تمتت جوليا لنفسها.

بعد لحظات من الوقت لم تعد جوليا تعدّها، صرخت بصوت لم تسمع منه سوى صداها "هل هناك أحد؟ ليساعديني أحدكم". شعرت أن قواها قد خارت، ولم تعد قادرة على الوقوف، فأصبح الموت قريباً منها أكثر ومن أنفاسها المقبوضة.

وبالرغم من كل تلك التساؤلات التي كانت تعترئها بين الحين والآخر، شعرت أنه يبقى للكون جواب واحد يحمله الخالق، فنحن لا نعي من الكون ذرة وإن كنا، فذرة قد تحيينا وذرة قد تزيل

وجودنا بلحظات، ومهما مر بنا العمر وسار فينا الزمن نجد في النهاية أننا لم نخص من عمر الزمن سوى لحظات. فحتى ذاكرتنا في اللحظات الأخيرة لا تحمل مما عاشت سوى بضع صور! فيا لضعفنا نحن البشر! وبكل كبر نعتقد أننا تملكنا الكون لأننا رسينا لسويغات فوق القمر!

ابتسمت ساخرة وقالت: "ويبقى هو الموت، الأمر لحظة الأجل، فلك الحمد ربي إن كان هذا هو الأجل". وما إن أكملت جملتها الأخيرة حتى سمعت صوت زحف وحركة بطيئة فانتابها خوف مزق أوصالها وشعرت بأن قدميها ستسقطان فوق اللغم، ولكنها تذكرت جملة أشرف الأخيرة "إياك أن تتحركي حتى وإن زحفت أفعى فوق قدمك!" هدأت قليلاً، وحاولت أن تثبت قدميها فوق اللغم حتى لا تتحرك وما إن استقرت حركتها، حتى اقترب الصوت أكثر، عندها لاح خيال يسير ببطء في العتمة وقال من بعيد: "جوليا لقد عدت". قالت جوليا بنبرة ضاحكة تخللتها دموع انهمرت بشدة: "أشرف، هذا أنت، لقد عدت حقاً".

حدق أشرف إليها من بعيد، وتناول هاتفه وأشعل ضوءه وقال بنبرة مندهشة: "وهل راودك شك في عودتي يا عزيزتي؟". فقالت جوليا وهي تبتسم باكية: "وهل هناك من يعود للموت يا أشرف؟!".

كان أشرف يحاول جر بعض الحجارة وقطعة شظية لصاروخ ربما أو قذيفة حينما قال دون أن يحدق إليها: "أنا لا أنكث وعداً قطعتة". ثم اقترب منها، حتى بات أكثر وضوحاً وقال بصوت هادئ لا يخلو من الدفء "وأنا وعدتك بالعودة يا جوليا".

حدقت إليه جوليا ودموعها ما زالت تتساقط دون أن تستطيع النطق بكلمة واحدة. فقال أشرف بعملية: "لقد جمعت بعض الحجارة، وفي طريقي وجدت هذه الشظية ستساعدنا كثيراً فهي ثقيلة تستطيع التعويض عن ثقل جسدك مع الحجارة، ولكن أهم ما في الأمر الآن هو القدرة على الموازنة بين الزمن والخطوات، عليك خلق تلك الحالة من التوازن بين مغادرة اللغم وحركة خطواتك السريعة، أتفهمين ما أقول يا جوليا؟".

كانت جوليا تحدق إليه بعد أن مسحت دموعها بشكل سريع، وهزت رأسها بنعم، فقال أشرف بصوت حذر "سأقترب الآن منك، وسأرسم خطأ واضحاً في الأرض، هذا الخط هو الطريق الذي ستسلكينه فور مغادرتك اللغم، فأنا سأسير بخطوات بطيئة محاولاً خلق طريق خال من الألغام يبدأ من حيث تقفين وينتهي خارج الحقل، ولكن عليك أن تكوني سريعة ودقيقة وحذرة، أسمعين ما أقول جيداً يا جوليا؟".

فقالت جوليا بهدوء: "نعم".

قال أشرف بصوت هادئ بعد أن وضع الحجارة والشظية جانباً: "حسناً، سأقترب منك الآن خطوة بخطوة، وأرسم الطريق بهذا الغصن، ثم سأعود، وأبدأ بنقل الحجارة أولاً ثم الشظية، وفي هذه الأثناء ستبقين أنت كما أنت لا تتحركين مطلقاً أفهمت؟".

فقالت جوليا "نعم".

بدأ أشرف يسير ببطء نحو جوليا راسماً الطريق كما شرح لها، وما أن اقترب منها حتى بات وجهه مواجهاً لوجهها تماماً فوجدها

رغم الشحوب أنها تحمل جمالاً لا يمكن أن تحمله فتاة أخرى، جمالاً
مزوجاً بين العنفوان والضعف فقال لها هامساً: "أعدك أنني سأأنقذك
يا جوليا".

هزت جوليا رأسها بنعم وصمتت، عاد أشرف بالخطوات
نفسها بينما كانت أنفاس جوليا ثقيلة تحاول منعها من التلاحق خوفاً
من أن تفقد تركيزها في تلك اللحظات، لم تكن تعلم كم استغرق
أشرف من الوقت وهو يرص الحجارة فوق قدميها؟ غرقت قدمها
بين الحجارة والصخور حتى اختفى حذاؤها فيها. كان أشرف يرص
الحجارة بإتقان كمن يحاول بناء قلعة صغيرة منتظمة لا تحتوي على
ثغرة صغيرة وما أن انتهى من رص الحجر الأخير حتى قال متسائلاً:
"جوليا سأذهب لأجلب الشظية الآن، حسناً؟".

فقال جوليا بهدوء: "حسناً".

كان أشرف يحمل الشظية بهدوء محاولاً السير ضمن نطاق
الطريق التي رسمها بالغصن وأكدتها خطواته المترنحة بين الإياب
والذهاب، وما أن وصل حتى قال لجوليا بصوت متوتر: "جوليا،
سأضع الشظية الآن وما أن أبدأ بإزاحتها ببطء حتى تبدأي برفع
قدميك تدريجياً من الحذاء بحركة تتناسب مع حركة الشظية، هل
تستطيعين فعل ذلك؟".

حدقت جوليا إليه، وبات الذعر واضحاً في ملامحها، فاقترب
منها أشرف وقال: "لا تخافي، ستستطيعين فعل ذلك، أنا متأكد
يا جوليا".

حدقت إليه جوليا وسقطت دمعة من عينيها وقالت بصوت
مرتجف: "نعم أنت محق".

حدق إليها أشرف للحظات وقال: "هل أبدأ؟".
فهزت جوليا رأسها بهدوء بعد أن شعرت بجفاف شديد في
حلقها وقالت بصوت يكاد يختفي: "نعم، ابدأ".
انحنى أشرف قليلاً، وبدأ يضع الشظية التي بات ثقلها أكثر
وضوحاً وهو يحاول إنزالها ببطء، وما إن استقرت فوق اللغم حتى بدأ
بإزاحتها ببطء، وقال بصوت محتقن "الآن يا جوليا، عليك أن تبدأي
رفع قدميك بالتدريج".

حدقت جوليا إلى الشظية، وقبل أن تبدأ صرخت وقالت: "لا
أستطيع...".
توقف أشرف بعد أن خلا وجهه من كافة التعابير وقال:
"ماذا؟".

فقال وهي لا تستطيع النطق بوضوح بالكلمات: "لا
أستطيع...".
فقال أشرف: "بل تستطيعين".

حدقت إليه جوليا وقالت بصوت بالكاد يسمع: "لا، لا
أستطيع". صمتت قليلاً ثم أكملت قائلة: "لا أستطيع أن أتحرك بتناغم
مع الشظية، فحركتك تسبق حركة قدمي".
عندها أمرها أشرف: "عليك أن تفعلي يا جوليا تذكري إن
حياتك على المحك".

فقال جوليا وهي تبتلع الكلمات: "لا أستطيع".
نفض أشرف وهو يمسك طرف الشظية بيده سانداً إياها على
الأرض بجواره، وأمسك ذراع جوليا بقوة قائلاً: "بل تستطيعين
وسأنتذك، لن تموتي بين ذراعي يا جوليا أتفهمين؟".

حدقت جوليا إليه ورأت للمرة الأولى انعكاس وجهها في عينيه مغلفاً بنظرة لم تلمحها سابقاً، نظرة تغلفها وحدها فقط وقالت: "كيف أوازن حركتي مع حركة الشظية؟". فقال أشرف وهو ينحني مجدداً: "أغمضي عينيك، وحاولي أن تشعري بحركة الشظية اتفقنا؟".

فقال جوليا: "حسناً" أغمضت جوليا عينيها، وما إن بدأ أشرف بتحريك الشظية حتى ظهرت عينا أشرف وانعكاس صورتها فيهما وذلك الإحساس الذي كان فيهما، ولم تجد له تفسير فبدأت بتحريك قدميها مع حركة الشظية ببطء، وكان أشرف يحاول مساعدتها كلما تحركت قائلاً: "جيد، إنك تتحركين بشكل ممتاز".

وما أن وضع الشظية بالكامل حتى كانت قدمي جوليا خارج الحذاء، ولكن ما أن انتهت حتى علا صوت زر اللغم معلناً بداية انفجاره، فأمسك أشرف جوليا من خصرها ودفعها أمامه.

ركضت جوليا بكل قوتها ودموعها تكاد تغرق وجنتيها، وما أن قطعت نصف مسافة الطريق، حتى انفجر اللغم ليقتذف بها خارج الحقل بكل قوة، فتسقط أرضاً غير قادرة على فهم ما حدث، ووسط تواتر الأحداث، ومن بين عاصفة التراب التي اجتاحتها لتغطي ثيابها ووجهها المعفر، صرخت بصوت ممزق ممتزج بالتراب والألم "أشرف...".

سقوط حرف الراء

كان كريم يجر حقيته الصغيرة في بهو الفندق، حينما استقبله سامي الحارس الشخصي لجوليا "سيد كريم، حمداً على السلامة". تناول الحقيبة عنه، وأكمل قائلاً: "لم نخبرنا بقدمك، كنت عملت على ترتيب استقبالك في المطار". فأشار له كريم مبتسماً: "لا، لا داعي لقد جئت بشكل سريع، فالوضع هنا لا يسمح باستقبالات رسمية كما ترى". فناول سامي الحقيبة لزميله وقال: "سيد كريم، اسمح لي أن أحضّر لك إجراءات الحجز، استرح أنت الآن، وأنا سأهني كل شيء".

ناوله كريم أوراقه وقال له: "حسناً، شكراً لك يا سامي". فابتسم سامي وقال: "العفو يا سيد كريم" وما أن توجه سامي نحو الاستقبال حتى نادى عليه كريم وقال: "أين جوليا؟". "دقيقة واحدة يا سيد كريم سأعود فوراً".

قال كريم: "حسناً اذهب". ثم جلس على الكرسي في البهو وما أن طلب فنجان قهوته، حتى أتى سامي بعد أن طلب من أحد معاونيه أن ينهي إجراءات الحجز لكريم، وقال وهو يجلس قبالة كريم: "في الواقع يا سيد كريم، السيدة جوليا لم تعد إلى الفندق منذ انتهاء المفاوضات وإعلانهم لخبر الهدنة، حاولت الاتصال بها، في البدء كان

هاتفها خارج التغطية، أما الآن فالهاتف يرن ولكنها لا تجيب". صمت قليلاً ثم قال: "في الواقع، لقد طلب مني السيد حكمت شخصياً أن أوصله بما، ولكنني لا أعرف أين هي حتى هذه اللحظة". كان التوتر واضحاً على معالم وجه سامي الذي كان يشعر بأن مسؤولية اختفاء جوليا باتت على عاتقه خصوصاً بعد اتصال حكمت به، فقال بنبرة باتت أكثر اطمئناناً: "الحقيقة إنني سعيد لوجودك هنا يا سيد كريم، فاخفاء السيدة جوليا خير أقوم بالتعظيم عليه وحدي، وأنت تعلم أنه لا يمكن لي السؤال عنها بهذه البساطة حتى لا أثير شكوك الإعلام نحوها، وربما تكون في النهاية تجوب في جولة في الأرجاء لتطمئن على أحوال الضحايا وذويهم في الحرب، لذا أستطيع تبادل المعلومات معك بشكل مباشر".

كان كريم يحدق إلى سامي لا يستطيع إدراك ما يحدث، ولكن كان يعلم أنه ما أنهى سامي كلامه حتى اشتعلت نيران القلق في نفسه، إلى أين قد تكون ذهبت؟ وكيف تغادر دون وجود حرسها الشخصي في ظروف كهذه؟ فتمتم لنفسه ببعض العصبية: "إلى متى يا جوليا؟ إلى متى؟! وما أن صمت حتى بادره سامي قائلاً بعد أن أعطاه مفتاح غرفته: "إن الجناح الخاص للفندق بات جاهزاً سيد كريم، سيقوم الفريق الأمني بنقل كافة حاجيات السيدة جوليا مع طاقم الفندق إلى الجناح فوراً، أما أنت فتستطيع أخذ قسط من الراحة في الجناح الآن".

أمسك كريم ذراع سامي وقال: "لا أريد أن أرتاح، ضع حقيبتي في الأعلى، وتعال معي، فأنا بانتظارك". صمت كريم قليلاً ثم أخذ نفساً عميقاً وقال: "سامي، علينا إيجاد جوليا الآن".

حقد إليه سامي وهو يرى القلق بدأ يلوح في عينيه، وقال بحزم:
"حسناً سيد كريم سأتي فوراً".

غادر كريم الفندق هو وسامي متوجهين إلى حيث لا يدرون،
ولكنه كان يعلم أن عليه البحث عن جوليا قبل أن تجدها الصحافة،
فهو لا يستطيع أن يضمن خطوات جوليا المتهورة. سار كريم
بخطوات تائهة لا يدري من أين يبدأ؟ فالركام يحيط به من كل ناحية،
وأصوات المستغيثين، وصفارات سيارات الإسعاف تجوب في المكان
محاولة انتشار الباقيين. بمجرد أن أعلنت الهدنة.

سار كريم وسامي عبثاً بين الحطام والجثث المترامية هنا وهناك
تبث الخوف في قلب كريم أكثر. أين اختفت جوليا يا ترى؟ سؤال
كان يلح في عقل كريم بلا توقف، كان الخوف يعربد فوق حناياه
فالشعور في داخله يكاد يمزقه بين الخوف والشوق نحوها. إن الموت
الحيط بالأرجاء كان يجعل الأرواح تتشبث بالحياة سواء ببقايا
سقف متهاوٍ قد يسترها أو حتى جثث قد تغطي أجسادهم
المتهالكة مما هو قادم، أما هو فكان يبحث عنها وعن بريق حب
منظفٍ أبحر في سراب الليالي العطشى محاولاً الارتواء منذ شهور
فرضي بوجوده بارداً أو حتى مفقوداً، ولكن ليس ميتاً. لذا عليه أن
يجد جوليا.

توقف كريم فجأة بعد أن شعر بأن الليل بات يقبل معلناً بداية
الظلام الدامس في المنطقة، وأمسك ذراع سامي وقال: "سامي علينا
أن نفرق، لا يمكن لنا أن نجدها ما دمنا نغطي المنطقة نفسها، لذا
سأذهب أنا باتجاه وأنت باتجاه، إن لم تجدها ولم تستطع التواصل معي
عُد إلى الفندق فلربما كانت هناك، ونحن لا ندري بعودتها".

فقال سامي: "حسناً سيد كريم" وتوجه بالاتجاه المعاكس لكريم، ثم سار كريم في الطريق المائل أمامه، وكان الليل بدأ يُسقط ثقله على المكان، والهدوء يبعث شعوراً غامضاً في نفس كريم، فهذه هي المرة الأولى التي يكون فيها في ميدان حرب حقيقي، بين الأشلاء، والجثث، وصرخات الموتى المدفونة لحظة الحياة الأخيرة، كان يسير هائماً، شاردأً، علّ جولياً تظهر في الأرجاء، وفجأة رن هاتفه النقال فأجاب فوراً قائلاً "سيده ماجدة... أهلاً بك".

قالت ماجدة بصوت يائس: "كريم أين أنت؟".

"خالتي ماجدة ما بك؟".

قالت ماجدة بنبرة حزينة: "لقد ذهبت جولياً إلى الحرب من أجل المفاوضات".

فقال كريم: "نعم، لقد عرفت بالأمر صباحاً". صمت قليلاً ثم

قال: "لا تقلقي يا خالتي ستكون بخير".

فقالت ماجدة بنبرة منهكة: "لقد تعبت يا كريم، جولياً تسير بخطوات هائجة، ولكنها قد تكون هدفاً سهلاً في مكان كهذا، إنها ابنة المرشح الأول للرئاسة".

صمت كريم قليلاً ثم قال بشروء: "أعلم يا خالتي، ولكن لا

تقلقي ستكون بخير، فأنا أبحث عنها هنا".

فقالت ماجدة بنبرة متفاجئة: "أين تبحث عنها؟".

قال كريم: "أنا هنا في أرض الحرب، لقد وصلت اليوم،

وأنا أبحث عنها الآن، وبمجرد أن أجدها سأجعلها تكلمك لتطمئني".

فقالت ماجدة بنبرة متهاوية: "لِمَا؟ هل جولياً مفقودة؟!".

شعر كريم فجأة بغصة في حلقه، فلم يكن يعلم أن ماجدة لا تدري أن جوليا مفقودة منذ الصباح، عندها جفّ حلقه فجأة وقال بهدوء مصطنع: "لا ليست مفقودة، إنها تتجول في الأرجاء، ولكن أنا أبحث عنها، لأنني طلبت من الأمن ألا يجبروها بقدمي، أريد أن أفاجئها في مكان كهذا، لا بد أنها تشعر بالوحدة والحاجة للأمان".

فقلت ماجدة مبتسمة: "نعم، أنت محق، ولكنها بخير أليس كذلك؟".

قال كريم بصوت هادئ: "نعم، لا تقلقي سأجعلها تتصل بك فور ملاقاتي لها".

فقلت ماجدة بنبرة حانية: "كريم...".

فأجابها كريم: "نعم".

"شكراً لك يا عزيزي.. إن جوليا محظوظة بجبك ولكن ليتهما تعلم".

فابتسم كريم قائلاً: "ستعلم، فلا تقلقي... وداعاً الآن أريد الحفاظ على بعض الشحن في بطارية هاتفي حتى نستطيع محادثتك".

فقلت ماجدة: "نعم، لا بأس، وداعاً".

أقفل كريم الهاتف ثم تنفس الصعداء وصرخ بصوت يائس "أين أنت يا جوليا؟!".

كانت جوليا تحاول النهوض على قدميها بعد انفجار اللغم، محاولة البحث عن أشرف، ولكن قوة الانفجار جعلت قواها منهارة

تماماً، فأخذت تزحف ببطء وهي تنادي بصوت مرتعد "أشرف...
أشرف".

كان الغبار يحيط بها من كل مكان، حتى باتت الرؤيا غير واضحة في العتمة التي أخذ يغمرها ضوء الشمس الخفيف، معلناً بزوغ فجر ليلة لن تمحى من ذاكرة جوليا، ولكنها لم تكن تحاول حتى التفكير، فكل ما كانت تسعى له الآن هو أن تجد أشرف. حاولت النهوض ثانية إلا أن قدميها كانتا عاجزتين عن حملها، لم تكن تعلم هل هو بسبب وقوفها الطويل فوق اللغم؟ أم مجرد التفكير بأن خطواتها قد تقودها نحو أشلاء أشرف؟ كانت متشبثة بلحظة أمل ولو ضعيفة علّها تجد ظلاله مقبلة من بعيد.

توقفت قليلاً عن الزحف وحاولت أن تجلس لتنادي بصوت واضح أكثر، ثم أخذت تصرخ لعلها تجد من يجيب "أشرف...
أشرف أجيني" ولكن كان صدى صوتها أقوى من صوت أشرف الأحمس الذي كان يمتع المشاهدين على الشاشة كلما ظهر بشكل مفاجئ في أحد برامج قنواته، كان أشرف الكافوري دوماً في نظرها مثلاً للإعلامي الوصولي الذي يحاول اقتناص الفرص "فأي فرصة اقتنصها بموته يا جوليا البلهاء؟! "أخذت تتمتم في نفسها بحنق.

"لقد عاد من أجلي، عاد حتى لا يمزق الموت أشلائي على أرض السلام كما قال ولكن هل من الممكن أن... "صمتت قليلاً ثم امتزجت دموعها بالتراب الذي غطى وجهها وهزت رأسها بقوة نائرة كل ما علا فوقها من رمال ونهضت بشكل متعثر وقالت "لا، لن تموت هنا يا أشرف لن تموت من أجل الحب في أرض الحرب".

سارت بخطوات متهالكة وهي تنادي في الأرجاء متلفتة يمنةً ويسرة ولكن بلا جدوى، وما أن بدأت خطواتها تقترب نحو خط الطريق الذي رسمه أشرف لتسير فيه مبتعدة عن حقل الألغام، حتى سقطت أرضاً منهارة وأخذت تنادي بصوت ضعيف هامس وهي تحمل التراب بين كفيها ليسقط من بين أصابعها ثانية ودموعها تبلل الأرض "أشرف أين أنت؟ أرجوك لا تمت، أرجوك عد، أرجوك".

بكت جوليا بحرقة بعد أن خارت قواها تماماً، ولم تعد قادرة على السير والتقدم لأنها باتت على أعتاب حقل الألغام ثانية، وكان شعرها المشعث يغطي وجهها، ودموعها المترجة بالألم تترنح فوق وجنتيها الباردتين، وفجأة زحفت يد مرتعشة فوق كتفها المتهالك وقال بصوت بارد خاوٍ من كل شيء إلا اللهفة "جوليا... أنا بخير".

رفعت جوليا رأسها بسرعة، واستدارت نحو أشرف متناسية كل ذلك الألم الذي اعتلى نفسها وجسدها، نهضت أمامه وقالت بلهفة غمرت كل الشوق الذي كان يموج في داخلها "أشرف... أنت بخير" هز أشرف رأسه بنعم وهو يتسهم، حدقت إليه للحظات فوجدته مغبراً منهكاً، شعره مشعث، ووجهه متعب، ثم اقتربت منه ومدت كفها نحوه ببطء وأخذت تمسح وجهه المغبر وقالت "أشرف، هذا أنت، إنك بخير حقاً" صمتت قليلاً ثم ضحكت بشكل هستيري وفجأة أحجشت بالبكاء واحتضنته بقوة وقالت "أنت بخير، إنك لم تمت يا عزيزي، لم تمت".

حدق أشرف إليها بنظرة دافئة يغلفها الخوف الذي سكن فيه طيلة الليلة الماضية وقال "نعم، أنا بخير يا جوليا، لا تقلقي".

بقيت جوليا متشبثة بكتفي أشرف محاولة حمايته حتى من نسמת الصباح التي بدأت تداعب وجهيهما المغرب وقالت وهي تمس في أذنه "إنك بخير... ظننت أنك مت و..." توقفت فجأة عن الكلام وبدأت دموعها تسقط فوق كتفي أشرف، عندها أمسكها من كتفيها وجعلها تحدق إليه للحظات وقال بصوت دافئ "جوليا أنا بخير، فلتهدأي".

فقال جوليا بيأس: "إنه الموت يا أشرف، الموت تشتم رائحته في زوايا المكان، وكم كان قريباً منك، ظننت للحظات أنك عدت من أجل...". وضع أشرف أصابعه فوق شفتي جوليا مقاطعاً إياها والتي أغمضت عينيها بدورها، وقال وهو يقترب منها هامساً "الكنني هنا الآن يا جوليا" صمت قليلاً وقال وهو يقترب أكثر منها وأصابعه تمر فوق شفتيها بهدوء "ربما، ربما هو الموت الذي جمعنا يا جوليا في لحظة انهماك حبيباتها" وما أن أكمل جملته حتى كانت شفتاه تمان فوق شفتي جوليا المترجحتين بالرمال والدموع لتجعلهما يغيبان في لحظة من الزمن مسروقة بلا رسميات، لحظة امتزجت فيها رائحة الأرض بجسديهما لاغية أثير كل العطور الثمينة التي كانت تعبق في حنايا جسد جوليا كلما مرت. كان صوت قبلتهما حامداً هادئاً كهدهوء المكان ولكن صداها داخلهما كان أقوى من أي انفجار عندها اقتربت منه أكثر لتتشبث بكتفيه محاولة طرد الموت الذي كانا يصارعهما منذ لحظات فتغيب في حنايا قلبه بنهم حينما بدأت شفتاه ترتجف بين شفتيه مدركة أنه فعلاً للمقاومة وجوه أخرى فحتى قلبها الزاحف من برائن الموت يقاوم. إلا أنها لم تكن ترغب بهدنة ولا ترغب بالمقاومة.

كانت شفثاه تعانقان شفثي جوليا معلنة للمرة الأولى وسط
زحام الموت وفوق حروف الحرب، سقوط حرف الراء لينهض من
تحت الركاب... الحب، حتى وإن كان منسياً!
فجأة ومن بين اللحظات الضائعة تلك قاطعهما صوت قادم من
بعيد قائلاً: "هل جولتك التفقدية انتهت يا جوليا؟".
حدقت جوليا إلى كريم وقالت بصوت متفاجئ: "كريم؟!".
فاقتربت الظلال منهما أكثر لتظهر صورة كريم الذي كانت
عضلات وجهه تتحرك بحركة لا إرادية وكانت خيوط الفجر قد
رسمت هالتها على ظلاله لتمنح وجهه حدة جعلت تلك العصبية في
صوته أكثر وضوحاً على وجهه وقال: "نعم كريم، أم أن الوقت غير
مناسب يا مبعوثة السلام؟".

لست قديسة!

كان حكمت يجلس أمام جهاز التلفاز يقبل القنوات الإخبارية، بعد أن هاجت الوسائل الإعلامية بخبر اختفاء جوليا، رغم محاولات فريقها الأمني للتعميم على الخبر، ولكن في الوقت الحالي وبكل الثورة التكنولوجية الهائلة تلك بات خبراً كهذا ضعيفاً لدرجة لا يمكن ستره، فقد كان هاشتاغ "#اختفاء_جوليا" يتداوله معظم الناشطين في مواقع التواصل الاجتماعي، ما جعله أكثر الهاشتاغات تبادلاً حسب الإحصاءات. تناول حكمت جهاز الريموت كنترول وسمع صوت المذيعة وهي تقول: "خبر عاجل: غياب السيدة جوليا من بعد إعلان الهدنة، والتي بذلت جهداً مضاعفاً للتوصل إليه، فرغم كل الظروف آثرت السيدة جوليا النزول إلى أرض الميدان للبحث عن حلول واقعية للأزمة الحالية بدلاً من القرارات المكتيبة المخطوطة على الورق، فهل من الممكن أن تكون السيدة جوليا ضحية الضمير الساعي لتحقيق العدالة؟".

سار حكمت نحو النافذة والفجر شارف على الحلول ودموع شقيقته ترن في أذنيه. أما وجود جوليا هناك فقد حولها إلى أرض خصبة تصلح لكثير من الترتيبات التي يمكن لها أن تساعد الحزب في حملته الانتخابية. فرغم تمورها وخطواتها الصيانية، إلا أن روح

المغامرة تلك التي تتمتع بها كانت هي العامل الرئيسي لارتفاع نسبة المؤيدين للحزب وخاصة فئة الشباب، فنزولها للميدان، ثم توجيهها للحرب، كلها خطوات خارجة عن إطار الخطة المدروسة ضمن النطاق العام للأحداث، إلا أنها كانت خطوة كبيرة نقلت الحزب لمرحلة لم يكن له أو حتى حاتم وعارف اتخاذها.

كان حكمت يعلم جيداً أن جوليا رغم كل الظروف والأدلة التي تحملها عن ليلة اليخت، باتت السلطة تهيمن على العملاق في داخلها، فأصبح ذلك الشعور الخفي بالقوة يدغدغها كلما اقتربت منه وأصبح واقعاً في أرضها، فحصولها على الهدنة أثناء المفاوضات إن دلّ على شيء، دلّ على حنكتها السياسية والتي استطاعت أن ترثها بمجدارة عن والدها "ولكن إلى أين تمضي في هذا الطريق؟ وإلى ماذا تسعين يا جوليا؟". تتم حكمت في نفسه وهو ينفث الدخان من سيجاره الكوبي الذي شارف على الانتهاء.

تناول حكمت هاتفه الخليوي، وانتظر على الخط حتى تم الرد على اتصاله: "سامي، هل من جديد؟".

قال سامي بنبرة غير مرتاحة: "لقد وصل السيد كريم اليوم إلى الفندق، وخرج للبحث عنها وحتى هذه اللحظة لا أثر لهما".

فقال حكمت بنبرة متفاجئة: "كريم؟!".

"نعم يا سيد حكمت، السيد كريم، وقد غادر باحثاً عن السيدة جوليا، ولكن لم يعد حتى هذه اللحظة".

فقال حكمت بنبرة غير واضحة المعالم: "سامي.. صمت قليلاً

فأجاب سامي: "نعم سيدي".

أكمل حكمت كلامه بالنبرة نفسها: "هل جوليا لا تزال بخير؟! عليك أن تكون واضحاً معي".

"في الواقع، لا أدري يا سيدي، وحتى هذه اللحظة لا نملك أي خبر عنها لربما كانت بخير ولربما... "صمت سامي ثم أردف قائلاً: "أتمنى أن تكون بخير، الوضع هنا يا سيدي لا يسمح بالتكهن، فكما ترى، كل شيء متوقع وقابل للحدوث في الظروف الحالية".

"عليك الحذر، فلا أريد للصحافة أن تخوض في الموضوع أكثر".

فقال سامي بصوت مغمغم: "في الواقع يا سيدي حاولنا تغطية غيابها، ولكن الصحافة والإعلام يحاولون كشف سر غيابها كل لحظة".

همهم حكمت قائلاً: "ماذا تعني؟".

صمت سامي كمن يحاول البحث عن إجابة استعداداً لاختبار: "في الحقيقة يا سيد حكمت إن الإعلاميين... "صمت قليلاً ثم حدق إلى الفوج الكبير من الإعلاميين الذين يجلسون في البهو منتظرين لحظة عودة جوليا وكريم، لتغطية الحدث ومعرفة سر غيابها طيلة تلك الفترة بعد الهدنة وقال: "إن جميع الإعلاميين هنا ينتظرون لحظة وصولها هي والسيد كريم، ولكن هناك بعض الصحفيين الذين باتوا يروجون لفكرة فقدها في الحرب، وإن تابعت بعض القنوات ستري أن غيابها بات يتصدر العناوين الرئيسية للأخبار، رغم أننا أخبرناهم أنها تنال قسطاً من الراحة بعد المفاوضات الطويلة ولكن غيابها الطويل وظهور السيد كريم بشكل مفاجئ، جعل الإعلاميين يشكون بحقيقة الأمر وبدأوا يخيكون القصص ولكن... "صمت سامي وقال متنهداً "ستكون بخير يا سيد حكمت".

فقال حكمت بنبرة هادئة: "أرجو ذلك، أطلعني على كل ما هو جديد يا سامي".

أجاب سامي: "بكل تأكيد" وما إن أقفل سامي هاتفه، حتى كان كريم وجوليا يدخلان الفندق من الباب الخلفي فلمحهما أحد الصحفيين، عندها توجه مسرعاً نحوهما وتبعه باقي الإعلاميين، في تلك الأثناء نهض سامي مسرعاً غير قادر على استيعاب ما يحدث حينما وجد جوليا بجالتها الرثة تلك وشعرها المشعث والتراب الذي كان يغطيها، فركض نحوهما مشيراً لكافة أعضاء الجهاز الأمني بتغطية دخولهما دون إزعاج الصحفيين والإعلاميين، ركض أحد الصحفيين نحوهما ملتقطاً صورة سريعة وبعيدة لهما وقال لكريم متسائلاً من بعيد: "سيد كريم ماذا حدث للسيدة جوليا ولم هي على هذه الحال؟".

فأشاح كريم بوجهه وأشار له من بعيد قائلاً: "لا تعليق، ولا أسئلة رجاء" فقال أحد الإعلاميين: "ولكن من حق الإعلام الذي كان منتظراً طيلة تلك المدة معرفة ما حدث" فوقف كريم خلف جوليا مغطياً دخولها وما أن فتح باب المصعد حتى دفعها إلى الداخل وطلب من سامي أن ينتظراه في داخل المصعد واتجه نحو الإعلامي وقال له بنبرة هادئة:

"لم يطلب أحد منك الانتظار" حدّق كريم إلى الصحفي بعين ملؤها شزر. كان الصحفي ينظر إلى عيني كريم المشتعلتين وشعر بجرارة الموقف فقال بنبرة جوفاء: "حسناً، لا بأس". فقال له وهو يرسل نظراته للباقيين فبعثت فيهم حالة من الجمود بسبب الغضب الذي كان يعتلي ملامح كريم حينما غادر مسرعاً نحو المصعد وأغلق الباب فوراً بعد أن طلب من سامي المغادرة.

فتح كريم باب الجناح ودخلت جوليا بسرعة نحو الغرفة، جلست بشعرها المشعث، وثيابها الممزوجة بالتراب، وحالة من الوجوم اعتلت ملامحها. كانت صامتة كسكون الليل الذي يغطي الحرب مساءً، وباردة كنسمات الفجر التي تمزق حلكته صباحاً، بينما كان كريم يحدق إليها من بعيد وعيناه لا يطفئ نيرانهما حالتها المزرية تلك، فلا يستطيع بين كل ذلك الركام رؤية أي حدث سوى قبلة أشرف التي كانت جوليا تنصاع لها بكل طواعية فقال بصوت مرتعش: "وتبقى ليلة اليلخت تلسعنا بسياطها منذ شهر لتحررنا الحب، والرغبة، وحتى النظرات في بعض اللحظات، بينما سقوذك في أحضان أشرف، وغيابك بين شفثيه وسط الركام، فذلك أمر لا يثير الاشمزاز في نفسك وأنت متزوجة أيتها القديسة؟!".

فقال جوليا بصوت بارد خال من العالم وهي تحديق إلى اللاشيء: "إنه الموت يا كريم، الموت حينما يكون مقبلاً نحوك بلا عثرات". فقد كان الموت يحاول انتشال جوليا من بين أحضان الحياة، وبين الثانية والأخرى يشعرها أن للأنفاس ثمناً غالياً لا يقدر بالأرض وما فيها، الموت حينما يغافلنا معلناً لحظة العناق الأخيرة، فتتشبث باليأس حتى وإن كان سراباً، فحتى اليأس يبقى مصطلحاً ضمن فحوى الحياة وصفحاتها فنشعر بأنه أقرب إلينا من الأمل.

"في اللحظة تلك، كان الموت هو الأمل". أكملت جوليا

بشروء.

قال كريم بنيرة تحاول السيطرة على ذاتها: "وهل هو الموت الذي جعلك تغرقين في أحضان أشرف، متناسية العالم بكل ركامه وأشلائه من حولك؟! هل هو الموت ما جعلك تقبلينه كعاشقة

وجدت بقايا حببيها بين الركام أم أنها قبلة الحياة لحظة الموت يا جوليا؟".

نهضت جوليا نحو الحمام وهي صامته دون أن تجيب، ثم فتحت صنوبر المياه، وبدأت بغسل وجهها حين دخل كريم بسرعة خلفها قائلاً بعصبية: "ولمَ لمَ تضيعي يوماً في أحضاني هكذا؟".

كانت جوليا تغسل وجهها وشعرها، ثم فتحت رشاش الماء محاولة أخذ حمام سريع وقالت ببرود: "أريد أن أستحم فهلا سمحت لي".

فأمسك كريم ذراعها بقوة جعلتها تتألم وحقق إليها وعضلات وجهه تتحرك بعصبية شديدة: "أريد أن أعرف أي نوع من الموت هذا الذي يجعلك تترمين في أحضان أشرف الكافوري وتلقين بكل مشاعري على مدار شهور بسبب خطيئة لم تغفرها لي حتى هذه اللحظة، هل هو موت من نوع آخر غير الذي باغتني في بركة السباحة؟ موت جعله يعانقك ويجعلني حتى هذه اللحظة سيئاً لارتعاشك كلما اقتربت منك أنفاسي، أجيبيني".

فحدقت إليه بلا أي تعابير وقالت: "دعني الآن أرجوك".
حدق كريم إليها وقال: "ولمَ تعتقدين أنني سأدعك؟" اقترب منها أكثر حتى كادت أنفاسه الحارة تحرقها، كما كانت تحرقه: "لمَ يا جوليا، أجيبيني؟".

فحدقت جوليا إلى الحمام الساخن الذي كان البخار ينبعث منه، ثم أقفلته وكريم يمسك ذراعها بشدة، واقتربت منه ثانية وقالت: "لقد كان أشرف ميتاً بالنسبة إليّ في تلك اللحظة، وعاد للحياة من حيث لا أدري".

فضحك كريم بشكل هستيري وقال: "فتكافئينه بقبله!".
خرجت من الحمام إلى الغرفة ليلحق بها كريم ويمسك بها ثانية
ويقول: "لا تهربي يا جوليا، واجهيني إن كنت تملكين القدرة على
المواجهة؟ لقد جئت بمهمة رسمية لا لتجدي نفسك فجأة متعثرة
بالحب".

أفلتت جوليا ذراعها منه بقوة؛ فكيف لها أن تخبره بأنه الخوف
وليس الحب. الخوف من لحظة باغتها فيها الموت وحيداً بلا أنيس،
الخوف من ألا يسعفها عقلها في تلك الأثناء بمعرفة ماذا فعلت. حتى
ذكرياتها الصغيرة فرت منها، لعلها تلتقط الحياة من جديد باحثة في ما
أمضت سني عمرها. أحقاً هذا ما كانت تريده؟ أم أنها كانت تمارس
دوراً رأتها مناسباً لها وفي لحظة الموت تلك اكتشفت أنها مجرد إطار
لصورة كاذبة!

الخوف الذي جعلها تدرك أنها أمضت عمرها حاقدة لا باحثة
عن حب مفقود تشبث به لحظة يأس ماضية. الخوف من أن تسقط
فجأة بسبب قواها التي باتت منهكة، فتبعثر أشلائها في الأرجاء ولا
يدرك أحد أنها كانت هنا. فتصبح مجرد اسم منقوش في الذاكرة،
حتى بلا شاهد قبر يزوره المحبون، راجين لها الرحمة ولو بعد حين،
إنه الخوف من ألا يعود أشرف ويتركها وحيدة فوق اللغم، ورغم
ذلك كله عاد وجعلها تغادر المكان قبله، لتجد نفسها بين الرمال
مبعثرة تلتقط الحياة من جديد. بينما يستبدل هو الموت مكانها. هذا
هو الموت الذي عاشته هي وأشرف في تلك اللحظات. كيف يمكن
لها أن تشرح لكريم أنه ربما كان للموت أنواع توظف إحساساً مات
منذ شهور.

أجابته بهدوء: "إنه الخوف وليس الحب يا كريم".
اقترب كريم منها والغضب يكاد يمزق روحه المترنحة: "وهل
استيقظ إحساسك بموت أشرف الحي يا جوليا؟".
فقلت جوليا وهي تشيح بوجهها عنه: "لا أدري، وكف عن
التصرف بهوجائية منذ أن عدنا، كل ما حدث كان مجرد رد فعل
ضمن الحدود والمكان لا أكثر".

صرخ كريم غاضباً "عناق، ثم قبلة، ثم غياب عن الوجود، كان
رد فعل ضمن الحدود والمكان يا جوليا" صمت قليلاً ثم اقترب منها
وقال: "هل تعتقدين أنني بت ساذجاً إلى هذا الحد يا سيدة جوليا؟!".
فقلت جوليا بوجه تغطيه قطرات المياه المتساقطة من شعرها
المبتل: "لست ساذجاً، ولست قديسة، فالحب ليس مجرد محاولات،
بل هو أفعال ترسي فوق نفوسنا تاركة الأثر".

عندها اقترب منها كريم أكثر وحدق إليها بعينين مشتعلتين تكاد
تمزقهما الغيرة: "للحب أفعال! فعلاً أنت محقة، وعلى ما يبدو أن طيلة
الشهور الماضية لم تكتفِ بأفعال حبي يا جوليا، حتى باتت غير
مرئية، لذا حان لك أن تري أفعال حبي يا زوجتي الغالية" وما أن
أكمل جملته الأخيرة حتى اقترب منها أكثر وبدأت جوليا تهمس
بصوت منهك: "كريم ما بك ماذا تفعل؟".

أجاب بصوت بارد: "أريد أن أريك الحب الثائر بعد الموت
يا عزيزتي".

فقلت جوليا بصوت متعب: "كريم.. أرجوك ابتعد".
اقترب كريم أكثر ثم أمسك ذراعيها بقوة ودفعها بجانبه وقال
بصوت بارد ووجهه كقطعة جليد خالية المعالم: "لماذا أبتعد يا جوليا؟

أم أن للحب طعاماً آخر بين أحضان أشرف".
قالت جوليا بنبرة متوسلة: "أرجوك يا كريم، لا تجعل الغضب
يعيدنا إلى نقطة الصفر".
فقال كريم غير آبه لتوسلاتها: "وهل كان في حياتنا غير نقطة
الصفر يا جوليا؟".

حاولت جوليا إبعاد كريم عنها ومقاومة اقترابه منها، رغم التعب
والإنهاك الذي كان يعتلي جسدها المرهق: "كريم.. أرجوك ابتعد،
الأمر ليس كما تظن، كل ما في الأمر أنني كنت يائسة من لحظة
موت مفاجئة باغتتني".

لكن كريم أمسك ذراعيها التي كانتا تقاومانه بشدة وقال:
"واعتبري هذه لحظة موت جديدة يا جوليا".
فقالت جوليا: "لا يمكن لك أن تسرق اللحظات من عمر الزمن
يا كريم، أرجوك ابتعد".

وما أن اقترب كريم منها أكثر حتى بدأت بضرب كتفيه
العريضتين محاولة دفعه عنها إلا أنه أمسك إحدى ذراعيها بيده حتى
قالت بصوت يائس: "أرجوك يا كريم ابتعد، أرجوك".

اقترب كريم منها، ورغم كل المقاومة التي كانت تلاقيها يداه إلا
أن قبلة أشرف كانت تحوم بينهما، فقبلها بقوة.
عندها صرخت: "كريم... كفى أرجوك".

فقال بعصبية: "لمَ يا جوليا؟ لمَ؟ هل يحق لأشرف ما لا يحق لي
أنا زوجك! أي قداسة تلك التي تبحثين عنها في رائحة الموت؟".

ركضت جوليا نحو زاوية الغرفة ليتبعها كريم بخطى باردة،
أخذت تتنفس بشكل متلاهث وما أن اقترب كريم منها ثانية حتى

قالت: "لا يا كريم، لا تجعل الغضب يقتل إحساساً بات ينهض في قلبي من جديد، أرجوك".

فقال كريم ضاحكاً: "نعم، إحساس جديد، وهل أنا من تمنحينه هذا الإحساس يا عزيزتي؟".

فقالت جوليا بعد أن التصقت بالجدار محاولة الهروب منه: "نعم، حينما تكون أنت الذكرى الأخيرة لعقلي الذي يطرق باب الموت في تلك اللحظات، نعم.. إنه إحساس لك أنت يا كريم".

فقال كريم وهو يقيد يديها براحتي كفيه بينما هي ملتصقة بجدار الغرفة: "فلم تقاومينه الآن يا جوليا ما دام موجوداً؟".

فقالت جوليا ودموعها بدأت تنساب فوق وجنتيها: "لأنك تسرقه عنوة كالسابق، فلا تجعل غضبك يحرقه من جديد، أرجوك".

حدقت إليه جوليا لترى اليأس الذي غلف عينيه المضرجتين بالحب، فلاحت أمامها لحظة سقوطها من فوق اللغم المتفجر، لقد كاد الموت يسرقها من كريم، ورغم كل الغضب الذي كان يعتلي نفس كريم. ورغم الخوف الذي أخذ يزحف فوق نفسها ليحمل ذكرى ليلة اليخت وشجنها، ورغم كل ذلك الألم الذي يتسلل إلى نفسها الممزقة بين الرفض والقبول، كان هناك شعور يقاوم الألم، يقاوم لمسات ليلة اليخت المحترقة، يقاوم الرفض، شعور يحمل الموت في حناياه، فيعلن لجوليا رغم العنوة التي تحياها في هذه اللحظات مع كريم، أن للموت وجوهاً كثيرة تقبل المرفوض وتحول الألم إلى لذة! حدقت جوليا إلى الفراغ أمامها وكريم ييث غضبه في أنحاء جسدها ثم استسلمت لعنوته! ربما خوفاً من لحظة موت قد تخطفه أو تخطفها وغابت بين ذراعيه بلا مقاومة.

ليلة سقوط سقراط

كانت ماجدة تجلس أمام التلفاز عندما ظهرت صورة جوليا من بعيد، وهي بشكلها المشعث وثيابها المغبرة، بعد أن بثتها القناة المتحدة الإخبارية الخاصة بأشرف الكافوري، ثم تناول حاتم جهاز التحكم عن بعد وبدأ برفع صوت التلفاز، قرأ الخبر على الشريط الإخباري في أسفل الشاشة "عاجل: ظهور السيدة جوليا بعد اختفائها لمدة 24 ساعة بحالة يُرثى لها".

كانت المديعة قد بدأت خبرها بكلماتها المتراسة وقالت: "إن غياب السيدة جوليا في الأربع والعشرين ساعة الماضية وظهورها بهذه الحالة الرثة جعل الجميع يقفون عند تساؤل واحد، ما الذي حصل في فترة غياب السيدة جوليا؟ وحتى الآن لم يردنا أي إعلان من جهة مسؤولة إن كانت تعرضت لحادث اختطاف أو اغتيال ولم تعلق السيدة جوليا أو السيد كريم على حالتها تلك. لذا، يبقى السؤال عالقاً هل كانت السيدة جوليا ستصبح ضحية للسعي نحو السلام؟ أم أن السلام بات سطرًا مخطوطًا بالدماء، حتى دماء المفاوضين السياسيين؟ حيث رحى الحرب باتت تسحق كل من تحتها دون تمييز".

أفقل حاتم الشاشة بسرعة عندها صرخت ماجدة قائلة: "ماذا تفعل، لِمَ تقفل التلفاز؟".

فقال حاتم بعصبية: "هذا يكفي، لا أستطيع متابعة المزيد، وأنا أرى ابنتي الوحيدة، لقمة سائغة في أيدي الإعلاميين".

نهض حاتم بسرعة، وتناول هاتفه، بينما نهضت ماجدة نحو غرفتها مسرعة، واتصلت بكرم، ولكن ذلك الأخير لم يجب على الهاتف. وما إن أقلت هاتفها حتى رنت ثانية، بقي الهاتف صامتاً لا يجيب، فأمسكت ماجدة هاتفها بيد مرتعشة، وقلبت أسماء المتصلين، وما أن رأت اسم ابنتها جوليا، حتى طلبتها، إلا أن هاتفها كان مغلقاً، رمت ماجدة هاتفها على الكرسي القابع أمامها، ثم نزلت بسرعة باتجاه حاتم الذي كان ينهي المكالمة التي بين يديه، أشار لماجدة أن تهدأ قليلاً ثم قال: "نعم، حسناً شكراً لك".

قالت ماجدة بصوت تشوبه اللهفة المزروجة بالقلق: "جوليا يا حاتم...".

فقال لها حاتم بصوت هادئ: "لا تقلقي، إنها بخير، لا أحد يعلم ما الذي حصل معها، ولكنها بخير، هي في جناحها بالفندق الآن مع زوجها فاهدأي يا ماجدة ولا تقلقي".

صرخت ماجدة بعصبية وقالت: "لا يمكن لي أن أهدأ وجوليا باتت تخطو كل خطواتها دون موافقتنا، لا يمكن لها العبث بأعضائنا على هذا النحو، وإن أصبحت رئيسة الدولة نفسها، لا مجرد ناطق إعلامي باسم الحزب".

حدق حاتم إلى وجه ماجدة، فبات أكثر وضوحاً تحت ضوء الصباح الذي بدأ يتسلل من النافذة، فلقد باتت ظلال وجهها أكثر عمقاً، وخطوط الزمن أكثر تعرجاً مما مضى، للمرة الأولى يرى الزمن في وجه زوجته المنهك بهذا الوضوح، عندها اقترب منها،

ومسح براحه يده على رأسها وقال وهو يعانقها بهدوء: "عزيزتي ماجدة...".

قاطعته ماجدة وصوتها بدأ بالارتعاش، ودموعها بدأت بالسقوط "حاتم...". صمتت قليلاً ثم قالت من بين الدموع المنسابة: "إنها المرة الأولى التي أشعر أنني أفقد ابنتي الوحيدة".

حذق إليها حاتم بنظرة يائسة وقال بصوت متألم: "ماجدة...". قالت ماجدة بنبرات متوسلة "حاتم إنها جوليا يا حاتم... إنها خلاصة عمرنا، وضعفنا، لا أستطيع أن أغفو ليلة واحدة وهي هناك في قلب الحرب، فمهما كانت تحمل في نفسها قلباً شجاعاً ستبقى هي طفلي الصغيرة التي تعثرت على عتبة المنزل حينما خطت خطواتها الأولى، وركضت نحوي باكية باحثة عن يرشدها كيف تسير".

رمت ماجدة نفسها في أحضان حاتم مجهشة بالبكاء حتى بللت كتفه بدموعها وقالت "حاتم... أعد لي ابنتي، أريد ابنتي في أحضاني ولا أريد شيئاً آخر" احتضن حاتم زوجته بكل دفء متألاً للألمها، وهمس لها وهو يمرر كفه بحنان بين خصلات شعرها قائلاً: "سأعيدها يا عزيزتي فلا تقلقي، أعدك بذلك".

وما أن أكمل جملة الأخيرة حتى تنهدت ماجدة، كمن أزاح ثقلًا عنها بوعده الصغير هذا، حتى وإن كان كاذباً!

* * *

كانت جوليا تجلس في التراس الخاص بالفندق تحتسي فنجاناً من القهوة بعد أن استيقظت ووجدت كريم قد غادر الغرفة، لم تكن تستطيع التفكير للحظات فيما حدث، فالأحداث المتواترة بين حقل

الألغام، وأشرف، وكريم سريعة بطريقة لم يستطع عقلها الممتلئ بالأفكار، ووجدانها المشحون بالمشاعر المتزججة بين الغضب، والخوف، والحب استيعابها في ليلة واحدة. فقد باتت تائهة بين ما تريد وبين ما تشعر.

كان يجتاحها غضب تراكم في نفسها بسبب ما فعله كريم بالأمس، ولكن تنازعه شعور من الشوق يحاول النهوض ولو من الهاوية السحيقة التي رماها بها كريم من جديد. عندها اجتاح أشرف تفكيرها بلحظة عناق كانت لا تزال عالقة في ذهنها لتعلن لها حقيقة واحدة أن لحظة الموت التي عاشتها كانت كفيلة بأن تخلق في نفسها كياناً جديداً غير واضح المعالم!

نهضت ببطء نحو التلفاز وما أن وقفت أمامه، حتى لاحت القناة الإخبارية أمامها وهي تعرض صورها الرثة بعد حادثة اللغم، والتساؤلات تخرق الشريط الإخباري في أسفل الشاشة بلا إجابات، حدقت جوليا بوجه شاحب كمن رأى شبحاً في التلفاز، ثم سارت مسرعة باتجاه هاتفها المعلق وقامت بفتحه، وما أن أضاءت شاشته حتى انهالت الرسائل عليها فأهملتها لتجري اتصالاً ثم قالت بصوت هادئ "أمي...".

أجابت ماجدة بصوت منهار: "جوليا ابنتي... أنت.. لم تستطع ماجدة إكمال جملتها وانسابت دموعها لتصل حرارتها إلى قلب جوليا من وراء الهاتف فقالت جوليا بصوت حزين: "أمي، أنا بخير لا تقلقي".

عندها صمتت ماجدة قليلاً، وحاولت تمالك نفسها، وقالت معاتبته بنبرة أخف حدة مما اعتادت عليه مع جوليا "إلى متى يا ابنتي؟".

فقال جوليا بنبرة منهكة: "أمي...".
"كفى يا جوليا... فلتعودي الآن يكفي ما حصل حتى هذه اللحظة".

قالت جوليا بنبرة مترددة: "ولكن يا أمي...".
قالت ماجدة وصوتها الممزق يعلو الهاتف بينهما: "عودي إليّ فأنا لا أريد سوى احتضانك من جديد".

قالت جوليا بصوت حانٍ، فكانت هذه المرة الأولى التي تشعر بها بلهفة تمزق أمها حنيناً إليها: "وأنا اشتقت إلى حضنك كثيراً يا أمي لذا أعدك بأنني سأعود قريباً ولن تطول مدة إقامتي هنا".
"منذ صغرك يا ابنتي وأنت تتبعين حدسك فأرجو ألا يخيب هذه المرة".

"ربما كنت محقة، ولكنك من علمني أن الحدس يصنع طريقه برؤيانا نحن فلا تقلقي".

فقال ماجدة بنبرة يائسة: "ولكن قد يخوننا لحظات فاحذري، أنت في منطقة لا يمكن للحدس فيها أن يكون هو المسيطر".
ابتسمت جوليا حتى شعرت ماجدة بابتسامتها وقالت: "حسناً يا أمي أعدك أنني سأعود باكراً".

"نعم، عديني، فأنت الوحيدة التي أستطيع تصديق وعدّها في هذه الظروف".

فقال جوليا مؤكدة جملتها الأخيرة: "أعدك يا أمي". صممت قليلاً ثم أكملت بنبرة حانية: "أمي.. إنني أحبك".
أجابتها ماجدة بنبرة بات الخوف يخبو فيها: "وأنا يا ابنتي فاعتني بنفسك جيداً".

"نعم بكل تأكيد.. وأنت كذلك". صمتت قليلاً ثم قالت:
"وداعاً". أَلقت جوليا بهاتفها فوق الفراش وتوجهت نحو الخزانة،
تناولت بنطالاً كثنائياً أسود وقميصاً حريرياً أبيض، ثم رمت بشعرها
المتناثر فوق كنفها وخرجت مسرعة متوجهة نحو الغرفة القابعة في
نهاية الممر، وقرعت الباب بشدة، وما أن فُتِح الباب حتى وجدها
أشرف تقف أمامه بكامل قواها بعد أن خارت أمس فوق اللغم وقال
بنبرة مرتاحة: "جوليا أنت هنا، كيف أصبحت؟".

فأزاحتها عن طريقها، ودخلت غرفته لتقف وسطها والغضب
يتطاير من عينيها عندها أغلق أشرف الباب واستدار نحوها متسائلاً:
"ما بك؟".

فقالت جوليا بصوت حانق: "أبعد كل ما حدث ما زلت
تقتنص الخبر؟!".

فقال أشرف وهو يسير نحو النافذة بهدوء جعل جوليا تزداد
حنقاً: "أنا لم أطلب من مراسلي قناتي تغطية الحدث. لقد كنت
حديث الساعة وما أن دخلت الفندق حتى التقطوا الخبر".

فقالت جوليا بنبرة متهكمة: "ولهذا دخلت من الباب الخلفي،
وبالرغم من ذلك استطاع مراسلك التقاط صورتي".

فاقترب منها أشرف، وكانت عيناه تحدقان إليها بصمت: "إنه
مراسلي ولست أنا يا جوليا، فأنا كنت هناك في قلب حقل الألغام
أواجه الموت معك".

فحدقت إليه جوليا للحظات، ثم أشاحت بوجهها عنه عندما بدأ
يتسلل ذلك الشعور نحوها من جديد قاتلة: "ولمَ لم تمنعه؟".

"لأن وظيفته اقتناص الخبر".

"على حساب راحتي".

"الخبر كالطير إن لم أصطاده، اصطاده غيري، وقناتي لا بد لها أن تحافظ على مستواها مهما كانت الأسباب".

اقتربت منه جوليا وأخذت تحديق إليه غير مصدقة: "ما الذي تعنيه بذلك... وأنا؟! والبارحة؟! واللغم؟! والموت الذي كاد يقتنصك قبل الخبر؟! كل هذا بات في طي اللحظة التي جمعتنا؟ هل كان كل ما حدث البارحة مجرد لحظة عابثة أحيها الموت بيننا".

فقال أشرف وهو يتجه نحو النافذة، ويتكلم بصوت قادم من بعيد كمن يقنع نفسه بما سيقول: "ربما...".

وقفت جوليا بعد أن بدأت أنفاسها المتلاهثة والغاضبة تهدأ ثم صممت قليلاً ونبرة من الدهشة علت كلماتها حينما قالت: "وهل تأبطت الموت، وارتيمت أنا في لحظة خوف يائسة بين يديك من أجل كلمة ربما". اقتربت منه وهو يحديق إلى النافذة بصمت، حاولت أن تمد يدها نحوه، لكنها تراجع، عندها قال وهو يحديق إليها ببرود: "ربما يا جوليا، فلا يمكن للحظة أن تخط العمر كاملاً".

قالت جوليا عندما بدأت دموعها الحارة تسقط فوق وجنتيها وصوتها يشوبه الغضب المختنق بالدموع: "إذن هو الموت فقط، الموت من جعلني أحيًا من جديد حتى ولو كنت مجرد طيف لأنثى اغتالها البحر ليلة اليخت". استدار أشرف بسرعة نحوها محاولاً فهم ما قالت، ولكنها عادت تقول بصوت يائس ممزوج بالدموع: "هو الموت إذن ليس إلا...".

توقفت عن الكلام فجأة، ثم توجهت نحو الباب مسرعة، عندها لحقها أشرف مسرعاً وقبل أن تفتح الباب كانت يده تسبقها مانعة

إياها من المغادرة، عندما أدارها نحوه وما زالت عيناها غارقتين بالدموع، حدق إليها ونبرة التساؤل اجتاحت كلماته مزروجة بإحساس لم يعد يدركه ولا حتى يسعى لفهمه: "ماذا تعنين يا جوليا؟".

حدقت جوليا إليه بصمت حيث كانت عيناها تحملان كل الألم الممزوج بين الحرب والحب، والخوف والحنق، والثورة والسكينة، كانت جوليا خلاصة اللحظة خاطفة أيقظها الموت ليلة الغم، ودفنها البحر ليلة اليخت، عندها قال أشرف وما زال الخوف يتسلل إلى كلماته مغلفاً بحنان: "تكلمي يا جوليا، ماذا حدث ليلة اليخت؟".

فقلت جوليا وابتسامة منهكة ارتسمت فوق شفيتها المتبتلين بالدموع: "أمن أجل الخبر؟!".

فقال أشرف وهو لا يزال يحتجزها بين ذراعه والباب: "بل من أجل اللحظة هناك، من أجلك أنت".

فقلت جوليا بألم مزق أشرف ونبرة ساخرة تعتلي صوتها: "هل تعتقد أنني أستحق أكثر من أن أكون عاشقة تترنح بخوف، حينما يلامسها حب مغتصبها؟ هل يمكن أن أعشق كريم بعد أن اعتدى عليّ ليلة اليخت؟!".

حدق أشرف إليها بوجه خالٍ من التعابير. سرقت الصدمة الكلمات من فمه، وتركته واقفاً بوجوم حينما توجهت هي نحو النافذة، محدقة إلى المدينة المتراكمة أمامها؛ حائرة... هل من الممكن أن تعشق الأرض مغتصبها يوماً؟ هل من الممكن أن تنهض الأرواح من تحت الركام، معلنة أنها تحب من سلبها حقها يوماً؟ هل هذا هو الحب الذي حلمت به كأميرة وهي صغيرة، ومزقها وهي عروس ليلة

خطبتها، وأحيائها وهي مبعوثة سلام فوق هاوية الموت.
لم تكن تعلم أن الألم الذي مزقها ومزق كريم في ليلة اليخت
وعاد ليث سمه في عروقهما أمس، كان بسبب كلمة ربما، وأن
غضبه الذي دمر جدران الأرض الخاوية أمس، كان بسبب كلمة
ربما، وأنها عاقبته بحرمان لذة القرب منها ولو حتى من بعيد كان
بسبب كلمة ربما.

حدقت جوليا إلى أشرف ثم سقطت منهارة فوق الكرسي القابع
في الغرفة بجانب النافذة كمن أزال ثقلاً عن كاهله وقالت:
"نعم، ذلك هو السر الذي جعل كل الطرق تُمهّد أمامي،
وأختارها بطريقي، ذلك هو السر الذي أخضع حزب التآلف الوطني
بعد خمسين عاماً من التأسيس، لفتاة متهورة طائشة مثلي. إنها ليلة
اليخت، ليلة انهيار سقراط فوق أرضي وانبثاق جوليا، وجوليا فقط
بلا مثاليات".

كانت تلك الليلة هي التي جعلتها تبث سمها في كل المحيطين بها
حتى والدها. ليلة إعلائها للانتقام المبطن من الجميع حتى الحزب وبنات
مراثون الانتخابات الرئاسية هو هاجسها الأول. لا شيء فقط لتثبت
أنها جوليا وليست سقراط! في تلك الليلة ثارت، وتألّمت، وتاهت وما
أشبه اليوم بالأمس، حينما سقطت بين يدي كريم عنوة بعد أن ألقّت
بالراية الأخيرة لسقراط في نفسها على شطآن أحضان أشرف من
أجل كلمة ربما!

حدقت جوليا بأشرف الذي سرق الصمت منه صوته وجعله
ساكناً وقالت: "لماذا أنت صامت يا أشرف؟".
قال أشرف بتوتر: "لأنني لا أستطيع".

"لا تستطيع ماذا؟".

"لا أستطيع يا جوليا".

"بعد كل ما عرفت؟".

فقال أشرف: "لأنني عرفت، بت لا أستطيع، لا أستطيع أن أتعرش بجبك الآن، لست وأنا أشرف الكافوري، لأنك إن كنت حبيبي، سأمنع الزمن من أن يخط ليلة اليخت في ذاكرتك بعد اليوم، لأنك إن كنت حبيبي سأحرق أوراق الحزب جميعها لأنثر خمسين عاماً في حنايا أملك، لأنك إن كنت حبيبي، سأحطم الكاميرا التي التقط فيها مراسلي صورتك بالأمس وعرضها على القناة ليث الخبر حصرياً من جديد لأبقى في الصدارة، لا يمكن للحب والسلطة أن يجتمعا فواحد منهما عليه التنحي وإلا سقط الآخر".

حدقت جوليا إليه بذهول ثم توجهت نحو الباب وقالت وهي تستدير ممسكة مقبض الباب لتخرج: "نعم، لا يمكن يا أشرف، فحتى أنت وإن كنت شق النور ليلة اللغم تبقى كثورة البحر ليلة اليخت".

خطا أشرف للحظات خلفها، أمسك مقبض الباب المغلق، حدق إليه بصمت ثم عاد نحو النافذة، بينما سارت جوليا في الممر الطويل للفندق بخطى شاردة، وما أن وصلت جناحها الخاص، وعند عتبة الباب، وجدت كريم يقف محققاً إليها وهي قادمة من غرفة أشرف، وقفت صامتة لا تملك تبريراً لكريم في تلك اللحظات ولكن ملامحه الباردة بعثت الجمود في نفسها. فتح لها الباب ودخل قبلها، جلس على الكرسي قبالتها وهي تدخل الغرفة، وما أن أغلقت الباب حتى قال لها كريم: "جوليا، لقد طلبت من عزت تحضير أوراق الطلاق بيننا".

ريمون

كان حكمت يجلس في مكتبه المطل على الحديقة التي كانت تحيط بمنزله الضخم، منهمكاً بقراءة بعض التقارير، والأوراق الخاصة بالحملة الانتخابية، بعد أن أمضى ليلة طويلة أمس، حيث كان غياب جوليا فيها الحدث الأبرز ومن بين الأوراق المتراكمة رنّ الهاتف بجانبه فأجاب وهو يشير لرئيس الخدم بأن يضع القهوة جانبا ويغادر: "نعم يا عارف، كنت أقرأ التقارير منذ قليل، لا بأس بها، فإعلان الهدنة بعد المفاوضات ساعد على رفع مستوى التأييد للحملة، وذلك جيد قبل عملية التصويت للانتخابات الرئاسية".

فقال عارف بنبرة غير واضحة: "حكمت، ألم تسمع الأخبار؟ أو تقرأ صحف اليوم؟".

فقال حكمت وهو يخلع نظارة القراءة، وأخذ يفرك عينيه بأصابعه، ثم أرخى ظهره فوق الكرسي مبتسماً "في الواقع، لا يا عارف، لقد كانت ليلة الأمس طويلة، ماذا حصل؟ هل هناك من جديد؟".

قال عارف بقلق: "يبدو أن كل الأيام القادمة ستصبح طويلة!".
توجه حكمت نحو التلفاز متناولاً جهاز التحكم عن بعد، مقلّباً في القنوات ليتوقف عند إحدى القنوات التي كانت تسطر في شريطها

الإخباري خبر عاجل جديد "عاجل: فضيحة تهمز الحزب المرشح للرئاسة".

أغلق حكمت الهاتف وصوت عارف ينادي من بعيد:
"حكمت.. حكمت".

ثم اقترب من الشاشة أكثر وأخذ يقلب القنوات مرة أخرى فاستوقفه الخبر على قناة أخرى بصيغة مختلفة "عاجل: كشف النقاب عن ليلة خطبة السيدة جوليا والسيد كريم وحريق اليخت".

أخذ حكمت يقلب القنوات حينما علا صوت المذيعة على القناة وهي تقول: "إن حزب التآلف الوطني الذي ينادي بالنزاهة والتحضر بات غارقاً في وحل من الأكاذيب حينما أجبر جوليا على الزواج من كريم - ابن رئيس الحزب الحالي - وذلك منعاً لتسرب الخبر الذي كان سيسقط الحزب قبل دخوله سباق الانتخابات الحالي، بينما آثرت جوليا الصمت لتتال منصبها كناطق إعلامي للحزب. فيلأي مدى تفشى الفساد في حزب التآلف الوطني؟".

حذق حكمت إلى الشاشة التي أخذت تتناقل الخبر بسرعة أشبه بالنار في الهشيم، فخير هناك، ونقد هنا، وقنوات تتعاطف مع جوليا، وقنوات تهاجم الحزب لتسقط جميع أوراقه قبل التصويت بيوم واحد، عندها تناول حكمت هاتفه واتصل قائلاً: "عارف علينا أن نجتمع فوراً في مقر الحزب" ثم ابتسم متمتماً بعد أن أغلق سماعة الهاتف: "وهكذا حان دور كش ملك لك يا عارف".

جلست جوليا تحديق إلى الشاشة أمامها والأخبار تتوالى بين القنوات عن ليلة اليخت وتفصيلها، ما جعلها غير قادرة على إدراك التفاصيل الصغيرة تلك، أما كريم فكان يقف على الشرفة صامتاً بلا حراك، كانت جوليا تقلب القنوات بشكل سريع غير قادرة على تصديق ما يحدث وكيف تم كشف الخبر وبمذه الطريقة؟ إنه الخبر الوحيد الذي لم يكن حصرياً على أية قناة بل تداولته كل القنوات بطريقتها الخاصة، ليسقط الحزب صريعاً بعد كل هذا الصراع من أجل الرئاسة، وينال الحزب الحاكم شرف الرئاسة على طبق من ذهب بسبب لحظة ضعف سقطت فيها بين أحضان أشرف!

سار كريم باتجاه الغرفة والشرود واضح في وجه جوليا فقال لها وهو يتوجه نحو الباب: "سأغادر الليلة يا جوليا فهنا تنتهي رحلتي".

فهمت جوليا خلفه وأمسكت بذراعه وهو يدير ظهره: "لن تغادر، عليك أن تبقى، علينا أن نحل هذه المعضلة سوياً".

قال كريم ببرود وما زال وجهه نحو الباب: "لقد سئمت سباقكم السياسي هذا يا جوليا".

قالت جوليا بنبرة عصبية: "ليس الآن، لن تغادر ونحن على هذه الحال".

"إن استطعنا تغطية هذا الخبر، فلن نستطيع تغطية خبر الطلاق، لذا أعتقد أن كل الأمور باتت تسير ضمن المنحى الطبيعي لها".

"ولكنني لن أقبل بالطلاق".

عندها توقف كريم وأخذ يحديق إليها: "من أجل الحزب؟ هل عربد فيك حب السلطة إلى هذا الحد؟".

قالت بنبرة متوترة وهي تحاول إشاحة نظرها عن كريم
"ربما...". ثم صمتت قليلاً وأكملت: "وربما لأجلي...".

حدق إليها كريم شزراً وقال بعصية: "أتبحثين عن سيات
جديدة تلسعين فيها حاضرنا بعد أن تبعثر ماضينا أمام الحاضرين؟!"
صمت كريم الذي ابتعد عن الباب وسار باتجاه الغرفة بعد أن شعر
بأن الحدث بات أكبر من مجرد خبر على شاشة وقال لها وهو يحدق
إليها بغضب: "من أجل ماذا يا جوليا أخبريني؟ هل تودين ممارسة دور
الضحية من جديد؟ أم أنك تريدين سكب لحظات انهيارك على ليلة
انفجار اللغم بدلاً من ليلة اليخت هذه المرة".

قالت جوليا وهي تسير متوجهة نحوه "ولكن يا كريم...". وما أن
اقتربت منه محاولة وضع كفها على وجته المتصلبة حتى سرت
ارتعاشة في يدها جعلته يشيح بيدها عنه بعصية ويقول بنبرة نائرة:
"لكن ماذا يا جوليا؟ ماذا ويدك المتسللة إلى وجهي لا زالت ترتعش
كلما لامستي؟ ماذا وقلبك الذي انصاع للحظة بين أحضان أشرف
الكافوري بسبب الخوف من الموت لا زال ينتفض رغم موت قلبي
أمامه ألف مرة؟ ماذا يا جوليا والحب في داخلي بات متوحشاً لقسوة
لياليك حتى أصبح كل ما يحصل عليه لا يحصل عليه إلا عنوة؟! ما
الذي تريدينه يا ابنة حاتم الريزوني؟".

قالت جوليا بصوت شارد وهي تحدق إلى الفراغ حولها: "لا
أريد أن أفقد ما استطعت الحصول عليه".

قال كريم بنبرة مستسلمة: "ولكنني فقدت ما استطعت الحصول
عليه" فحدق إليها وسار متوجهاً للباب وقال "لذا، بات الطلاق هو
الحل الأنسب".

قالت جوليا قبل أن يخرج بنبرة متماسكة: "إن كان الأمر كذلك، لا بأس سنكمل إجراءات الطلاق كما تشاء ولكن بعد فوز الحزب".

"لم يعد للحزب فرصة للفوز بعد خبر اليخت".

أجابته جوليا بنبرة متحدية: "بل سيفوز وسن عقد أنا وأنت مؤتمراً صحفياً نوضح فيه كل الأمور بما فيها ليلة انفجار اللغم، وسنعلن تكذيبنا لخبر ليلة اليخت وما هي إلا إشاعات غرضها الوحيد إسقاط الحزب بسبب مواقفه السياسية الجريئة".

استدار كريم ونظرة الدهول ترتسم على وجهه وقال: "هل جنت يا جوليا؟! حتى الموت والحب تريدان تسخيرهما لخدمة مطامعك السياسية؟!".

فقالت له بنبرة لا مبالية: "بل لخدمة تضحية اقتاتت من روحي لتحيا يا كريم".

عندها غادر كريم الغرفة وأقفل الباب وراءه بعصبية، وسقطت جوليا على الفراش منهارة غير قادرة على فهم ما يحدث. لماذا كانت تناشد كريم بالعدول عن الطلاق؟ ولماذا يجوب أشرف خاطرها بعد كل ما فعل؟ كيف يمكن لقلبها أن يدق لرجلين عاشت روحاهما على عذابها... كيف؟!

نهضت جوليا، وتناولت هاتفها، وما أن أجاب الطرف الآخر حتى قالت بصوت تشوبه الלהفة والألم معاً "ريمون...".

فأجابها ريمون بصوته الهادئ: "جوليا الصغيرة".

قالت جوليا وصوتها يترنح: "ريمون...".

قال ريمون بنبرة قلقلة: "ما بك يا جوليا؟ هل أنت بخير يا عزيزتي؟".

قالت ودموعها بدأت تنساب بحرقة فوق وجنتيها الباردتين: "ريمون، أخبرني كيف يمكن لمن تسلقوا على أرواحنا أن ينبض لهم قلبنا بعد حين؟! أرجوك أخبرني".

قال لها ريمون بنبرته الدافئة التي اعتادت عليها لحظات ضعفها: "إنه الحب عندما يمد جذوره في نفوسنا بحثاً عن الرmq حتى وإن كان الأخير".

قالت له جوليا بعد أن مسحت دموعها: "وكيف يمكن أن نعشق الأم يا ريمون؟".

"وما العشق إلا ألم يا صغيرتي فلولا الألم لما تذوقنا لذة العشق يوماً".

"لكن خطاي بدأت تتوه بين من هجرته شهوراً لزلة ارتكبها فثارت الأنا في داخلي رافضة كل صور اعتذاراته، ومن اقتات على بريقي ليقتنص الخبر من قلبه قبل الباقيين فيسطرن كل يوم على شاشة قناته متصدراً كل الحاضرين".

ابتسم ريمون متنهداً وقال: "لا تمزقي لحظات القبول في داخلك تحت حالات الرفض لوقائع ماضية".

قالت جوليا متألماً: "ولكنها ليست ماضية يا ريمون، وما زالت أشجانها تنير الصمت القابع خلف نفسي الثائرة، فهل من الممكن أن يعشق القلب اثنين في اللحظة نفسها؟ أم أهما أنفاس المكان تبث في روحي ذلك الإحساس الأزلي بالحب والهوى والبحث عن العشق المدفون تحت وطأة الأم؟".

قال ريمون بهدوء: "وهل بات قلبك الذي لم يتسع لكريم يوماً يتسع لاثنين يا جوليا؟!".

قالت جوليا بصوت شارد: "كريم وأشرف يا ريمون، هل من الممكن أن يحدث هذا؟ هل من الممكن أن يطرق القلب أبوابه على أعتاب الاثنين معاً".

"عزيزتي جوليا القلب لا يمكن له أن يستقبل أكثر من عتبة واحدة، ولا يمكن له أن ينبض إلا لعرشة واحدة، لذا عليك أن تعلمي أن الحب لن يسقط بارتعاشاته إلا بين أحضان الحبيب، عندها ستعلمين أن قلبك كان ينبض له وبين البحث بات ينبض لآخرين".
تهدت جوليا وقالت بعد أن هدأت: "لا أستطيع تحديد نبضي الآن يا ريمون".

ضحك ريمون وقال: "لا تقلقي يا عزيزتي ستعرفينه حينما يسكن قلبك للحظات بين ذراعيه منتظراً وميضاً يوقظه من جديد".

قالت جوليا بصوت هائم: "ربما كنت محقاً صمتت قليلاً ثم قالت: "شكراً لك يا ريمون، لقد اشتقت إلى كلماتك المنحوتة كفنك القابع في باريس، اشتقت إلى الحي اللاتيني ومدفأتك وقت الشتاء، والغطاء الصوفي الذي نسجته لي صوفياً لأتلحف به أمامها، اشتقت إلى نفسي يا ريمون، اشتقت إلى جوليا".

"ستجدنيها في لحظة سلام يا جوليا، ولكن ابحثي عن لحظة السلام أولاً".

تهدت جوليا بعمق وقالت: "نعم، لحظة سلام، أنت محق، شكراً لك يا ريمون سأكلمك مجرد أن أصل إلى وطني".

فقال ريمون بنبرة متسائلة: "ومتى تعودين؟".

فقلت جوليا وهي تحدق من النافذة لتجد فوجاً كبيراً من الإعلاميين بانتظارها في الأسفل: "بقيت خطوة أخيرة يا ريمون وأعود، عندها لربما عادت الطرق المرصوفة من جديد".
ابتسم ريمون وقال: "الطرق المرصوفة دوماً موجودة يا عزيزتي مهما خط فيها الزمن خطوطه فلا تقلقي".

ابتسمت جوليا وقالت: "اعتن بنفسك يا ريمون، فلربما باغتك برحلة جديدة إلى ربوع مدينة النور بحثاً عن النور".
ضحك ريمون وقال: "وأنا سأكون بانتظارك يا عزيزتي... وداعاً".

"وداعاً ريمون". أفضت جوليا الهاتف، ثم حدقت إليه ثانية، وضغطت على زر الاتصال منتظرة الإجابة وهي لا تزال تحدق إلى الصحفيين المتجمهرين أسفل الفندق.

كان حاتم يجلس إلى الطاولة المستديرة مع حكمت وعارف وكان الغضب والوجوم يسيطر على عارف وحاتم بعد الأحداث الأخيرة، فلقد تناول الإعلام حياتهما بأسلوب استطاع أن يزعزع كل خطوة ثقة بناها الحزب عبر سنين الخمسين، بينما كان حكمت يحدق إليهما بهدوء حينما قال "إن التقارير كلها منذ انتشار الخبر وحتى هذه اللحظة تعلن سقوط الحزب في الانتخابات، وارتفاع نسبة المؤيدين للحزب الحاكم، فحزبنا بات يفقد مصداقيته أمام الشعب بتستره على جريمة كهذه، لذا بات علينا إيجاد حل سريع وإلا سقط الحزب قبل نهاية الانتخابات".

صمت حاتم ثم جلس في كرسيه وقال: "عقلي لا يستطيع حتى التفكير بجل ممكن أن ينشلنا من هذه الكارثة" وما أن أكمل جملته حتى رنَّ هاتفه فجأة فتناوله بسرعة وأجاب بعصية: "نعم.. صمت قليلاً ثم قال بصوت مندهش: "جوليا؟!".

فقال جوليا بنبرة مطمئنة: "أبي أرجوك أخبر جميع من حولك أنني سأحل المشكلة، لن أرضى بالخسارة بعد أن بتنا على أعتاب الفوز".

فقال حاتم بنبرة قلقة: "ماذا تعنين يا جوليا؟".
"سأعقد وكريم مؤتمراً صحفياً وسنعمل على تكذيب الخبر، ثم نتهم الحزب الحاكم بنشره كإشاعة للإطاحة بجزينا بسبب شفافية مواقفه السياسية وجرأتهما، عندها سيعود الحال إلى ما كان عليه".

"ولكن خبراً كهذا، لن يمر بسهولة على الحزب الحاكم".
"نعم أعلم، ولكن حتى إذا أرادوا الطعن بما وجهنا لهم من اتهام، ليثبتوا عكسه سيكون سباق الانتخابات قد انتهى يا أبي، ونحن لن نعلن الخير بسذاجة بل سيكون مبطناً غير واضح المعالم، فلا تقلق". كان كل من عارف وحكمت يحاولان انتشال الكلمات عليهما يستطيعان فهم ما يدور بين جوليا وأبيها، عندما علت شفاه حاتم ابتسامة باردة وقال: "حسناً يا ابنتي، ولكن احذري".

قالت جوليا بنبرة مودعة: "لا تقلق يا أبي، وداعاً".
وما أن أقفل الخط حتى بادره عارف متسائلاً: "ماذا هناك يا حاتم؟".

نهض حاتم متوجهاً نحو الباب، وقال دون أن يدبر ظهره:
"ستقوم جوليا وكريم بعقد مؤتمر صحفي لتكذيب الخبر، واتهام
الحزب الحاكم بنشر الإشاعة".

تنفس عارف الصعداء وقال: "حُلَّت المسألة، ذلك جيد، وأنا
أيضاً سأغادر، علينا الاستعداد ليوم الغد فإنه اليوم الحاسم للتصويت،
غداً سيعود السباق إلى نقطة البداية".

سار عارف باتجاه حاتم حينما قال حكمت بصوت عالٍ حتى
يسمعه عارف قبل المغادرة: "ولكن بات عليك اتخاذ خطوة حاسمة
يا عارف حتى وإن كذب الخبر جوليا وكريم". توقف عارف هو
وحاتم واستدار قائلاً: "ماذا تقصد؟" فقال حكمت ببرود وهو يشعل
سيجاره الكوبي. "أقصد أنه بات عليك الانسحاب من الحزب
يا عارف على الأقل في الوقت الحالي".

توقف حاتم محققاً إلى حكمت: "كيف وعارف هو المرشح
الأول لرئاسة الوزراء في حالة الفوز". فقال حكمت وهو ينفث
حلقات دخانه: "وهل تعتقد أننا سنبدأ أولى خطواتنا الرئاسية برئيس
وزراء زوج ابنه لابتك الضحية قسراً؟ هذا ما سيتداوله الشعب مهما
حاولت جوليا درء الخبر". فقال حاتم وهو يحدق إلى عارف الذي
سيطر عليه الصمت حتى بات عاجزاً عن النقاش: "ولكن لا يمكن لنا
تغيير الخطة الرئاسية قبل النتائج بيوم واحد". فقال حكمت: "لن
يكون هناك تغيير جذري فبغيب عارف أنا أتولى منصب رئاسة
الوزراء، وبذلك تنتهي الحكاية، ولكن لا بد للنتيجة أن تحسم قبلاً".

صمت حاتم قليلاً ثم قال بنبرة مستهترّة: "هذا إن فزنا أساساً"
عندها أدار حاتم ظهره قائلاً: "دعنا نغادر الآن، ولا نستبق الأحداث،

فلكل حادث حديث يا حكمت، هيا بنا يا عارف". وما أن أكمل
جملته الأخيرة حتى كان كل من عارف وحاتم يغادرا المقر بينما وقف
حكمت أمام زجاج النافذة نافثاً دخان سيجاره منتظراً الوقت
الزاحف للمضي.

بين ارتعاشات الحبيب

كان حاتم يستعد أمام المرآة وهو يعدّل ياقة قميصه الأبيض وربطة عنقه السوداء حينما وقف محدقاً إلى وجهه الذي بدا متعباً، فبالرغم من انتظار هذا اليوم بكافة تفاصيله إلا أن توتر الشهور الماضية كان قد ترك أثراً واضحاً عليه وعلى ماجدة التي كانت رغم تأنفها كالعادة إلا أن القلق لا زال يسيطر على جزء من تفكيرها، ولكن لم يمنعها ذلك من الاعتناء بمظهرها وشكلها حتى تليق بالحدث أمام شاشات التلفاز أثناء عملية فرز الأصوات ومعرفة الفائز. بمنصب الرئاسة بعد هذه الشهور الطويلة التي مضت ثقيلة على كاهل الجميع، ورغم قلقها المستمر على جوليا، إلا أن حدة التوتر بدأت تقل بسبب انتظار ما هو قادم في سباق الانتخابات، الذي بات يحمل في حناياه الكثير منذ إعلان حادثة ليلة اليخت والتي تصدرت كافة القنوات حتى أنها كادت أن تغطي على حدث الانتخابات نفسها، فمنذ الأزل تبقى الإشاعة المبنية على فضح خفايا الأسر الكبيرة هي الورقة الراجحة في يد أي محطة، أو جريدة، أو وسيلة إعلامية، لذا وحتى هذه اللحظة لا يزال جوليا وكريم يتصدران العناوين الرئيسية لكافة القنوات، وإعلان جوليا للوسائل الإعلامية عن نيتها لعقد مؤتمر صحفي توضح فيها كافة

الأمور المتعلقة بات يسير في مجرى واحد مع الانتخابات وأحداثها.
"عليك تعديل ربطة العنق يا حاتم فإنها تبدو أطول قليلاً مما
يجب" قالت ماجدة.

حذق حاتم إلى المرأة ثم قال: "نعم أنت محقة". ثم بدأ بجل عقدة
الربطة وبدأ بها من جديد اقتربت منه ماجدة لتجده شارد الذهن
فأخذت منه الربطة وبدأت بعقدتها وقالت وهي تربطها: "ما بك؟ لِمَ
أنت شارد الذهن؟".

فقال حاتم: "لا أدري..". صمت قليلاً ثم أكمل: "بجتاحني
مشاعر متشابكة بين القلق، والحماس والخوف. ربما أمضيت سني
عمري في الحزب والعمل السياسي، ولكن خطوة الرئاسة هذه كانت
دوماً حلاً صعب المنال بالنسبة إليّ، ولربما كانت دوماً مجرد حلم
تسطره الذاكرة لا أكثر".

ابتسمت ماجدة وهي تنهي ربطة العنق، ثم وضعت يدها على
كتفه قائلة: "وربما يتحقق الحلم يا حاتم".

ابتسم حاتم ببرود: "لا أعتقد يا عزيزتي فمؤشرات التصويت لا
توحي بالنجاح أبداً، لقد قلّت نسبة المصوتين لنا بسبب خير حادثة
اليخت بشكل ملحوظ وكبير، وهذا ما يتم تغطيته الآن".

قالت ماجدة وهي تحذق إليه: "ولكنك ستتحجج لأنني مؤمنة
بأنك أحق من يستلم منصب الرئاسة يا عزيزي".
"وأتمنى ألا تسرقني قبة الرئاسة".

قالت ماجدة مبتسمة كمن يحاول طمأنته: "لا أعتقد هذا
يا عزيزي، فسنون في العمل السياسي كانت كفيفة بذلك، ولكنها لم
تفعل".

فقال حاتم بشرود: "بل فعلت...".
فقالت ماجدة بنبرة متوترة: "ما بك يا حاتم، لماذا تحاول التفكير
بهذه الطريقة الآن؟".

"ربما لأنني بت على أعتاب خطوة لم أعد أدرك هل كنت أنا
من يريدتها أم الحزب؟".

قالت ماجدة وهي تضع بصماتها الأخيرة على ثيابه، لتتأكد أنه
بات يليق بمنصب المرشح الأول للرئاسة "لا يهم من كان يريدتها،
المهم أنها باتت موجودة وعليك أن تخطو إليها مهما ساورتك
الشكوك".

اقتربت ماجدة منه وقالت بنبرة دافئة: "حاتم يا عزيزي، رغم
هبوط نسب المصوتين، ورغم احتمالية الفشل في حرب الانتخابات،
ورغم كل الألم الذي حملته هذه المرحلة من حياتنا، إلا أن ما سعت
له كان يستحق الانتظار" وما أن أكملت جملتها حتى عانقت حاتم،
وألقت برأسها فوق كتفيه كمن يحاول إزاحة ثقل عن كاهله، فابتسم
حاتم ورفع رأسها عن كتفه وقال:

"أشكرك على مساندتك لي على مدار هذه الفترة الزمنية الطويلة،
كنت دوماً حولي رغم البعد، فشكراً لك يا ماجدة". ابتسمت
ماجدة، ثم اقترب حاتم وقبل جبينها وقال: "حان وقت المغادرة نحو
المقر، سنبقى هناك أنا وأنت والباقيون انتظارك لإعلان النتائج".

فقالت ماجدة وهي تتأبط ذراعه: "حسناً، لنغادر حتى لا نكون
متأخرين عن الباقيين".

حذق إليها حاتم ليرى فيها للحظة سني عمره الخمسين بكل ما
حملته من حب وقلق وحماس ورغبات متناثرة بين القبول والرفض

ترسم في عينيها الدافئتين وقال: "هيا بنا يا عزيزتي".
ثم سارا متوجهين نحو السيارة، حيث كان السائق يقف بانتظارهما ومعه مجموعة من الحرس، صعدت في نفس السيارة، متوجهين نحو المقر الخاص بالحزب، فالشوارع تضج بالناخبين المنطلقين نحو مقرات التصويت للإدلاء بأصواتهم، والقنوات الإخبارية تحاول تغطية كل دقيقة من الحدث من خلال سؤال المواطنين عن سير العملية الانتخابية وآرائهم بها، كما كان هناك بعض المحطات تحاول نبش المواضيع محاولة استثارة الرأي العام بمختلف المجالات، ولكن يبقى الحدث الأبرز في هذا اليوم هو الانتخابات وسباقها المستميت نحو النتائج.

كانت التوقعات جميعها تصب في مصلحة الحزب الحاكم، رغم الشهور الثقيلة التي مرت على حزب التآلف الوطني ومحاولاته المستمرة للحفاظ على خطواته المتعثرة، فمنذ خبر حادثة اليخت وحتى هذه اللحظة لا يزال مؤتمر جوليا هو كرت الرهان الأخير الذي ألقته بنفسها للحفاظ على مسيرة الحزب، وفي تلك الأثناء كانت السيارة قد وصلت للمقر الذي ضج بالحركة فجميع الأعضاء توافدوا نحو المكان، بينما العاملون على الحملة الانتخابية كانوا قد وصلوا إلى المقر، مجموعة منهم كانت تتابع التقارير الأولية لعملية التصويت وآخرون يحاولون تغطية جميع الوسائل الإعلامية بكل ما هو جديد متعلق بالانتخابات وسيرها، ولكن حتى هذه اللحظات لا تزال جميع المؤشرات تدل على ضعف فوز الحزب بالانتخابات، ما جعل المكان يزداد حدة وتوتراً، فجميع الحاضرين كانوا قد بذلوا جهداً مضاعفاً في الآونة الأخيرة ضيعه خبر لا أحد يعلم من سره للقنوات! فهل كان

الحزب الحاكم يحتفظ به كورقة رابحة لنهاية الحدث، أم أن هناك من كان يتلاعب بالحزب منذ البداية تاركاً الخطى كلها تسير وما أن اقتربت حتى رسم النهاية التي يريد! وفي خضم تلك الأحداث المتواترة والجو المشحون بالحركة والترقب جلس حكمت بهدوء يراقب من بعيد.

كانت جوليا تقف أمام المرأة تحاول التزين قليلاً وانتقاء ثياب تليق بالمؤتمر الصحفي الذي تحاول تغطيته، فاختارت ثوباً أزرقاً نيلياً كان ينساب فوق جسدها بهدوء يبرز جمالها بركة، وشعرها منسدل فوق كتفيها بنعومة، ثم انتعلت حذاء أبيض منحها طولاً أكثر بكعبه العالي، وما أن انتهت حتى وجدت كريم يقف أمامها قائلاً بنبرة عصبية: "ما الذي تفعلينه يا جوليا؟".

صمتت جوليا للحظات، وسارت باتجاه المرأة لتكمل ترتيب نفسها فقال كريم بصوته المتوتر: "كيف تعلنين عقد مؤتمر صحفي يشملنا معاً، وأنا حتى لم أعلم بذلك؟".

قالت جوليا بلا مبالاة: "لقد أخبرتك أنه علينا عقد مؤتمر صحفي لنفي الحادثة وتوضيح الأمور للإعلاميين".

قال كريم بغضب: "ومن أخبرك بأنني أرغب بنفي الخبر" كان ذلك الخبر قد أزاح ثقل أيام طويلة أمضاها في رحلة شاقة بين عذاب اللحظة وعذاب الضمير، خبر أطلق لنفسه العنان في رحلة أبدية نحو الحرية من عقدة الذنب، خبر جعله يشعر بأنه للمرة الأولى ومنذ شهور عاد كريم.

حدقت إليه جوليا عبر المرآة مذهولة ثم استدارت نحوه وقالت:
"أتعني أنك راضٍ عما تم نشره عبر وسائل الإعلام عنا قبل ظهور
النتائج بيوم واحد فقط؟!"

ضحك كريم وقال: "بالطبع راضٍ، بل بالعكس، أشعر بأنني
أحيا للمرة الأولى منذ ليلة اليخت لحظات انتصاري".

فقال جوليا محذقة إليه بنبرة غير مصدقة: "أي انتصار هذا الذي
تبنيه على أنقراض غيرك أم أنك قد اعتدت على ذلك منذ أن تزوجت
على أنقاضي!"

اقترب كريم منها غاضباً، وقف قليلاً ثم ابتعد قائلاً بنبرة حاول
السيطرة فيها على نفسه: "انتصار على روجي المعلقة بين إرضاء
أنانيتك، وإرضاء نفسك التي استطاعت أن تجعل من ليلة اليخت
سطراً لا يُنسى في صفحات حياتنا".

قالت جوليا وهي تنظر إلى شاشة التلفاز الصامتة أمامها:
"وكيف ستتصر بعد سماعك هذا الخير؟"

قاطعها كريم بصوت هائج: "كفى... لا أرغب بسماع المزيد".
اقترب منها كريم وقال: "إلى متى ستسحقين الجميع بعد أن بت
العضو الأكثر تهديداً في الحزب؟"

"إلى أن ينتهي هذا السباق بفوز والدي".

تناولت جوليا جهاز الريموت كترول وأخذت تزيد من صوت
التلفاز تدريجياً حينما كان صوت المذيعة يقول: "السيد عارف التلواني
لا زال يحاول تغطية الفضيحة التي باتت تمس العائلة كاملة والتي جعلته
ينتحي عن منصبه الحالي كرئيس لحزب التآلف الوطني قبل صدور
نتيجة التصويت ببضع ساعات، ما جعل هذا الخير يضع المصوتين في

حالة من التخبط. فعلى مدار ما يقارب خمسة عشر عاماً من العطاء الطويل في الحزب والإنجازات الكبيرة فيه، إلا أن ذلك لم يكن كافياً لمحو زلة أو خطأ ارتكبه السيد عارف في التغطية على جناية قام بها ابنه، ورغم كل المحاولات اليايسة التي يسعى إليها الحزب لتغطية الحدث إلا أن المصوتين الباحثين عن الحرية والعدالة لم يعودوا يرون في حزب التآلف الوطني ما يمثلهم كشعب، وعلى ما يبدو أن الانتخابات باتت محسومة حتى قبل مرحلة فرز الأصوات".

وقف كريم يستمع من بعيد بذهول ثم قال بنبرة متهالكة: "وما الذي تريدينه؟".

قالت جوليا وهي تقفل التلفاز: "فقط أريد للعبة أن تنتهي كما تم التخطيط لها ليس أكثر".

اقترب كريم منها، أخذ يحرق إليها بكل الألم الذي كان يمزق روحه المبعثرة، إلا أن نظرة الشوق تلك باتت تميزها جوليا جيداً في حنايا عينيه كلما حدق إليها وقال: "من بين كل ذلك الألم الذي بتنا نجتره كل ليلة يا جوليا، يبقى نزال الانتخابات هو المسيطر هنا" صمت قليلاً ثم اقترب منها أكثر بينما كانت تحرق إليه وحين اعتلى نفسها لم تعتد عليه، لكنه بات موجوداً وبدأ صوته يقترب مع أنفاسه الدافئة: "ألم تسأمي؟".

فقالت جوليا وهي تنظر إلى وجهه المنهك: "بلى يا كريم، لقد سئمت، لذا لا تفعل!؟".

فقال كريم بصوت حائر: "أفعل ماذا؟ المؤتمر؟ لا تقلقي لن أرضى لوالدي أن تكون هذه نهاية مسيرته السياسية".

قالت بنظرة شاردة: "بل الطلاق!".

ابتعد كريم خطوة والذهول يرتسم فوق وجهه. لم يكن يعلم في تلك اللحظة ما الذي تريده جوليا بعد أن أعلنت كفرها بفلسفة سقراط وكافة معايير الإنسانية، ليلة انفجار اللغم.

سار كريم نحو الباب بخطوات تائهة وقال وهو يدير ظهره لجوليا: "لستُ سقراط يا جوليا".

وما أن أقفل باب الغرفة حتى سقطت جوليا على حافة السرير باكية: "ولست كليوباترا يا كريم!".

وما أن تمتت بجملتها حتى كان باب الغرفة يقرع فنهضت بعد أن مسحت دموعها لتفتح الباب وما أن فتحته حتى كان أشرف يقف أمامها فحدقت إليه للحظات وقالت وهي تحاول إقفال الباب ثانية: "ماذا تريد يا سيد أشرف؟".

قال أشرف وهو يمسك الباب بيده: "جئت لأخبرك... ولكنها قاطعته قائلة: "لا يهمني ما تحاول إخباري به".

فقال أشرف بصوت عصبي: "ولكن يهمني أن تعلمي بالأمر".

فقال جوليا وهي تقف أمامه غير مبالية بما يقول: "وأنا لا أمتلك الوقت الكافي لسماحك فاسمح لي، عليّ التجهيز للمؤتمر" وما أن همّت بإقفال الباب حتى أزاحه أشرف قائلاً: "المؤتمر لا أهمية له بالنسبة إليّ".

ضحكت جوليا باستهتار وقالت: "أشرف الكافوري لا يهمله مؤتمر صحفي لجوليا الريزوني؟! اقتربت منه جوليا والشرر يتطاير من عينيها غضباً وقالت: "أعتقدني ساذجة إلى هذا الحد يا أشرف، كنت دوماً تجتر نجاحك على رفات الآخرين، ولكن لست أنا".

حدقت إليه جوليا بصمت وقالت بعد لحظات: "وحدك من يستطيع اقتناص الفرص، حتى فرص الحياة بين الموت يا أشرف" حدق إليها أشرف بنظرة كادت تمزقها شوقاً فأشاحت بوجهها عنه وقالت: "لا يهمني خبرك يا سيد أشرف لذا أعتقد أنه عليك أن تغادر".

اقترب منها أشرف أكثر حتى كادت أنفاسه تلامس خصلات شعرها وكانت يده لا تزال تمسك ذراعها وقال بصوت هامس: "جوليا.. حتى وإن لم أستطع يوماً، ستبقين أنت اللحظة الوحيدة التي لم أجد فيها أشرف الكافوري". وما أن أكمل جملته حتى أفلت يده وغادر مسرعاً بينما وقفت جوليا تحدق إليه من بعيد عليها تستطيع للحظات فك كل تلك الطلاسم التي باتت تعتلي مشاعرها كلما اجتمعت بأشرف، ولاح لها من بعيد طيف كريم فهل حقاً كما قال ريمون، القلب لا يمكن له إلا أن ينبض لواحد؟ أم أن الحب لن يسقط بارتعاشاته إلا بين أحضان الحبيب؟

وقفت في الممر الطويل للحظات ثم دخلت غرفتها، محاولة تناسي كل ما سمعت أو شعرت به مع أشرف، وبدأت بإعداد نفسها استعداداً للمؤتمر.

كان حكمت يجلس في كرسيه محديقاً إلى النافذة الطويلة من مكتبه، تحيط به الضجة التي بدأت تعلو أرجاء المقر مع بداية فرز الأصوات، وكان في حالة من الهدوء لم يعتد عليها الحزب منه، عندها قال له أحد الأعضاء مماًزحاً للتخفيف من حدة التوتر في المكان: "من يرك يا حكمت وأنت بهذا الهدوء يعتقد بأنك الفائز بالرئاسة". بقي حكمت يحدق إلى النافذة بالهدوء نفسه، فقد كانت كافة المحريات

الأخيرة تصب في كفة الحزب وضمن خط لم يكن يعتقد أنه يستطيع رسمه لنفسه. فخروج عارف وتنحيه عن منصبه يمنحه الفرصة الكاملة ليصبح هو المرشح الرئيسي والأول لرئاسة الوزراء في الدورة الرئاسية التي سيتولاها حاتم إن فاز، ورغم بلبلة الأحداث، بدأت الخطى ترتسم بلا قلم، وبدأت المؤشرات تلوح في الأفق لتمنحه نتيجة سعى لها جاهداً طوال المدة الماضية ومع شروده الطويل ذاك، قال حكمت بهدوء وهو لا يزال في جلسته تلك: "وهل يساورك الشك في الفوز؟".

فقال آخر - كان يجلس بجانب زميله - : "بل باتت الخسارة وشيكة" ثم أشار إلى الشاشات التي كانت تضع المؤشر بين الحين والآخر للنتائج الأولية للانتخابات والتي كانت تشير بالفوز الأولي للحزب الحاكم بنسبة 56% مقابل 44% لحزب التآلف الوطني، ثم قال زميله مكماً: "إن الفارق بين النسب كبير جداً، ومهما حاول الحزب رفع فرصه بالنجاح سيقى هذا الفارق يقف حائلاً بيننا وبين الحزب الحاكم".

فقال حكمت وهو ينفث دخان سيجارته: "دعنا لا نستبق الأحداث".

فقال آخر - كان قد دخل توة الغرفة - : "لقد أعلن عارف انسحابه من الحزب منذ ساعات، تحسنت نسبة التصويت إلا أن الحزب الحاكم لا يزال مسيطراً".

فقال حكمت: "علينا الانتظار، فهناك مجموعة كبيرة من الشعب لا يزالون يلقون بأوراق أصواتهم في صناديق الاقتراع ولم يتم فرز أصواتهم بعد".

فقال أحد الموجودين بصوت عالٍ مشيراً للجميع أن يهدأ: "لقد بدأ المؤتمر الصحفي لجوليا وكريم".

نهض الجميع باتجاه الشاشة المعلقة في مقر الحزب بينما كان حاتم وماجدة يقفان أمام الشاشة متسمرين منتظرين بدء المؤتمر، كان حكمت ينفث حلقات دخانه، وبدأ التوتر يتسلل إلى وجهه الجليدي والذي تشبث نظراته بالشاشة دون حراك حينما علا صوت جوليا في الشاشات جميعها فجأة وهي تقف على منصة نُصبت في الساحة الخارجية للفندق بين الركام وقالت:

"أشكر جميع الحاضرين من كافة وسائل الإعلام على حضور هذا المؤتمر الصحفي، الذي يأتي في فترة زمنية تتساوى بالأهمية في وطني مع أهمية الأحداث الموجودة هنا، ففي هذه الساعات نقف على أعتاب انتخابات جديدة سعيها جاهدين فيها لتوضيح كافة مواقفنا السياسية، وكنا على قدر من الشفافية المطلقة في تحويل كافة شعاراتنا السياسية إلى مواقف حقيقية يترجمها الواقع ولذا، ورغم عدم تواجدي في تلك اللحظات الهامة من حياة والدي ومسيرة الحزب الطويلة، إلا أنني أعلم أن تواجدي هنا لا يقل أهمية عن ذلك الحدث الكبير هناك".

صمتت جوليا قليلاً وكانت الكاميرات لا تزال تغطي المؤتمر من جميع زواياه حيث جلس مجموعة من الصحفيين على المقاعد، ومجموعة أخرى كانت تقف في الصفوف الأخيرة محاولين تناول المايكروفون للبدء بطرح الأسئلة، وما أن تناول أحد الإعلاميين المايكروفون مبادراً بالسؤال حتى اقتربت الكاميرا نحو وجه جوليا لتتناقل صورتها كافة الشاشات المعلقة في المقر، والخارج، وفي الميدان.

توقف الناس الذين ينتظرون دورهم في التصويت، وأخذوا يستمعون لمؤتمرها الصحفي بينما كان البعض الآخر يملأ الاستمارات ويلقيها في صندوق الاقتراع، أكملت هي بدورها كلامها حينما قالت: "غيابي في الفترة الأخيرة أثار حالة من الجدل المتواصل على الشاشات، ورغم عدم رغبتني باستغلال الحدث والظروف، إلا أن ما جدّ في الساحة الإعلامية فرض عليّ الخروج لتوضيح كافة الأمور المعلقة ما بين ليلة غيابي عن الفندق، وحادثه اليخت، لذا اسمحوا لنا الآن باستقبال كافة الأسئلة" وما أن أنهت جملتها حتى كان كريم يحدق إليها وهو يقف بجانبها، لم يكن يعلم هل كان يقف من أجل والده كما ادّعى؟ أم أنه حتى هذه اللحظة لا يستطيع ترك جوليا في قلب الأحداث وحيدة؟ فهل حقاً لم يسأم وجودها في حياته؟ أم أن خوفه عليها لا يزال ينتفض كلما رآها تعتلي المنصات السياسية؟

قاطع صوت الصحفي أفكاره حينما قال: "سيدة جوليا، هل يمكن لك أن توضح لي لنا إذن سبب غيابك في الليلة الماضية عن الفندق وعودتك إليه بهذه الحالة؟".

قالت جوليا وهي تقترب من المايكروفون: "نعم لقد غبت عن الفندق ما يقارب الأربع وعشرين ساعة، والسبب الرئيسي لغيابي هو...".

صمتت لثوانٍ معدودة حيث كانت عيناها تبحثان بشكل هادئ وغير ملحوظ عن أشرف بين الحاضرين ثم أكملت: "كان سبب غيابي في الواقع وقوفي المفاجئ في حقل من الألغام حينما قررت النزول في جولة تفقدية بعد الهدنة، وفي تلك الأثناء دست على لغم أرضي، ما جعل الأربع والعشرين ساعة مدة زمنية غير كافية لتبرير

الغياب" وما أن أكملت جملتها حتى ثارت بلبلة بالمكان بين الحاضرين، أما في قاعات التصويت والانتخاب فقد توقف الجميع فجأة من ذهول ما أعلنته جوليا على الشاشات!

فقال الصحفي محاولاً اقتناص إعلان الخبر: "وهل كان سبب رجوعك بهذه الحالة هو..." قاطعته جوليا قائلة: "بالطبع، لقد انفجر اللغم بعد أن استطعنا إيجاد طريقة تساعدني على الهروب قبل ذلك".

حدقت ماجدة إلى الشاشة حينما بدأت يدها بالارتعاش، فاحتضنها حاتم ماداً ذراعه فوق كتفها واقتراب منها أكثر، فشعرت ماجدة بنبضاته المرتعدة فالتفت ذراعها حوله محاولة أن ترمي جزءاً من خوفها في أحضانه، بينما نهض حكمت من مقعده وهو يحدق إلى تفاصيل وجه جوليا الهادئ حينما بادرها الصحفي بسؤال آخر قائلاً: "وهل كان السيد كريم معك في الحقل نفسه؟". في تلك اللحظات كانت عينا جوليا الثابتتان أمام الحاضرين تتبعثران أمام أشرف الذي ظهر فجأة بين الصحفيين في الصف الخلفي وقالت وهي تحدق من بعيد: "نعم، لقد كان زوجي كريم موجود ولهذا كنا معاً لحظة العودة".

لم تعلم جوليا في تلك الأثناء هل لحت وجهه أشرف غاضباً أم أنها لحت ابتسامة صفراء اعتلت وجهه لم تجد لها تفسيراً!

وما أن أكمل الصحفي سؤاله، وبدأ بطرح سؤال جديد حتى قالت جوليا مبتسمة: "أعتقد أنه علينا السماح للباقيين بطرح الأسئلة" ثم أشارت لأحد الصحفيين الآخرين بالسؤال، في تلك اللحظات، كان كريم يحدق إلى جوليا التي بدت وكأنها تمارس اللعبة السياسية منذ زمن، وتمتلك من الحنكة والدهاء ما يمتلكه الحزب بكافة أعضائه

ولكنها تبقى العضو الأبرز والمحجب للصحافة وحتى الشعب بسبب الصدق المغلف بخطواتها المحبوكة، عندها لم يكن يعلم هل حقاً تلك هي جوليا التي أحبها ليسقط صريعاً ليلة اليخت؟!

"سيدة جوليا، هل تعتقدين أن مؤتمر الصحفي هذا سيغير من نتيجة التصويت الحالية والتي أظهرت مع فرز الصناديق أن الفارق أصبح فيها 12%؟".

أجابت جوليا بنبرة واثقة: "إن الشعب لا يحتاج لمؤتمر صحفي لتحديد المواقف الصادقة، ولم يكن بحاجة حتى لتبرير سبب غيابي، فهو يعلم أن الموت في الحرب لا يختار الضحايا بل يسير حاملاً معه كل روح تضع نفسها في دائرة الخطر غير آبهة إلا للسعي لتحقيق مبادئ آمنت فيها بأحقية الحياة لجميع المارين على هذه الأرض مهما كانت الظروف".

فقال الصحفي: "فلمَ إذاً قررت عقد المؤتمر الصحفي الآن؟".
قالت جوليا للصحفي: "وهل سيدور محور المؤتمر على سبب عقده في هذا الوقت بالذات؟ أم عمّا يحمله من مواضيع قد يكشف النقاب عنها لو تم طرح السؤال المناسب في المكان المناسب؟".
عندها ابتسم الحاضرون ثم قالت جوليا مكملة: "عذراً، ولكن هناك آخرون لا بد أنهم يرغبون أيضاً بطرح الأسئلة".

اقترب أحد الصحفيين من المنصة حاملاً مايكروفونه وقال:
"سيدة جوليا، لقد سمعت جاهدة لمنح الحرب هنا هدنة من السلام المؤقت بحثاً عن فترة للضحايا عليهم يجدون ملجأً آمناً لهم في غياب الأمن في الوضع الحالي، فهل ترين أن الهدنة قد ساعدت على تحقيق ذلك؟".

هتت جوليا بالرد وهي تقترب من المنصة أكثر وقالت: "نعم، إن الهدنة ساعدت ولو بجزء بسيط في أن تمنح الضحايا فرصة للجوء لبعض الأماكن الآمنة، ولو أن الأرض هنا باتت تخلو من الأمن ولو حتى بزواوية، ولكن تبقى عملية الوجود في منطقة خالية من القصف أفضل من الوجود في منطقة لا تزال تقصف بشراسة".

عندها أكمل الصحفي قائلاً: "هل أنت مؤمنة بالسلام هنا؟".
فقلت جوليا بصوت هادئ وهي تحديق إلى الفراغ: "لا أدري ما هو مفهوم السلام في زمننا الحالي، ولكنني مؤمنة بحق الحياة على هذه الأرض".

وما أن أكملت جملتها حتى فهض أحد الصحفيين وتوجه نحو المايكروفون وقال: "سيدة جوليا، ما دمت عقدت المؤتمر في وقت كهذا فلا بد أنك على استعداد لكشف حقيقة ليلة اليخت أنت والسيد كريم وتوضيح كل ما تم طرحه في الآونة الأخيرة بخصوص هذا الشأن". أكمل الصحفي سؤاله لتنظر جوليا نحو كريم نظرة حملت في داخلها معاني كثيرة، ثم اقتربت من المايكروفون ثانية لتجيبه وما أن بادرت بالكلام حتى احترقت رصاصة الأجواء لتستقر في صدرها، فوقفت للحظات وهي تضع يدها فوق صدرها مكان الرصاصة غير مدركة ما حصل، عندها عم المهرج والمرج المكان، وأخذ الجميع يتخبطون، فمنهم من كان يركض هارباً، ومنهم من كان يحاول التستر بالكراسي خوفاً من الرصاص، وآخرون ركضوا باتجاه المنصة محاولين تغطية الحدث حتى وإن كان رصاصاً قد يصيبهم وسط اللجة تلك! كانت جوليا تقف مذهولة غير مدركة ما يحدث، وهي تبحث بين الحاضرين والجموع المتخبطة عن عيون تستطيع

التشبت بها محاولة فهم ما يدور من حولها، ولكنها لم تجد أشرف وسط الجموع، وكان كريم قد تم سحبه بعيداً عن المنصة من قبل الحراس الأمنيين محاولين تطويق المكان بحثاً عن الجاني، أما حكمت فكان يمدق إلى الشاشة من بعيد وهو ينفث دخان سيجاره الكوبي والخبر في الشريط الإخباري قد تم بثه فوراً: "محاولة اغتيال السيدة جوليا أثناء المؤتمر الصحفي وهي تسعى من أجل السلام" وما أن قرأ الخبر حتى رن هاتفه الصامت في جيبه وتناوله وهو يقف بجانب النافذة مبتعداً عن الضجة التي علت المقر مع سقوط جوليا وقال: "نعم، لقد رأيت ذلك الآن على التلفاز، لقد أُنجزت المهمة، غادر المكان فوراً".

أقفل هاتفه، ثم صرخت ماجدة بصوت ممزق: "جوليا ابنتي..". ثم سقطت مغشياً عليها بين الحاضرين الذين بدأوا يتراكضون في الأرجاء محاولين إسعافها، أما حاتم فقد وقف عاجزاً عن الحراك أمام الشاشة محققاً إليها غير قادر على استيعاب الحدث، فرغم الصراخ والفوضى اللذين عمّا المقر، إلا أنه لم يكن هنا، لقد بات هناك على أرض الحرب حيث احترقت الرصاصة صدر ابنته أمام الحاضرين، لم يكن يعلم ما حصل؟ لكنه كان يعلم أنه سقط في حالة من الصمت لم يسمع بعدها صوت ماجدة، ولا حتى محاولات الحاضرين للاستنجاد به في مساعدتها، كان يعلم أن قلبه بات معلقاً بالشاشة محاولاً نفض اللحظات عن ابنته وهي تسقط من فوق المنصة بين أحضان كريم متهاوية، لم يكن يدرك شيئاً، ولم يحاول حتى فهم ما حصل، ولكن بقيت عيناه متشبثتين بالشاشة على ابنته تعود وتنهض من جديد، لتوقف نبضات قلبه عن الخفقان والذي كان يسمع طنينه في أذنيه!

أما في قاعات الانتخاب، فقد وقف عدد كبير من الناس مصابين بالذهول جراء ما حدث، بعضهم كانوا يحدقون إلى الشاشات المعلقة محاولين فهم الموقف، وآخرون غير مصدقين بأن جوليا سقطت ضحية على أرض سعت لأجل سلامها! بينما وقف البعض الآخر للحظات أمام الشاشة ثم عادوا للتوجه نحو الصناديق لإكمال عملية الانتخاب، أما في الزاوية هناك حيث كان بعض المصوتين لا يزالون يدلون بأصواتهم فقد تجمدت نظراتهم للحظات أمام الحدث ثم أكملوا عملية الانتخاب بتناول ورقة جديدة للتصويت، وآخرون قاموا بتمزيق الورقة والحصول على ورقة جديدة لتغيير تصويتهم في اللحظات الأخيرة قبل رميها في الصندوق!

وعلى أرض الحرب هناك، حيث الحاضرون، ولجنة الإعلاميين، كان الوقت يمضي زاحفاً ببطء معلناً عجز وصول الإسعاف بين الركاب للجميع. وأن جوليا لم تكن تسعى للسلام فقط بل كانت تشق درباً بين الصخور، محاولة الوصول لحل سلمي على أرض كان الموت فيها جافاً وقاسياً لا يعرف سوى انتشار الأرواح وخطف فرص الحياة من قلوب حاملها. في تلك الأثناء كانت عملية فرز الأصوات الأولية بدأت تُعلن عن تراوح النتائج بين الحزب الحاكم وحزب التحالف الوطني، فقد كانت النسبة تتبدل كلما فُتح صندوق من صناديق الاقتراع، وحركة العداد السريعة تعلن بين الثانية والأخرى أن نسبة التصويت ليست مقياساً ثابتاً كما هي الحياة وتداعياتها التي باتت تترنح وفقاً لمجريات ما هو مرغوب!

كان الموت يزحف بطيئاً فوق المنصة، ليتملك حاتم شعور بأن الموت والحياة يمكن اختصارهما في لحظة متناقضة بين السرعة والزحف

البطيء للزمن فوق الأرواح المهترئة في مهاترات الدنيا وفيما قد يكون ولا يكون! حيث أن الزمن بات خالياً من كل شيء عدا صورة ابنته التي تهاوت بين يدي كريم، تضع كفها على جرحها النازف ترسم فوق وجهها حالة من الذهول استطاع أن يراها في عينيها ولو كانت من خلف شاشة ووسط حشد متهاوٍ يحيط بها بفوضى وقلق، كانت الصورة تمتاز بين الحين والآخر على الشاشة لتنتقل حالة من التخبط عمّت المكان معلنةً أن جوليا هي ورقة التوت الأخيرة التي تكشف أن للبشر مخالب تُتشب في روح السكينة لتغتال كل ما قد تحمله النوايا بين السعي والمحاولة.

لم يكن يعلم بأن خطواتها المتهورة تلك كانت مدروسة في صفحات غيرها، لم يعلم ذلك إلا حينما كانت أنفاس ابنته الممزقة تزحف فوق وجهه المتصلب من خلف الشاشة، وفوق العدادات التي بدأت تتبدل سريعاً بين الرفض والقبول، وفي خضم تلك الفوضى التي عمّت روحه، كانت جوليا لا تزال بين يدي كريم اليائس، والذي لا يزال صوته يتسرب بين المحيطين متسائلاً عن الإسعاف وموعد وصولها.

وبعد مرور ساعات كان الهدوء المترقب يعمّ المقر، إلا أن نتائج عملية التصويت التي لا تزال معلقة بفرز الصناديق الأخيرة للاقتراع تسيطر على أذهان الجميع عدا ماجدة التي سقطت فوق كرسيها في حالة من الذهول والذهيان لا تستطيع فهم كل ما قد مر في حياتها في بضع ساعات قليلة، ساعات استطاعت أن تختصر الزمن بحدث، وترسم للعمر لحظة لم تكن تعتقد أنها قد تحياها يوماً. أما حاتم فكان يحاول انتشال ابنته من الشاشات التي ضحّت بخبر سقوطها غير آبه بما

يحصل هناك خلف كواليس غرف الاقتراع، ولكن وبمجرد ظهور المذيعة على الشاشة في خبر عاجل سرى صوتها في المقر ليوقط الجميع من حالة السكينة التي علت المكان بجذر وقالت: "بعد ساعات من الأحداث المتوترة بين حادث جوليا المفجع والنتائج التي كانت في مرحلة الفرز، نضع أمامكم نسب التصويت النهائية وفقاً لعمليات الفرز النهائية، والتي تم فيها فتح كافة الصناديق بعد يوم طويل وحافل بالأحداث" وما أن أكملت المذيعة جملتها حتى بدأت النسب تظهر على الشاشة فأخر ظهور لنسبة الحزب الحاكم كان 52% مقابل 48% ومع فرز الصناديق الأخيرة بدأت تتحول النسبة تدريجياً أمام عيون العاملين في المقر والتي تشبث نظراتهم بجذر وقلق في الشاشات المعلقة هنا وهناك، لتبدأ النسبة تتبدل تدريجياً لصالحهم بعد أن انتهى فرز صناديق الاقتراع الأخيرة، والتي شهدت لحظة سقوط جوليا فوق المنصة.

وبين الترنح وتبدل النسب كان حاتم يقف بصمت، كانت أنفاس الحاضرين الصامتة تجعل ذلك التوتر المزوج بالألم يزحف فوق روجه التي لا تزال معلقة هناك في أحضان ابنته الجاثية فوق المنصة والتي لم تفارق صورتها مخيلته، فباتت تزحف بين اللحظة والأخرى لتمحو مؤشر النسبة أمام ناظره.

وقف الجميع متشبثاً بالشاشة والعيون تكاد تلتهم اللحظات، محاولة قتل التوتر الذي علا المكان منتظرين لحظة الإعلان النهائية للفائز، وما أن بدأ المؤشر بالتغير مع فرز الصندوق الأخير حتى توقف معلناً فوز حزب التآلف الوطني بالانتخابات بنسبة 51% عندها علت الأصوات في المكان، وبين التصافح والعناق في جموع العاملين في

المقر، انسابت الفرحة بجيئ لتعلن فوزهم بالانتخابات من خلال صوت المذيعة التي ظهرت على الشاشة مبتسمة وقالت: "ورغم الألم يبقى للأمل لحظة انتصار، من هنا ومن قلب القناة الأولى، نعلن فوز حزب التآلف الوطني بالرغم من كل العثرات التي مرّ فيها في الآونة الأخيرة بدءاً باستقالة السيد عارف، وانتهاءً بحادثة المنصة والتي كانت سبباً رئيساً في انقلاب مؤشر النتائج من حالة فوز أكيدة للحزب الحاكم إلى حالة فوز مترنحة لحزب التآلف الوطني، لذا وفي خضم ذلك كله لا نملك إلا أن نتقدم بأسمى آيات التهنئة والتبريك للحزب الفائز عموماً والسيد حاتم الريزوني خاصة".

وقف حاتم يراقب كلمات المذيعة بلا تعابير تذكر، بينما وقف حكمت من بعيد ينفث دخان سيجاره الكوبي محمداً إلى النتيجة، وابتسامته الباردة ارتسمت فوق شفاهه بصمت ثم اقترب من حاتم الذي ما زال ينبش اللحظات بحثاً عن أنفاس ابنته، فاقترب منه حكمت ووضع يده فوق كتفه وقال بهدوء: "حاتم، لقد فزت، ورغم كل ما حدث هناك عليك الاستعداد لمراسم تأدية القسم" فحدق إليه حاتم بشرود وفي عينيه نظرة باحثة عن جواب لسؤال لم يعرف صياغته وقال: "نعم، فزت... صمت قليلاً، وحدق إلى الشاشات بحثاً عن صورة ابنته التي لا تزال تتناقلها القنوات الإخبارية وقال دون أن يستدير نحو حكمت بصوت خاو: "نعم لقد فزت يا حكمت" ثم عادت نظراته تحدق إلى الشاشة بصمت دون حراك.

كان أشرف يحدق إلى الفراغ من هول ما حدث، صامتاً غير مدرك ماذا يحصل؟ كان يحاول استيعاب الأحداث، ولكن بات عقله متوقفاً عن التفكير، فلقد كانت جوليا هناك على المنصة تقف، ونظرة الخوف تعتلي وجهها، ويدها تمسك بالجرح النازف بقوة، نظراتها تجوب بالمكان باحثة عما تتشبه به، أما هو فقد عجزت قدماه عن الحراك ووقفنا متسمرتين لا تقويان على الوصول إلى المنصة، حاول السير ولو بوضع خطوات لكن كان الحدث أكبر من قدرته على الاحتمال فلقد كانت جوليا تسقط صريعة لحظة غدر أمام الجميع، لتعلن الرصاصة التي استقرت في قلبها للجميع، بأن الحرب لا تعرف سوى النهايات المرسومة والخطط المحبوكة ولا خطى بلا تدابير فيها. وفي قلب تلك الأفكار المتراخمة في رأسه، وبين خطوات الهاربين من المكان بحثاً عن مكان آمن يلجأون إليه. كانت الضجة والفوضى تعم المكان، فارتطم أحدهم به وهو يحاول المغادرة، ما جعله يحدق إلى المحيطين من حوله، ويحدق إلى المنصة ثانية حيث كانت عينا جوليا تبحثان عنه، وما أن رآته حتى شعر بأنفاسها المتسارعة تعربد فوق صدره، كانت يدها ترتعشان وترحفان فوق روجه ببطء محاولة دفع قدميه للاقتراب من المنصة علّه يستطيع حملها بين ذراعيه للحظات، خاطفاً الموت من حناياها كما كانت لحظة انفجار اللغم، وما أن رأى عينيها تجولان فوق خلجات وجهه المرتعدة، حتى سارت قدماه نحوها بخطوات تائهة، متناسياً كل الفوضى التي عمت في المكان، فنظراتها المذهولة جعلت خطى من الألم المتآكل ترحف فوق قلبه لتناديه مستنجدة، فاقترب من المنصة ببطء يكسوه الخوف، خوف من رؤية المشهد الأخير

لصفحة رسمتها جوليا على مدار شهور.مناوشات كانت تداعب فكره الغاقي في سبات طويل. خوف من فقدان لحظة أدرك فيها أنها كانت حقيقة في حياته من بين جميع الأخبار المفبركة! خوف من أن يستنشق الموت في أريج عطرها الممزوج بالدماء، وما كاد أن يصل حتى وقف أحد رجال الأمن واضعاً يده كحاجز مانعاً إياه من المرور.

"عفواً سيدي، ولكن ممنوع دخول الصحفيين إلى المنصة". فقال أشرف بصوت متقطع "ولكن أنا...". توقف أشرف عن الكلام حينما وجد عيني جوليا تتشبثان به بحثاً عن حياة استطاع حمايتها لحظة انفجار اللغم، وحينما رأت الحارس وقف حائلاً بينهما وضعت كفها فوق صدرها الممزوج بالدماء، فحذق إليها أشرف من بعيد وهو ممنوع من الاقتراب، عندها لحت جوليا بعينه الغائمتين أمامها فعلمت أنها كانت حقيقة في حياة أشرف الكافوري، حقيقة لم يستطع إعلانها لذاته لأنه يعلم أنه لن يكون إلا خلف الستار، وحتى في لحظة السقوط لم تكن لخطواته الأحقية في الاقتراب، فأدركت حينها أنه لم يكن لخطواتهما أن تلتقي يوماً، ولا لقدراً أن يجمعهما، وما أن استيقنت تلك الحقيقة حتى بدأ جسدها بالتهاوي فوق المنصة، لتبدأ صورة أشرف بالاختفاء تدريجياً أمامها.

ورغم غياب صورته إلا أنها شعرت بحركة مراسلي قناته يقتربون من المنصة مقتنصين الخبر من قلبه كعادتهم، فقد كان مراسله هو أول من استطاع التقاط الرصاصة وهي تقبع في صدرها لتصبح حدثاً حصرياً لقناته، اعتلى الخوف وجهها حينما أدركت أن الخبر هو

الحقيقة الوحيدة التي كان يسعى لها الحاضرون، وأنه في لحظات انهيار الحقيقة لن يكون هناك سوى الخوف والوحدة يزحفان في الأرجاء لتمتص أرواح الجميع، وما أن جثت فوق ركبتها على المنصة، حتى وجدت ذراعي كريم تلتقطانها بسرعة وهو يتجه نحوها مبعداً كل الحراس الذين حاولوا منعه من الوصول للمنصة خوفاً عليه من التعرض لحادث مماثل، وعندما التقت نظراتها بنظرات كريم المذهولة حتى قالت بصوت خاو: "ماذا حصل يا كريم؟".

فقال كريم بصوت مرتعش: "جوليا، حبيبي، لا أعلم ماذا حصل؟ ولكن ستكونين بخير".

قالت جوليا وهي تحديق إلى كريم الذي وضعها أرضاً محاولاً مساعدتها على الاستلقاء بينما كان يصرخ بشكل فوضوي على كل المحيطين حوله: "ماذا أفعل؟ هل أجعلها تستلقي؟ أم أضعها بشكل مرتكز؟".

احتضنها كريم وجعلها ترتكز بين ذراعيه وقال: "جوليا، حبيبي...". فقالت جوليا بصوت غير مدرك لما حدث تقطعه أنفاس متهاوية: "كريم ماذا هناك؟ ما الذي يحصل؟ هل أنا بخير؟".

كانت يدها المملوطة بالدماء تغطي الجرح، عندما بدأت الدماء تتناثر من فمها بشكل خفيف فقال كريم بصوت يحاول تهدئتها ودموعه تترنح فوق وجنتيه: "نعم، أنت بخير".

قالت جوليا والخوف بات يمزق نفسها حينما خالطت الدماء كلماتها الخارجة من فمها الجاف: "لكن هناك دماء يا كريم...".

قال كريم وهو يتلفت حوله ويحاول تثبيتها بين ذراعيه بلا حراك، ثم رسم ابتسامة باردة فوق شفثيه لطمأنتها: "جوليا، حبيبي، لقد رأينا كثيراً من الدماء هنا فوق أرض الحرب، لا تخافي ستكونين بخير".

قالت جوليا بصوت متلعثم وبنظرات خائفة: "أريد أن أعود إلى منزلنا".

فامتزجت ضحكة متألمة بدموع كريم المتساقطة حين قال: "نعم، سنعود يا حبيبي، سنعود إلى منزلنا معاً".

ثم تلفت وقال للموجودين حوله ومن تحلقوا في المكان محاولين تقديم المساعدة: "ماذا أفعل الآن؟ أخبروني، أين هي الإسعاف؟".

قالت جوليا وهي خائفة: "خذني إلى والدي يا كريم، لقد وعدت أُمي بالعودة".

قال كريم وهو يمسح وجهها بكفه التي كانت ملطخة بدمائها النازفة من صدرها: "سأخذك إليهما يا حبيبي، أعدك".
قالت جوليا وهي تهذي: "دعنا نعد الآن".

قال كريم بصوت ممزق: "نعم، يا حبيبي، سنعود الآن، ولكن حاولي أن تبقي هنا معي، لا تفقدي وعيك، ستصل الإسعاف في أي وقت، ستصبحين بخير". صمت قليلاً، وأخذ ينظر بعينيه المذهولتين إلى جوليا ثم صرخ في المحيطين: "أحضروا الإسعاف بسرعة، لم تأخرت؟".

كان الوقت يعربرد بطيئاً فوق أنفاس كريم المتلاهثة والذي يحمل جوليا بين ذراعيه وهي تحاول التثبيت بلحظة قد تخطف لها

الحياة من قلب الموت، وقالت بصوت متهالك: "كريم... هل سأكون بخير؟".

مرر كريم كفه الممتزجة بالدماء فوق شعرها والدموع تمزق وجنتيه وقال بكلمات متقطعة: "نعم، ستكونين بخير".

قالت جوليا بصوت منهك ودموعها بدأت تبلل وجهها: "لكن...".

حملها كريم بين ذراعيه ليلتصق وجهها بوجهه المحترق ألماً وقال مقاطعاً إياها بهمس: "حبيبي، ستكونين بخير".

كانت أنفاس جوليا المبعثرة تنساب في أذنيه ليحتضنها بقوة محاولاً حمايتها من كل شيء حتى الزمن، وقال بصوت لا يكاد يُسمع: "حبيبي...".

عندها حدقت جوليا إلى كريم بعد أن مضى الوقت وهي تحاول جاهدة التمسك بصوته عليها تجد الحياة فقالت وهي بين ذراعيه بخوف: "كريم...".

اقترب منها كريم والدموع تتساقط فوق وجنتيه: "حبيبي جوليا، تماسكي، أرجوك".

قالت جوليا بصوت بدأ يخبو تدريجياً: "كريم... أنا".

اقترب كريم منها وهي ما زالت بين ذراعيه، تحاول التشبث بوضع حياة فقاطعها كريم وهو يضع كفه الممتزجة بالدماء على وجهها وشفثتها: "حبيبي، اهدأي أرجوك، ستصل الإسعاف في أي لحظة، صدقيني...".

قالت وهي تحاول الاقتراب منه وبدأت أنفاسها تتبعثر متقطعة: "كريم... فقرها كريم منه حتى بدأت أنفاسها الباردة

تلسع وجهه المحترق، وما أن بدأ جسدها يثقل بين يديه حتى سقطت ذراعها بثقل في أحضانه فقالت بصوت متقطع لا يكاد يُسمع: "كريم... أنا".

حدق إليها كريم ودموعه تنساب فوقها حتى بدأت تغيب صفحة وجهها أمامه، فكان كل ما تحاول ذاكرته حفظها هي، هي فقط، بكل حالاتها، بجنونها وحيويتها، بحبها وغيظها، بيقينها وحيرتها، لم يكن يريد سوى أن تعلم أنها الحب في حياته، وأن ليلة اليخت بكل ألمها لم تكن سوى لحظة عشق خاطئة، دفع ثمنها طويلاً، فليتها تستطيع أن تسمع لهفات قلبه المشروخ فوق روحها، والتي باتت في نزاعها الأخير، عندها همست جوليا وهي تصارع الموت في لحظاته الأخيرة وقالت: "كريم... أنا...".

تخسج صوتها لينزع الأنفاس من جوفها: "أنا.. أحب" قاطع الموت جوليا، ولم يمنحها حتى لحظة اعتراف تمس في أذن كريم بحبها له، فسقطت بين ذراعيه فجأة معلنة رحيلها بين ذهول الجميع، ونظرات كريم المشروخة فوق جسدها المغطى بالدماء.

عندها ضمها إلى صدره صارخاً ليعلن للجميع وفي الشاشات موت جوليا فوق حافة الحدث، ولتعلن أنفاس جوليا الهائمة في الأرجاء عن زمن لا يسيطره العابرون، زمن لا تخط نهايته سوى رنة هاتف وحلقات دخان، زمن وقف فيه رمون بين منحوتاته مندهشاً حينما وجد جوليا الصغيرة صريعة بين ذراعي كريم فوق المنصة، ليعلم أن الحياة ليست إلا منحوتة يحفرها الإزميل وتخطها يد النحات لتصنع الحكاية، وليعلم بأنه رغم كل الألم الذي صارعته جوليا، ورغم الرفض كان لا بد لها في النهاية أن تسقط بين ذراعي من تحب،

عندها همس ريمون أمام الشاشة بعد أن انحدرت دمعة فوق وجنتيه
المجعدة من خربشات الزمن: "إنه الحب حينما يسقط بارتعاشاته بين
أحضان الحبيب".

النهاية

